

جَامِعَةُ الْقَدِيسِ يُوسُفَ  
كُلِّيَّةُ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ  
مَعْهَدُ الْآدَابِ الشَّرْقِيَّةِ  
بِירוْت

التَّنَاصُّ فِي خُطْبِ " نَهْجِ الْبَلَاغَةِ " لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا

أَعَدَّهَا

مُصْطَفَى بْنُ شَرْفِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَوْسَوِيِّ

وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا

الْبَرُوفْسُورُ أَهْيَفُ سَنُو

## إهداء

أهدي هذه الرسالة إلى معلّمي الدائم ووالدي العزيز الذي أفاض عليّ من علمه وحكمته الثاقبة ، وإلى والدتي العطوف التي لم تسأم يوماً تُربّيني تربية صالحة ، وإلى من دخل حياتي في فترة دراستي وشاركني متاعب الدراسة إلى زوجتي الغالية ، وإلى فاطمة الصغيرة المدلّلة التي لأجلها أصرار مصاعب الحياة ، لتعيش حياة سعيدة ، وإلى روح سيّد البلغاء الإمام عليّ بن أبي طالب الذي ملأ الدنيا علماً وحكمة ، وإلى كلّ المبدعين في هذا العالم.



## الشكر

أُقَدِّمُ خالص شكري وامتناني إلى أستاذي الفاضل البروفسور أهيف سنو المحترم الذي  
أنار لي طريق العلم ، وأرشدني إلى ما يُفيدني . وأشكر كلَّ مَنْ أعانني حتَّى أكملت الرسالة  
وأخصّ بالشكر إخوتي وجميع أفراد عائلتي وأصدقائي والمُخلصين من مجتمعي .

## المقدمة

إنّ الفكر الإنسانيّ هو فكر اكتسابيّ بمعنى أنّه متكوّن إلى حدّ بعيدٍ من أفكار السابقين ومعارفهم . وليست تلك الأفكار والمعارف وليدة الحاضر فقط، بل هي وليدة لحظات متعدّدة ومتنوّعة في القراءة في أزمنة وعصور متعاقبة تمّ دمجها في إنتاج ما فتشكّل من ذلك المعرفة الحاضرة. ونقل ابن رشيق القيرواني قولاً لعلّي بن أبي طالب يُفيد تبادل الناس للأفكار فيما بينهم: "قال عليّ بن أبي طالب: لولا أنّ الكلام يُعاد لنفد"<sup>١</sup>.

ويُطلق الباحثون الحدثيُّون على تداخل النصوص حديثاً التناصّ (Intertextuality) . ويكاد لا يخلو عمل منه كما يقول عبد العاطي كيوان: "لقد أصبح التناصّ بعامّة والتناصّ القرآنيّ بخاصّة ظاهرة جليّة في النصوص الأدبيّة المعاصرة"<sup>٢</sup>.

والتناصّ هو سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى . وبتعبير آخر هو استعارة نصّ (Text) في نصّ مركزيّ لتتفاعل النصوص بعضها ببعض وينتج عن ذلك التفاعل نصّ غائب ، ويمكن تلخيص تعريف التناصّ وفق ما أشار إليه النقاد كالآتي:

- ١- إنّ النصوص محكومة حتماً بالتناصّ . فالنصّ يحتوي ثقافة السّابقين، وقد قام المؤلّف بتوثيقها مباشرة أو ضمناً في نصّه .
- ٢- إنّ النصّ يتولّد في نصوص أخرى ؛ لأنّ مرجعيّة النصّ نصوص السابقين.
- ٣- إنّ النصّ حين يتفاعل مع نصوص أخرى فإنّ هذا لا يعني الاعتماد عليها أو محاكاتها أو سرقتها كما ذكر نقاد العرب القدماء .
- ٤- ينبغي النظر إلى التناصّ كتفاعل مثمر يؤدّي إلى تولّد الأفكار وتكاثرها.

ويبدو أنّ هناك اتّفاقاً يكاد يكون عامّاً على أنّ التناصّ ظهر للمرّة الأولى على يد جوليا كريستيفا في أبحاث صدرت لها في عام ١٩٦٦. فقال عمر عبد الواحد: "يرجع التناصّ إلى تقاليد الباحثة السيميائيّة جوليا كريستيفا"<sup>٣</sup>، ثمّ تعدّدت تسمياته ما بين التبادل الحواري ، وتعدّد النصوص، والتفاعل النصّي ، والتعالّي النصّي ، وتداخل النصوص، والمُناصّ ، والتعلق النصّي.

١- ابن رشيق القيرواني، العمدّة، ج ١، ص ٩١.

٢- عبد العاطي كيوان، تناصّات القهر والأحزان، ص ٤١.

٣- عمر عبد الواحد، دوائر التناصّ، ص ١٣.

وعُرفت نصوص عليّ بن أبي طالب ببلاغتها ، فأدّى ذلك إلى اهتمام العلماء القدامى بشرحها كابن أبي الحديد<sup>١</sup> وابن ميثم . وتكثر في خطب النهج الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية فضلاً عن المثل العربي وبعض الأبيات الشعرية واستدعاء الشخصيات والأحداث التاريخية ، وتتفاعل هذه المصادر التراثية ( Heritage ) مع نصوص نهج البلاغة بشكل تصريحي أو ضمني.

ولا شك في أن فن الخطابة ( Discourse ) قد مرّ عبر الأزمنة والعصور بأساليب خطابية متنوعة وبنية هيكلية معينة تبعاً لمقتضيات العصر . فكما أن لبنية القصيدة الجاهلية نظامها المختلف عن بنية القصيدة في العصر الحديث، كذلك الحال في بنية الخطبة فإن لها نظامها البنيوي الذي يتطور من عصر لآخر . فقد تغيرت بنية الخطابة بانتشار الإسلام واختلفت هيكلية عن نمط ( Type ) الخطابة في العصر الجاهلي فصارت تحتضن التعاليم الإسلامية بين طياتها مدعومة ببعض الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية . ولعلّ من أبرز الخطب الإسلامية احتفاء بتلك التعاليم والشواهد خطب الإمام عليّ بن أبي طالب فدعاني ذلك إلى إعداد رسالة ماجستير في التناصّ الوارد في خطبه.

سنقوم في الرسالة التي تُعالج التناصّ في خطب " نهج البلاغة " لعليّ بن أبي طالب بتتبّع مواضع التناصّ في الخطب . وسنعالج كيفية تداخل تناصّ القرآن الكريم والحديث النبوي والمثل العربي السائر والشعر العربي والأحداث التاريخية والأعلام في الخطب من خلال الإشكالات الآتية: ما مفهوم التناصّ ؟ وما يرادفه عند العرب القدماء ؟ وما جهود النقاد العرب الحديثيين في تعريف التناصّ ؟ وما مصادر التناصّ في خطب نهج البلاغة ؟ وما أهمّ أشكاله ؟ وما دواعي التناصّ في الخطب ؟ وكيف تتفاعل الصورة البيانية والتناصّ في خطب النهج ؟

إن لهذه الرسالة أهمية كبيرة وخصوصاً على المستوى المحلي لأنها من الأبحاث القليلة التي تسدّ ثغرة في فهم النصوص الواردة وأسباب ورودها في الخطب ، وهذا ما سيّضح من خلال معالجتنا لدواعي التناصّ في الخطب والتعرّف على أشكاله . وتكمن أهميته أيضاً في أنه بحث إحصائيّ يعتمد على التقصي والتتبّع وكشف مواضع التناصّ وأهمّ مصادره وأشكاله في خطب النهج ، ولم أعرّ على كتاب يتحدّث عن التناصّ في خطب نهج البلاغة ما عدا بعض المقالات في بعض مواقع الشبكة العالمية ( الإنترنت ) . وتكاد معالجة خطب النهج بهذا الأسلوب النقدي الحديث

<sup>١</sup> - ابن أبي الحديد المعتزلي ( ٦٥٥ / ١٢٥٧ ) : هو عبد الحميد بن أبي الحديد ، تأدّب على يد الشيخ أبي البقاء العكبري ، ثم أبي الخير مصدق بن شبيب الواسطي ، واشتغل بفقّه الإمام الشافعي وقرأ علم الأصول ، وكان أبوه يتقدّد قضاء المدائن . ولد بالمدائن سنة ست وثمانين وخمسائة ، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتّاب والشعراء بديوان الخليفة ، وكان حظيّاً عند الوزير ابن العلقمي ؛ ابن خلّكان ، وفيّات الأعيان ، ج ٧ ، ص ٣٤٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٣ ، ج ٩ ، ص ١٤١ .

تكون معدومة ، فيجعل البحث ذا أهمية بالغة في الساحة النقدية المعاصرة . فضلاً عن ذلك فإن موضوع الرسالة سيساهم في إمكانية معالجة النصوص القديمة بمناهج نقدية حديثة.

أمّا مخطّط البحث فمقسّم إلى بابين يسبقهما تمهيد . وسأخصّص التمهيد لتعريف التناصّ وما يرادفه لدى البلاغيين العرب القدماء ، وسأخصّي أشكال التناصّ الواردة في كتب رواد التناصّ الغربيين والعرب ، ثمّ أنتقل إلى البابين: أبيان في الأول مصادر التناصّ وأنواعه في خطب نهج البلاغة وذلك في فصلين: الأول أحدّد فيه مصادر التناصّ الأربعة في الخطب: القرآن الكريم، والحديث النبوي، والمثل العربي، والشعر العربي ، والثاني أعدّد فيه أنواع التناصّ في خطب النهج وذلك في نوعين: التناصّ الصريح في خطب نهج البلاغة، والتناصّ الضمني في خطب نهج البلاغة.

وأما الباب الثاني من الرسالة فسأبين فيه دلالات التناصّ في خطب نهج البلاغة شرحاً وتحليلاً وذلك في فصلين: فأشرح في الأول دواعي التناصّ الأربعة في خطب نهج البلاغة: الفكري، والسياسي، والاجتماعي، والأخلاقي ، وأحلّل في الثاني كيفية تفاعل الصور البيانية مع التناصّ في الخطب ، وسأعالج فيه ثلاث صور بيانية: التشبيه، والاستعارة، والكناية.

إنّ هذه الدراسة عالجت التناصّ في خطب النهج، لذا ركّزت على تحليل نصوص نهج البلاغة تحليلاً داخلياً وخارجياً يجمع بين استخراج عناصر النصّ وتحديد علاقاتها بنصوص أخرى من خارج النهج وبذلك جهداً لاستقصاء العلاقات تلك. ولا يمكن الاستغناء عن البحث التاريخي لدى معالجتنا للتناصّ التاريخي، لاحتواء الخطب على شخصيات ذات تاريخ حافل، ووقائع وبلدان ومدن تضطرتنا للرجوع إلى كتب التاريخ والأعلام ومعاجم البلدان للبحث عن تاريخها الحافل.

ولابدّ من الإشارة إلى بعض الصعوبات التي واجهتني في أثناء إعداد الرسالة، ومنها ما يتعلّق بمصطلح التناصّ. فقد وجدت صعوبة في تحديد المصطلح المناسب لتداخل النصوص إذ لم يتفق الحداثيون على مصطلح معيّن: فبعضهم يُسمّي التداخل تناصّاً، وبعضهم يسمّيه تفاعلاً، والآخر استدعاء النصوص. ومن خلال هذه الاختلافات حدّدت مصطلح التناصّ، لأنّه الأصل الذي أنتجته كريستيفا وتفرّعت المصطلحات الأخرى منه. وأمّا الصعوبة الثانية فتتعلّق بتحديد التناصّ الضمني في الخطب لما يحتاجه الباحث من ثقافة واسعة ليتمكّن من تحديد التناصّ المخفي الخطب .

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر ومراجع كثيرة منها ما تعلّق نهج البلاغة ، ومنها ما تعلّق بالتناصّ . واعتمدنا كذلك على مصادر التفسير ومعاجم اللغة البلدان والأعلام . وفيما يلي تقويمها.

## تقويم المصادر والمراجع

### أولاً - تقويم المصادر

أورد أدناه المصادر مرتبة حسب وفيات أصحابها ، من الأقدم إلى الأحدث.

#### أ- المصادر المتعلقة بنهج البلاغة

١- الشريف الرضي، محمد بن أبي أحمد الحسين (٣٥٩ / ١٠١٥)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب؛ شرحه محمد عبده. - لا. ط. - بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦.

جمع الشريف الرضي كلام علي بن أبي طالب في كتاب أطلق عليه اسم نهج البلاغة واشتمل على ٢٤١ خطبة وكلاماً<sup>١</sup> و ٧٩ كتاباً ورسالة ، و ٤٨٠ حكمة وقولاً . واحتوى الآتي:

- الإسلاميات: وتتضمن الإلهيات والنبوة والعقائد والأحكام .

- التاريخ : وتتضمن الأحداث التاريخية القديمة والأحداث التي جرت في صدر الإسلام والأحداث المعاصرة لخلافته .

- المعارف والقضايا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية .

وقام محمد عبده بشرح كلمات النهج وعباراته شرحاً موجزاً . فقد بين معاني المفردات الغامضة ، فضلاً عن بيان المناسبة التاريخية للنص . وسنعمد عليه في ذلك كله .

٢- البيهقي، علي بن زيد البيهقي الأنصاري (٥٦٥ / ١١٦٩)، معارج نهج البلاغة، حققه أسعد الطيّب. - ط ١. - قم: بوستان كتاب قم، ١٤٢٢ / ٢٠٠١.

يُعدّ البيهقي ( ٥٦٥ / ١١٦٩ ) من أوائل من شرح نصوص نهج البلاغة وتلاه الراوندي ( ٥٧٣ / ١١٧٧ ) ثمّ ابن أبي الحديد ( ٦٥٦ / ١٢٥٨ ) فابن ميثم ( ٦٧٩ / ١٢٨٠ )، ولكنّ البيهقي لم يشرح جميع النصوص، بل اقتصر على شرح بعضها شرحاً لفظياً وعقائدياً دون الالتفات إلى جماليات النصّ.

<sup>١</sup> - قال الشريف الرضي في مقدّمة الكتاب: " ورأيت كلام علي بن أبي طالب يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر، وثانيها الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والمواعظ ، ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب؛ راجع ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٨، ٥٢؛ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠.

٣- الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (٥٧٣/ ١١٧٧). - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة؛ حققه عبد اللطيف الكوهكمري. - لا طبعة. - قم: مكتبة المرعشي، ١٤٠٦ / ١٩٨٥. شرح المؤلف ألفاظ النهج شرحاً لغوياً موجزاً ومثل عليها بأقوال العرب . واستفدت من شرحه اللغوي في شرح بعض الخطب.

٤- ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٦٥٦/ ١٢٥٨)، شرح نهج البلاغة. - ط ٢ - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٤.

عالج ابن أبي الحديد الخطب من جوانب مختلفة، فشرح معاني المفردات وفسر بعض الظواهر النحوية والبلاغية، ولم يغفل ذكر المناسبة التاريخية للنص. واتصف شرحه بالتفصيل والإسهاب، فيخرج عن شرح النص إلى ذكر الأحداث التاريخية والنظريات الكلامية، فضلاً عن التعرض إلى آراء المذاهب الإسلامية في العقائد كوجود الخالق والتجسيم والخلود في النار وغيرها. وسيعين شرحه التفصيلي للخطب على فهم مضامين النصوص الخطابية الغامضة والتعرف على مناسبتها التاريخية، وسنستفيد من شرح الجماليات الفنية والصّور البلاغية .

٥- البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (٦٧٩ / ١٢٨٠). - شرح نهج البلاغة. - ط ١. - البحرين: مكتبة فخرآوي، ١٤٢٨ / ٢٠٠٧.

يعدّ ابن ميثم البحراني من كبار العلماء وله مؤلفات كثيرة منها شرحه المفصل لنهج البلاغة، فلم تبق شاردة ولا واردة إلا عالجها في شرحه مع أنه لم يختلف كثيراً عن ابن أبي الحديد المعتزلي في منهجه إلا أنه أضفى نوعاً من التجديد على كتابه . فقد ضمن شرحه المفصل استشهادات من القرآن الكريم والحديث النبوي وتوضيح الجماليات الفنية والصّور البلاغية وبعض الأمثال العربية وإعراب الكلمات . ووجدته أشمل من ابن أبي الحديد ، وسيكون اعتمادي عليه في شرح الخطب ، كما ستكون معالجاته البلاغية معينة لي في الفصل الرابع من الرسالة .

## ب- كتب التفسير

اخترت مجموعة من التفاسير ، لأنها تحتوي على شرح تفصيلي للآيات وذكر الوجوه المتعددة والآراء المختلفة في تفسير الآيات وأسباب نزولها وهي كالآتي:

١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠/ ٩٢٢). - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: المعروف بتفسير الطبري. - ط ١. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، لا. ت.

تضمّن تفسير الطبري عرض آراء الصحابة والتابعين حول معنى الآيات الكريمة وذكر أسباب نزولها . وسنعمد عليه في شرح بعض الآيات الواردة في خطب النهج .

٢- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (١٢٧٢/٦٧١) . - الجامع لأحكام القرآن . - ط ٢ . - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥ .

اشتمل على شرح مفصّل وعميق مع ذكر اختلافات المذاهب الإسلامية وآرائها في شرح الآية الواحدة . وسنستعين به في شرح الآيات الواردة في خطب النهج .

٣- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (١٣٧٢/٧٧٤) . - تفسير القرآن العظيم . - ط ١ . - بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠ .

كتاب تفسير شامل ومفصّل يعرض روايات السلف الصالح والآراء المختلفة . وسأستعين به في شرح الآيات الواردة في خطب النهج .

### ج - الصّاح والسّنن

١- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (٢٣٥/٨٤٩) . - المصنّف؛ حقّقه حمد بن عبد الله الجمعة، محمد بن إبراهيم اللحيان . - ط ٢ . - الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٧/٢٠٠٦ .

يعدّ ابن أبي شيبة من أئمة أهل الحديث والسلف وله مكانة عالية عند أهل الحديث . فقد ألّف أربعة وعشرين كتاباً في التفسير والحديث والأحكام . ومن الكتب المعتمدة عند العلماء كتاب المصنّف الذي طبع أول مرّة في الهند بتحقيق مختار الندوي، ثمّ طبع عدّة طبعات منها هذه الطبعة المنقّحة والمحقّقة والمفهرسة، ولم يلتزم ابن أبي شيبة بإيراد ما صحّ فحسب، بل يُورد كلّ ما بلغه على حاله كحال أصحاب السنن والمسانيد . وتبلغ أهميّة هذا الكتاب أنّه يرجع في أسانيده إلى طبقة أتباع أتباع التابعين والغالب أن تكون أسانيده رباعيّة أو خماسيّة بينه والنبيّ، ويصل بعضها إلى ثلاث رجال فقط بينه وبين النبيّ . ويكون بذلك أكثر قرباً من عصر النبيّ عن باقي الصّاح والسنن . وقد اعتمدت عليه في استخراج بعض الأحاديث النبويّة الواردة في الخطب .

٢- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦/٨٦٩) . - صحيح البخاري؛ حقّقه مصطفى ديب البغا . - ط ٥ . - دمشق: دار ابن كثير، دمشق: دار اليمامة، ١٤١٤/١٩٩٣ .

حظي صحيح البخاري بعناية العلماء والمؤلّفين شرحاً له، واستنباطاً لأحكامه . وعدّ أصحّ كتب السنّة . فقد اشترط شروطاً خاصّة في رواية راوي الحديث، وهي أن يكون معاصراً لمن



يروى عنه، وأن يسمع الحديث منه. فأتى صحيحه مبوباً على الموضوعات الفقهيّة . وجملة أحاديث كتابه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالمكرر، ومن غير المكرر أربعة آلاف حديث . وقد كثرت شروحه . واعتمدنا عليه في استخراج بعض الأحاديث النبويّة الواردة في الخطب.

٣- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم (٢٦١ / ٨٧٤). - **الجامع الصحيح:** المسمّى صحيح مسلم. - لا طبعة. - بيروت: دار المعرفة، لا تاريخ.

**الجامع الصحيح** من كتب الحديث ، واتفق العلماء على أنّ أحاديثه صحيحة . وقد استفدت منه في إحالة الأحاديث الواردة في الخطب إلى مكان وجود الحديث في **الصحيح**.

٤- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ / ٨٨٨). - **سنن ابن ماجه؛** حقّقه محمد فؤاد عبد الباقي. - بيروت: المكتبة العلميّة، لا تاريخ.

يُعدّ من كتب الحديث ، وهو في جزأين: الأول في أحد عشر باباً ، والثاني في ستّة وعشرين باباً . ويُلاحظ أنّ ابن ماجه يرجع في سند حديثه إلى ابن أبي شيبة . واستفدت من الكتاب في إحالة الأحاديث الواردة في الخطب إلى مكان وجودها في سنن ابن ماجه.

٥- الزبيدي، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي (٨٩٣ / ١٤٨٧). - **مختصر صحيح البخاري:** المسمّى التجريد الصريح. - ط ٣. - الرياض: دارخزيمة، ١٤١٨ / ١٩٩٧.

تتميّز هذه الطبعة بأنّها جمعت الأجزاء الثمانية ، وحُذفت منها الأحاديث المكررة ، واختُصر السند إلى صحابيٍّ واحد ثمّ النبيّ . ويُعدّ هذا الكتاب تلخيص لصحيح البخاري المعروف بالجامع الصحيح للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦ / ٨٦٩) . واستفدت منه في إحالة الأحاديث الواردة في الخطب إلى مكان وجودها في الصحيح.

## د - كتب التاريخ والجغرافيا

نُعدّ كتب التاريخ من الكتب الضّروريّة للبحث . فقد تشتمل بعض النصوص الخطابيّة على الوقائع التاريخيّة التي حدثت في زمن النصّ الخطابي (Discourse Text) أو قبله ، فنحتاج مصادر التاريخ للإحالة إليها ، واخترت المصادر الآتية لأهمّيّتها وشموليّتها:

١ - اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٩٢ / ٩٠٤). - **تاريخ اليعقوبي.** - ط ٢. - قم: دار الاعتصام، لا.ت.



يتألف الكتاب من جزأين، تحدّث الجزء الأوّل عن عصور ما قبل الإسلام، وأمّا الثاني فتحدّث عن عصر الإسلام وحتى أيّام المعتمد العباسي. ويتّصف أسلوبه في سرد الأحداث بالوضوح. ولم نجده يميل لطائفة دون أخرى أو يُهمل حادثة ويفصل أخرى، بل أنصف في سرد الحوادث، ولكنّها لم تأت مفصّلة، بل مختصرة. وسنعمد عليه في توثيق الحوادث التاريخيّة وأحداث الأمم الماضية وسيرة حياة الأنبياء وشجرة نسبهم.

٢- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد ( ٣١٠ / ٩٢٢ ). - تاريخ الأمم والملوك. ط ١. - بيروت: مؤسّسة الأعلمي، ١٩٩٨.

تحدّث الطّبري في الجزء الأوّل من تاريخه حول الحضارات والشعوب عمومًا، وخصّص الأجزاء السّبعة الأخرى للحديث عن الدّولة الإسلاميّة من عهد الرسول (ص) إلى المعتمد العباسي، وسينصبّ اهتمامنا على الجزء الثالث والرابع، لأنّهما يتحدّثان عن الفترة الزمنية التي عاشها عليّ ابن أبي طالب مع الخلفاء الراشدين وفترة خلافته وزمن خلافة معاوية بن أبي سفيان، كما سنحتاج إلى الأجزاء السابقة للرجوع إلى الحوادث القديمة والأمم الماضية وسيرة حياة الأنبياء وأبنائهم.

٣- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت ٧٧٤/١٣٧٢). - البداية والنهاية. - لا. ط. - بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٥.

توسّع ابن كثير في تفصيل الحوادث التاريخيّة والتميّز بين الأثر الصحيح والسّقيم والقصص الإسرانيّة وغيره، وأضاف أعلامًا وحوادث تاريخيّة إلى نهاية عصره. وتميّز كتابه بجمع الحوادث والوقيّات. لذا سنستفيد من الحوادث التاريخيّة وسيرة حياة الأعلام للتعريف بها في الرسالة. وستواجهنا بعض الأسماء كالبلدان والشخصيّات التي لا بدّ من تعريفها تعريفًا مختصرًا من خلال معاجم الأعلام والبلدان التي سأستعين بها وهي:

١- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ( ٦٣٠ / ١٢٣٢ ). - معجم البلدان. - ط ٢. - بيروت: دار صادر، ١٩٩٥.

ستصادفنا أسماء بلدان غير معروفة في الخطب فلا بدّ من الرّجوع إلى معجم البلدان لياقوت الحموي الذي تناول أسماء البلدان العربيّة وغير العربيّة ورتّبها ترتيبًا أبجديًا، ليسهل العثور على اسم البلد وموقعه الجغرافي.

٢- ابن خلكان (٦٨١ / ١٢٨٢). - وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. - لا. ط. - بيروت: دار الثقافة، لا. ت.

يتألف الكتاب من ثمانية أجزاء تهتم بترجمة الأعلام مع ذكر سنة الوفاة. ومع أن المؤلف أوجز ترجمة بعض الشخصيات فإننا سنرجع إليه في ترجمة بعض الأعلام التي قد ترد في الخطب نظراً لأهمية المصدر أكاديمياً.

٣- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ / ١٣٤٧). - سير أعلام النبلاء. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الصفا، ٢٠٠٣.

يتألف الكتاب من خمسة عشر جزءاً ، ويتميز الكتاب عن سابقه بشموليته وحسن ترتيبه. فقد أفرد مجلداً كاملاً للسيرة النبوية ، كما أفرد مجلداً خاصاً للخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وكبار الصحابة ، ثم أورد باقي الصحابة مع كبار التابعين ، فتسهل عملية البحث عن ترجمة الصحابي أو التابعي من خلال هذين المجلدين فقط مع الحاجة إلى الرجوع لباقي المجلدات التي تناولت شخصيات أخرى ورد ذكرها في الرسالة .

#### هـ - معاجم اللغة

سنحتاج إلى بعض معاجم اللغة لاستخراج معاني المفردات الغامضة، وسنختار أيسرها بحثاً كالاتي:

١- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦ / ٨٨٩). - كتاب المعاني الكبير. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤.

جمع الكتاب أبواباً متنوعة في ثلاثة أجزاء ، وبدأ بباب الخيل وانتهى بباب الميسر. واستفدت من الكتاب في تحديد صفات بعض الحيوانات المذكورة في الخطب كالحية والأسد.

٢- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (٢٨٢ / ٨٩٥). - معجم تهذيب اللغة؛ حققه رياض زكي قاسم. - ط ١. - بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠١.

قام المؤلف بشرح الكلمة من عدة وجوه ، وجمع آراء اللغويين القدماء أمثال الأصمعي وابن الأعرابي ، وعزّز شرحه للكلمة بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية والأمثال. وسنعمد عليه لأنه من أقدم معاجم اللغة ولشموليته وتفصيله.

٣- الثعالبي، أبو منصور إسماعيل ( ٤٢٩ / ١٠٣٧ ). - فقه اللغة وسرّ العربية. - لا طبعة. - قم: مؤسسة إسماعيليان، لا. ت.

**فقه اللغة** من كتب المعاني . فقد جمع فيه الثعالبي معظم معاني الألفاظ كالحيوان ومتعلقاتها والألوان والآثار وكلّ ما يتعلّق بالزرع والمرض وكلّ ما يتعلّق بالأجسام وصفاتها . ولاحظنا ورود أسماء حيوانات أو أصواتها في خطب النهج ، فدعانا ذلك إلى الاستفادة من كتاب فقه اللغة لتعريف معاني تلك الحيوانات وصفاتها ودلالات أصواتها .

٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ( ٧١١ / ١٣١١ ). - لسان العرب. - ط ١. - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥.

معجم لغويّ شامل لمعاني المفردات . يذكر الاستشهادات المتنوّعة كالقرآن الكريم والحديث النبويّ والشعر . ويرجع ابن منظور إلى الأزهري ومن سبقه في بيان معنى الكلمة . ويُفيدنا في توضيح بعض معاني الكلمات في خطب النهج .

## و- مصادر البلاغة

١- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ( ٤٧١ / ١٠٧٨ ). - أسرار البلاغة في البيان؛ صحّحه محمد عبده. - لا. ط. - بيروت: دار المعرفة، لا. ت.

يُعَدّ الجرجانيّ أوّل من أسّس علم البلاغة ووضع قواعده ، ويوجد من كتب قبله في البيان كالجاحظ ، ولكنهم لم يبلغوا في ذلك مبلغ الجرجانيّ . فقد جمع بين العلم والعمل في كتابيه ، فهو يعطيك علمها بمعانيها وعملها في مبانيها ، كما يُسهب في الشرح النافع والاستدلال بالشواهد المتنوّعة ، بينما تقتصر الكتب الأخرى على السرد (Narration) ولا تذكر من الشواهد إلا القليل . ويُفيدنا الكتاب في تعريف التشبيه والاستعارة .

٢- السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ( ٦٢٦ / ١٢٢٨ ). - مفتاح العلوم؛ شرحه نعيم زرزور. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٣.

وهو مؤلّف شامل لمعظم علوم اللّغة العربيّة . فقد تناول علم الصّرف والنحو والبلاغة والعروض. ولم يقتصر عمل السكاكي على ما في كتب الجرجانيّ ، بل استدرّك ما فات عبدالقاهر، وتميّز الكتاب عن سابقه بالدقّة والإحكام في التبويب واستناده إلى العقل في استنباط القواعد. ولا يخلو أسلوبه من التعقيد في بعض استدلالاته والتكلّف في بعض عباراته . وأحاط السكاكيّ بكثير من

قواعد البلاغة المبعثرة في أمّهات الكتب، فقام بتفصيلها وشرحها شرحاً وافياً مدعوماً بالشواهد المتنوعة. وما يهمنّا فيه علم البلاغة عموماً وتعريف التشبيه والاستعارة والكناية خصوصاً.

٣ - ابن قيم الجوزيّة، أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب الزّرعي (١٣٥٠/٧٥١). -  
الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان. - لا. ط. - بيروت: دار الكتب العلميّة، لا. ت.

جمع الكتاب معظم الأغراض البلاغيّة مع الإحالة إلى الأمثلة والشواهد القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأبيات الشعريّة. وسنستفيد منه في تعريف الصور البيانيّة والأغراض البلاغيّة.

## ز - مصادر الأدب

### ١ - كتب الشعر

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦ / ٨٨٩). - الشعر والشعراء. - ط ١. -  
بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٤.

يحتوي الكتاب على مائتين وستة شعراء من أرباب صناعة الشعر الذين يُستشهد بأقوالهم. فقد ذكر ملخصاً موجزاً حول حياة كلّ واحد منهم مع ذكر شيء من شعره. ويهمنّا في كتابه ترجمة حياة الشعراء وإحالة شعرهم الوارد في خطب النهج إلى مصدره في كتاب الشعر والشعراء.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٣٥٦ / ٩٦٦). - الأغاني؛ حقّقه يوسف البقاعي، غريد الشيخ. - ط ١. - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٠ / ٢٠٠٠.

يُعَدّ هذا الكتاب من الكتب المهمّة التي يعتمد عليها معظم النقاد والأدباء والدارسين. فقد جمع معلومات وفيرة حول الشعر العربيّ من العصر الجاهليّ وحتىّ العصر العبّاسيّ، ونسب كلّ شعر إلى قائله مع ذكر سيرة حياة الشاعر. ولم يذكر من الشعر إلا ما له مناسبة مبتعداً عن الحشو. ومن المفيد الرجوع إليه في تحديد مناسبة بعض الأبيات الشعريّة في تناصّ الشعر العربيّ.

### ٢ - كتب الأمثال

- الثعالبي، أبو منصور إسماعيل (٤٢٩ / ١٠٣٨). - التمثيل والمحاضرة؛ حقّقه قصي الحسين. - ط ١. - بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣.

تميّز الكتاب عن غيره من كتب الأمثال باشماله على أمثال العرب والعجم فضلاً عن جمعه ما يُتمثّل به من مأثور القرآن والتوراة والإنجيل والزيور وجوامع كلم النبيّ محمد وكلام الأنبياء والصحابة والتابعين، فرأينا من المناسب الاستفادة منه في شرح الأمثال الواردة في الخطب.

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم (٥١٨ / ١١٢٤). - مجمع الأمثال؛ حققه وشرحه قصي الحسين. - ط ١. - بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣.

جمع الميداني في هذا الكتاب ستة آلاف وثيف من أمثال العرب . وسنستفيد منه في شرح بعض الأمثال الواردة في خطب النهج عند معالجتنا لتناص المثل .

## ثانياً: المراجع

سيقتصر تقويمي للمراجع على المراجع التي لها صلة مباشرة ووثيقة بالرسالة . وقد رتبتهأ ألفبائياً حسب شهرة أصحابها.

### أ- المراجع المتعلقة بنهج البلاغة

عالجت بعض الدراسات نصوص نهج البلاغة ولكنها لم تعالجها من منظور نقدي شامل بالمناهج النقدية الحديثة . ومن تلك الدراسات دراسة الدكتور حامد حنفي داود الذي تناول جانب التوثيق للخطب ، وركزت بعضها على أصول الدين في نصوص النهج كدراسة محمد باقر البهبودي في كتابه أصول الدين على ضوء نهج البلاغة . وتحدثت بعضها في الجانب العقائدي. وجاءت هذه الدراسات وأمثالها خالية من المناهج النقدية الحديثة ، وأتى بعضها بعيدة كل البعد عن اللغة والأدب ، فرأينا من الضروري معالجة النصوص الخطابية بالمناهج النقدية الحديثة ، لقلة الدراسات في هذا المجال معتمدين على المراجع التي شرحت خطب النهج وهي كالاتي:

١- باقر (محسن). - علوم نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: دار العلوم، ١٤٢٣ / ٢٠٠٣.

عالج الكتاب مباحث عدة في نهج البلاغة منها علوم القرآن والأخلاق وعلم النفس والحقوق والاجتماع ، وأفرد فصلاً كاملاً بعنوان: بلاغة نهج البلاغة عالج فيه جماليات العبارات في الخطب وتطرق إلى صور التشبيه والاستعارة والكناية فيها . وسنستفيد من تحليله البلاغي في معالجة تفاعل الصورة البيانية بالتناص في خطب نهج البلاغة .

٢- الخوئي (حبيب الله الهاشمي). - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣.

يعد هذا المرجع من أكثر المراجع تفصيلاً في شرح الخطب. ويتكوّن الكتاب من اثنين وعشرين جزءاً، وينقسم الشرح فيه إلى ثلاثة أقسام يقوم الأول بشرح النص لغوياً، أما الثاني فيقوم

على إعراب كلمات الخطب، وأمّا الثالث فيشرح النصّ بالتفصيل ويحيل العبارات إلى الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة. ورأينا من المناسب الرجوع إليه للاستفادة من شرحه الموسّع للخطاب.

٣- شبر (عبد الله). - نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة. - ط ١. - قم: انتشارات محبّين، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

اعتمد المؤلّف فيما يتعلّق بالتواريخ والقصص على شرح ابن أبي الحديد، واعتمد فيما يتعلّق بالإعراب والتحليل والشرح على ابن ميثم، فخرج كتابه المسمّى نخبة الشرحين خلاصة للشرحين: شرح ابن أبي الحديد، وابن ميثم. واستفدنا منه في التحليل وشرح الخطب.

٤- الصالح (صبحي)، نهج البلاغة لعليّ بن أبي طالب. - لا. ط. - إيران: مركز البحوث الإسلاميّة، ١٣٩٥.

لم يقدّم المؤلّف بشرح الخطب، ولم يأت بجميع خطب نهج البلاغة، بل بنماذج منها، ولكنّ العمل مفيد للرسالة، لأنّ الكتاب يُعدّ معجمًا مفهرسًا للخطب. فقد قسّم صبحي الصالح كتابه كالآتي:

- فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة .
- فهرس للموضوعات العامّة مرتبة أبجديًا .
- فهرس الخطب وأنواعها .
- فهرس الرّسائل وأنواعها .
- فهرس الآيات القرآنيّة .
- فهرس العقائد الدينيّة .
- فهرس الأحكام الشرعيّة .
- فهرس العبارات الشبيهة بالفلسفيّة والكلاميّة .
- فهرس التعاليم والوصايا الاجتماعيّة .
- فهرس الأدعية والابتهالات .
- فهرس الأبيات الشعريّة .
- فهرس الأعلام والقبائل والطوائف والشعوب .
- فهرس الحيوان والنبات والكواكب .
- فهرس الوقائع التاريخيّة .

ويُعدّ هذا الكتاب مهماً للدراسة، لأنه يُسهّل عمليّة البحث عن موضوع معين أو كلمة أو آية قرآنيّة .

٥- علي (عبّاس). - شرح نهج البلاغة. - ط ٢. - بيروت: دار الرسول الأكرم، ٢٠٠٧/١٤٢٨.

كتاب جيّد التخرّيج. فقد قُسم إلى قسمين: الأوّل فيشرح معاني مفرات النصّ، والثاني فيشرح النصّ. ويتميّز بالتفصيل والعمق، ولم يغفل الجانب البلاغي. فقد بيّن الغرض البلاغي للخبر أو الإنشاء. واستفدنا منه في الشرح والتحليل وتوضيح الأغراض البلاغيّة من خلاله.

٦- الغروي (محمّد). - الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة. - ط ٤. - قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧/٢٠٠٦.

جمع مؤلّفه ما يقرب من ألف مثل من نهج البلاغة، ورتّبها أبجديّاً حسب الحرف الأوّل في المثل، وأحال القارئ إلى مكان وجودها في الخطب، فضلاً عن شرحه الأمثال شرحاً وافياً. فقد بيّن مكان وجودها في المصادر المخصّصة للأمثال كالتمثيل والمحاضرة ومجمّع الأمثال. ويسهّل الكتاب علينا الوصول إلى المثل السائر في الخطب، فضلاً عن إمكانيّة الاستفادة من شرحه لمعاني الأمثال وألفاظها الغامضة.

٧- محمّدي (كاظم)، دشتي (محمّد). - المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة. - لا طبعة. - بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٦/١٩٨٦.

معجم مفهرس يبحث عن الكلمة بإرجاعها إلى أصلها الثلاثي ويُحيل إلى مكان وجودها في الخطب، فيسهّل عمليّة البحث على الدارس. ويحتوي على ما جمعه الشريف الرضيّ من خطب ورسائل وحكم واشتماله على معجم لمعاني الكلمات الغامضة في خطب النهج. ويُعدّ هذا المعجم أساسياً وضرورياً في عمليّة البحث وتتبع الخطب.

٨- مكارم (ناصر). - شرح نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: دار جواد الأئمّة، ١٤٢٧/٢٠٠٦.

قام مؤلّفه بشرح الخطب من الناحية الدنيّة والعقائديّة والعلميّة، فيشير إلى الآيات القرآنيّة كما يناقش بعض الآراء العقائديّة ويربط علاقة بعض الخطب بالظواهر الكونيّة والجغرافيّة والبيئيّة. واستفدنا من شرحه في بعض الخطب.

٩- الموسوي (صادق). - تمام نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: الدار الإسلامية، ١٤١٤/١٩٩٣.

قام الباحث بمقابلة النسخ بعضها ببعض كنسخة ابن أبي الحديد وابن ميثم ومحمد عبده وغيرها من النسخ وثبت ما سقط من إحداها وصحح الخطأ الوارد فيها ، ثم جمع عدداً من الشروح ودمجها في شرح موحد ومختصر وخرج كتابه المسمى تمام نهج البلاغة بشكل منظم، ولكنه يخلو من التفاصيل التاريخية والتفصيل البلاغي والنحوي. واستفدنا من شرحه الموجز في بعض الخطب.

#### ب- مراجع التناصّ عمومًا

سأعتمد في تعريف التناصّ وأهم أشكاله على المراجع الآتية:

١- بارت (رولان). - لذة النص؛ ترجمة منذر عياشي. - ط ٢. - سورية: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢.

يُعدّ بارت من مؤسسي التناصّ بعد جوليا كريستيفا إلا أنه أطلق مصطلح العنكبوتية المرادف للتناصّ. وسنستفيد من كتابه في بيان الفرق بين تعريف كريستيفا للتناصّ وتعريفه .

٢- البقاعي (محمد خير). - آفاق التناصّ: المفهوم والمنظور. - لا طبعة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة، لا تاريخ.

يحتوي الكتاب على مجموعة من الدراسات الأدبية لمؤسسي التناصّ كرولان بارت وأنجينو وجينيت. وعالجت الدراسات مفهوم التناصّ . وسنستفيد منها في تعريف التناصّ وذكر أهم أنواعه.

٣- بلعابد (عبد الحق). - عتبات: جيران جينيت من النصّ إلى المناصّ. - ط ١. - الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٩/٢٠٠٨.

أوضح المؤلف المقصود بعتبات جينيت من خلال كتابه. فقد عدّد أنواع عتبات النصّ التي تُعرف بالمناصّ لدى جينيت، وبدأ بمناصّ الناشر وانتهى بالمناصّ التأليفي، وأفرد في آخر الكتاب فهرست المصطلحات. وسُيعيننا فهرست المصطلحات في تحديد المصطلح وما يرادفه باللغة الإنجليزية، فضلاً عن تعريف المناصّ .

٤- بو خاتم (مولاي علي). - مصطلحات النقد العربي السيميائي. - لا طبعة. - دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥.



جمع الكتاب معظم المصطلحات النقدية الحديثة ومرادفها باللغة الإنجليزية مع تعريف مفصل للمصطلحات. واستفدنا من الكتاب في تعريف التناص وما يرادفها باللغة الإنجليزية.

٥- جينيت (جيرار). - مدخل إلى النصّ الجامع؛ ترجمة عبد العزيز شبيل. - لا طبعة. - القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩.

عرف جيرار جينيت التناص في هذا الكتاب وأطلق عليه اسم التناص النصي، واستفدنا من تعريفه للتناص. ويوجد في الكتاب معجم للمصطلحات الأجنبية وترجمتها إلى العربية، وسيعيننا في ترجمة المصطلحات الأدبية في الرسالة.

٦- ساميول (تيفين)؛ ترجمة نجيب غزاوي. - التناص ذاكرة الأدب. - لا طبعة. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧.

جمع تيفين تعريف نقاد الغرب للتناص ككريستيفا وباختين وبارت، وأتى بمرادفها في اللغة الإنجليزية. واستفدنا من اختلاف آراء الباحثين والنقاد الغرب في تعريف التناص، فضلاً عن الاستفادة من فهرست المصطلحات العربية ومرادفها باللغة الإنجليزية.

٧- كريستيفا (جوليا). - علم النصّ؛ ترجمه فريد الزاهي. - ط ٢. - الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩٧.

تعدّ كريستيفا الرائد الأول في التناص، وسنستفيد من تعريفها للتناص.

٨- محمد (عزة شبيل). - علم لغة النصّ: النظرية والتطبيق. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٨/٢٠٠٧.

تنقسم الدراسة إلى قسمين: نظرية علم النصّ، وتطبيق النظرية. وعالجت الباحثة في الفصل الرابع التناص مفهومه وأشكاله. وسنستفيد من الدراسة في تحديد معنى التناص وأشكاله.

٩- المصفار (محمود). - التناص بين الرؤية والإجراء في النقد الأدبي: مقارنة محايدة للسرقات الأدبية عند العرب. - لا طبعة. - تونس: مطبعة التشفير الفني، ٢٠٠٠.

من الكتب النظرية المتخصصة. فقد ركزت الدراسة على تعريف التناص ونشأته عند الغرب وما يقابله من مصطلحات عند العرب. واستفدنا منه في تحديد معنى المصطلح ونشأته.

١٠- مفتاح (محمد). - تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. - ط ٤. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥.

يرى محمد مفتاح أن القصيدة عبارة عن نظم تاريخي لأحداث ووقائع وأسماء أشخاص وأماكن ، فقام بعرض تقنية جديدة في التحليل تكشف مقاصد الشاعر الظاهرة والمضمرة . ويهتمنا في الدراسة معالجته لأنواع التناص وآلياته في الفصل السادس .

١١- المناصرة (عز الدين). - علم التناص المقارن. - ط ١. - عمان: دار مجدلاوي،

٢٠٠٦/١٤٢٧.

تحدث المؤلف في الفصل الأول عن التناص كآلية للتحليل ، وتحدث في الفصل الرابع عن تقنيات السرد الشعري في الأنواع الأدبية (قراءة تناصية) وبين فيهما استراتيجيات تحليل النصوص بمنهج عنكبوتي تفاعلي ، وأشار إلى مسميات التناص كالتفاعل النصي والتداخل النصي والقراءة الطباقية ، فجاءت دراسته وافية ومعينة للرسالة نظرياً .

١٢- وهبه (مجدي)، المهندس ( كامل ). - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.

- ط ٢. - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤.

اشتمل المعجم على معظم مصطلحات النقد الأدبي القديمة والحديثة. وتميز المعجم بشمولية مصطلحاته واختصار التعريف . واستفدنا من المعجم في تعريف المصطلحات النقدية ، فضلاً عن الاستفادة من ترجمة المصطلح النقدي القديم كالاقتباس والتضمين إلى اللغة الإنجليزية .

١٣- يقطين (سعيد). - انفتاح النص الروائي. - ط ٢. - الدار البيضاء: المركز الثقافي

العربي، ٢٠٠١.

يُعدّ سعيد يقطين من رواد النقد العربي الحديث . فقد أطلق على التناص مصطلح التفاعل النصي . ويتكوّن كتابه من ثلاثة فصول . ويهتمنا فيه الفصل الثاني المخصّص للتفاعل النصي . فقد عرّفه وبين أشكاله وعدّد أنواعه . واستفدنا من كتابه كثيراً في تعريف التفاعل النصي وتحديد أشكاله وأنواعه.

### ج- مراجع التناص في الأدب العربي

تبيّن الحالة الراهنة أن التناص أشبع دراسة نظرية وتطبيقية في الآداب العربية ككتاب عزّ الدين المناصرة: علم التناص المقارن ، وكتاب الجديد في السرد العربي المعاصر لعبدالله أحمد التي أفردت فيه فصلاً لدراسة التناص ، وكتاب التناص بين الرؤية والإجراء في النقد الأدبي: مقاربة

محاينة للسراقات الأدبية عند العرب لمحمود المصفار . أمّا دراسة التناصّ تطبيقياً فقد تناولها كتاب خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي: استراتيجيّة التداخل النصّي عند أدونيس . وأفرد عاطف أحمد الدرابسة فصلاً في التحليل التناصّي في كتابه قراءة النصّ الشعري الجاهلي في ضوء نظريّة التّأويل . وصدر في بعض الدوريات والمجلّات مقالات تناولت التناصّ كمقالة عبدالله الحرّاصي في مجلّة نزوى الثقافيّة بعنوان: في ترجمة الاستعارة العربيّة عرّف التناصّ واستشهد ببعض التناصّات الشعريّة . ونشرت مجلّة اتحاد الكتّاب العرب عام ٢٠٠٥ موضوعاً لمحمّد عزّام بعنوان: شعريّة الخطاب السردّي عالج فيه التناصّ بكافّة أنواعه من خلال رواية (Novel) (سيرة الزير سالم)، وبين تعدّد مرجعيّات التناصّ من التراث الديني، والقرآن الكريم ، والتراث التاريخي الإسلامي ، وأحاديث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وعمر بن الخطّاب والشعر الجاهلي ، فحدّد مواضع التناصّ القرآني في الرواية. وأصدرت ليديا وعد الله كتابها التناصّ المعرفي في شعر عزّ الدين المناصرة عام ٢٠٠٥ . وأعرض هنا مجموعة من مراجع التناصّ في الأدب العربي.

١- البادي (حصّة). - التناصّ في الشعر العربي الحديث: البرغوثي نموذجاً. - ط

١. - عمّان: دار كنوز المعرفة، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩.

أعدّت الباحثة الدراسة في أربعة فصول: نشأة التناصّ ، مصادر التناصّ في خطاب البرغوثي ، آليّات التناصّ في خطاب البرغوثي ، تقنيّات التناصّ في خطاب البرغوثي . وما يهمّ دراستنا الفصول الثلاثة الأولى التي توضّح الجانب النظريّ كتعريف التناصّ وأهمّ أنواعه.

٢- بلقاسم (خالد). - أدونيس والخطاب الصوفي. - ط ١. - الدار البيضاء: دار توبقال،

٢٠٠٠.

تتبع المؤلّف في كتابه التداخل النصّي الصوفيّ في قصائد أدونيس ، وكشف التعالقات التوالدية مركّزاً على التناصّ الصوفي . وسأستفيد من منهجه وآليّة تحليله .

٣- الجعافرة (ماجد ياسين). - التناصّ والتلقي: دراسات في الشعر العباسي. - ط

١. - إربد: دار الكندي، ٢٠٠٣.

عرّف المؤلّف في الفصل الأوّل مفهوم التناصّ ومصادره القديمة والحديثة وأشكاله ومقاصده ، وتتبع مواضع التناصّ في النصوص العباسيّة . وستسهّل الدراسة تحديد أشكال التناصّ ومقاصده ، كما ستساعد الدراسة التطبيقية على الاستفادة من أساليب تحليل النصوص .

٤- حمّاد (حسن محمّد). - تداخل النصوص في الرواية العربية. - لا طبعة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، لا تاريخ.

تركز الدراسة على علاقات التناص من خلال النصوص الآتية :

أ- حديث عيسى بن هشام لمحمّد المويلحي.

ب- أحلام شهر زاد لطفه حسين .

ج- رواية ذات لصنع الله إبراهيم .

وستفيدنا الدراسة في التعرف على آلية تحليل النصوص والمنهج المتبع في التحليل .

٥- زايد (علي عشري). - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. -

لا طبعة. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧/ ١٩٩٧.

عالج كتاب استدعاء الشخصيات التراثية ملامح استعارة الشخصيات ، وخصّص المؤلف

الفصل الثالث للحديث حول أنواع استعارة الشخصيات في الشعر المعاصر ووزّعها كالاتي :

أ- استعارة صفة الشخصية.

ب- استعارة بعض أحداث حياة الشخصية.

ج- استعارة بعض أحوال الشخصية.

وتبرز ظاهرة استدعاء الشخصيات في خطب نهج البلاغة حاملة صفات مختلفة منها:

الصديق والعدو، والرسول والمرسل إليه، والقوي والضعيف، والحاكم والمحكوم. ويُعدّ استدعاء

الشخصيات نوعاً من أنواع التناص في الخطب، فلا بدّ من معالجة ملامح استدعاء الشخصيات

فيها. وسيفيدنا منهج عليّ عشري زايد في معالجة الشخصيات في خطب النهج .

٦- الشناوي (علي الغريب). - من المنهج الطقوسي إلى التناص: دراسة نقدية تحليلية في

الأدب الأندلسي. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤.

ما يهتمنا في الكتاب معالجته التفصيلية لأنواع التناص وأشكاله لدى بعض روّاده من العرب

كمحمّد مفتاح وصلاح فضل ، فضلاً عن معالجته لنماذج تطبيقية متنوعة في الأدب الأندلسي .

٧- الصايغ (وجدان). - الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث. - ط ١. -

بيروت: المؤسسة العربية، ٢٠٠٣.

جعلت وجدان الصايغ الصّورة الاستعارية أحد مرادفات التناص ، وعالجت المؤلفة في الفصل الأول استدعاء التناص من شعر الأخطل الصغير كالآتي :

أ- التناص المعنوي (لوحة الهوى - لوحة الحسن - لوحة الموت) .

ب- التناص المحسوس (لوحة الطير - لوحة النجم - لوحة الليل - لوحة النهر - لوحة الورد).

وعالجت في الفصل الخامس فاعلية الصّورة الاستعارية في (الشخصية - الحدث - السرد). وتقسيم المؤلفة ومنهجها مفيد للرسالة لدى معالجة تفاعل الصورة البيانية بالتناص في خطب النهج.

٨- عزّام (محمّد). - النصّ الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي. - لا طبعة. - دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

تتبع الباحث تعريف التناص عند البنيويين الغرب ، وتتبع ما يرادف مصطلح التناص عند النقاد العرب القدماء وتوصل إلى أنّ تداخل النصوص بعضها ببعض ليس وليد العصر الحديث، بل وظفه العرب القدماء في خطبهم وأشعارهم واختلف نقاد العرب في التسمية بين اقتباس وتضمن ومعارضة وسرقة إلا أنه يحمل معنى التناص نفسه . واستفدنا من الكتاب في تحديد المصطلحات وما يرادفها بالإنجليزية ، فضلاً عن تحديد ما يقابل مصطلح التناص عند البلاغيين العرب القدماء.

٩- العمري (حسين منصور). - إشكالية التناص: مسرحيات سعد الله ونّوس أنموذجاً. - ط ١. - عمان: دار الكندي، ٢٠٠٧.

يعدّ الكتاب من الكتب المهمة للدراسة . فقد استفدنا منه في منهجه كما استفدنا من الفصل الأول في تعريف التناص ومعناه عند العرب القدماء في تمهيد الرسالة خصوصاً .

١٠- كندي (محمّد علي). - الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث: السيّاب ونازك والبيّاتي. - ط ١. - بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٣.

هذا الكتاب في الأصل هو رسالة لنيل درجة الماجستير . فقد طرح المؤلف قضية التناص المعنوي بمسمى القناع وجعل من الشخصيات التراثية في شعر السيّاب ونازك والبيّاتي محوراً للبحث. وتناول الباحث في كتابه الجوانب الآتية :

أ- مفهوم القناع عند (عبد الوهاب البيّاتي - إحسان عبّاس - علي عشري زايد- جابر عصفور).  
ب- أنواع القناع.

ج - أسباب القناع وأغراضه.

د - الخصائص الأسلوبية للقناع وتحدث فيه حول التناص في أسلوب القناع.

وسنستفيد من تجربة المؤلف في معالجة أنماط التناص المعنوي .

١١- كيوان (عبد العاطي). - التناص الأسطوري في شعر محمد إبراهيم أبوسنة. -

ط ١. - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٢٣/ ٢٠٠٣.

يزخر شعر أبو سنة بأنواع مختلفة من التناص وفي مقدمتها التناص الأسطوري ، فقد عالجه بإسهاب تفصيلي ، وقام على المحاور الآتية:

أ- المحور الاسترجاعي: ويعالج فيه استجلاء النصوص والكشف عن دلالاتها الجديدة .

ب- المحور التأويلي: وهو منهج ينطلق من النص ذاته ويعتمد على المذخور الثقافي للباحث.

ج- المحور الأسلوبي: ويهتم كيوان فيه بمفردات أبو سنة كمفاتيح للتحليل .

واستفدنا من تعريفه للتناص وأنواعه وأسلوبه التحليلي .

١٢- كيوان (عبد العاطي). - التناص القرآني في شعر أمل دنقل. - ط ١. - القاهرة:

مكتبة النهضة المصرية، ١٤١٩/ ١٩٩٨.

تعد هذه الدراسة رائدة في بابها؛ لأن المؤلف أفرد كتاباً كاملاً تتبّع فيه التناص القرآني في شعر أمل دنقل. واستفدنا من منهجه في فهم آلية تحليل التناص القرآني في خطب نهج البلاغة .

١٣- كيوان (عبد العاطي). - تناسات القهر والأحزان. - ط ١. - القاهرة: مكتبة النهضة

المصرية، ١٤٢٤/ ٢٠٠٤.

احتوت الدراسة على رسائل أربعة :

أ- رسالة من أب مصري إلى الرئيس الأمريكي للشاعر عبد الرحمن الشرقاوي .

ب- رسالة إلى بوش من طفلة مسلمة بالبوسنة لفاروق جويده .

ج- رسالة من مواطن مصري إلى الرئيس بوش لفاروق شوشة .

د- دراسة سيميولوجية في ضوء منهجي: التناص والأسلوبية المقارنة.

وعالجت الرسالة الأولى تأثر الشاعر بالتناص القرآني، وفي الثانية تأثر الشاعر بتناص

مباشر مع الشرقاوي، وفي الثالثة دلالة العنوان والرسالة ومستوى الصورة والإيقاع، وخصص

الدراسة الرابعة للمقارنة بين تناسات الشرقاوي وجويده وشوشة ومدى تفاعلها تلاقياً وتقابلاً.

وأرى أن الدراسة مهمة للرسالة أسلوباً ومنهجاً ومضموناً ؛ لما تحتويه من تنوع التناصّات الصّريحة والضمّنيّة .

١٤- المانعي. - التناصّ في الخطاب الشعري العمانيّ المعاصر. - ج ١ - ٢٠٥ ص  
مستسخة.

رسالة ماجستير: في اللغة العربيّة وآدابها: جامعة عين شمس، كلية الآداب: ١٩٩٠.

عالم المانعي في الرسالة التناصّ في الشعر العمانيّ المعاصر وقسمها إلى أربعة فصول:

١- مفهوم التناصّ .

٢- مصادر التناصّ في الخطاب الشعري العمانيّ المعاصر الدّينيّة والتراثيّة .

٣- آليّات التناصّ في الخطاب الشعري العمانيّ المعاصر .

(استدعاء الشخصيّات - استدعاء الوظيفة - استدعاء الخطاب) .

٤- أشكال التناصّ في الخطاب الشعريّ العمانيّ المعاصر .

(التناسّ الموافق - التناصّ المضاد - التناصّ المحور - التناصّ المجزوء).

واستفدنا من منهجه وطريقة سير الفصول، فضلاً عن تعريفه للتناصّ وتحديد أشكاله.

١٥- ناهم (أحمد). - التناصّ في شعر الرواد. - ط ١. - القاهرة: دار الآفاق العربيّة،  
٢٠٠٧/١٤٢٨.

أوضح ناهم مفهوم التناصّ وعدّد أنواعه وآليّاته. واستفدنا منه في تعريف التناصّ وأنواعه.

١٦- وعد الله (ليديا). - التناصّ المعرفي في شعر عزّ الدين المناصرة. - ط ١. -  
عمّان: دار مجدلاوي، ١٤٢٥/٢٠٠٥.

قسّمت ليديا رسالة الماجستير إلى قسمين: القسم النظري ، والقسم التطبيقي . وعالجت التناصّ من الموروث الشعري الشعبي ، وركّزت على التناصّ الأسطوري في شعر عزّ الدين المناصرة . واستفدنا منها في المنهج وتحديد معنى المصطلحات التناصيّة.

ويُكمّل بحثي الأبحاث السابقة ويسدّ الفراغ ويستخلص النتائج الجديدة . وتوجد كتب أخرى في الرسالة استفدنا منها ووضعناها في قائمة المصادر والمراجع مكتفين في عمليّة تقويم المصادر والمراجع بالكتب التي ذكرتها ، آملاً أن تنال القبول .



## التمهيد

يُعدّ التناصّ (Intertextuality) مصطلحاً نقدياً حديثاً " وهو مصدر قياسيّ على وزن تَفَاعَلَ: "تَنَاصَصَ" فأدغمت الصاد الأولى في الصاد الثانية فقل: تناصّ يتناصّ تناصّاً وتعني المشاركة<sup>١</sup>. وأول من نادى به جوليا كريستيفا التي رأت أنّ النصّ يتكوّن من ألفاظ عدّة وذلك في قولها: " من هذا المنظور نحدّد النصّ كجهاز عبر لساني يُعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المترامنة (Simultaneous) معه . فالنصّ إذن إنتاجيّة... وأنّه ترحال للنصوص وتداخل نصّيّ. ففي فضاء معيّن تتقاطع وتتنافر ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى...<sup>٢</sup>. ولذا ركّزت في هذه الدراسة على التناصّ من حيث مواطن التناصّ الواردة في خطب النهج ومدى تلاحم التناصّ داخلها وتوضيح أشكال التناصّ وذلك من خلال الآراء النقدية المستوحاة من كتب النقاد الحداثيين ورواد التناصّ أمثال جوليا كريستيفا ورولان بارت ومحمّد مفتاح وسعيد يقطين . فقد حدّدوا للتناصّ أشكالاً عدّة وقد لاحظت أنّ خطب النهج تفاعلت داخلها بعض هذه الأشكال وهي:

- ١- التناصّ الموافق (Accession Intertextuality) ويقصد به موافقة الحدث للتناصّ ويُسمى التناصّ المؤيّد ، وتناصّ النّالْف . وهو محاولة التوفيق بين نوعين من الخطاب<sup>٣</sup>. كقول عليّ ابن أبي طالب: " فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحَنُ الْبُلُوَى، أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"<sup>٤</sup>.
- ٢- التناصّ المضادّ (Opposite Intertextuality) وهو مخالفة النصّ الحاضر للنصّ الغائب كأن يعتمد المؤلّف إلى قلب معاني ألفاظه في صورة نقيضة ويطلق عليه التناصّ المعارض<sup>٥</sup>. كقول عليّ بن أبي طالب: " وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - محمود المصفار، التناصّ بين الرؤية والإجراء، ص ١.

<sup>٢</sup> - جوليا كريستيفا، علم النصّ، ص ٢١.

<sup>٣</sup> - علي بن سالم المانعي، التناصّ في الخطاب الشعري العماني المعاصر، ص ٥١؛ حصّة البادي، التناصّ في الشعر العربي الحديث، ص ١٥٣.

<sup>٤</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٩؛ والآية من سورة قاطر، ٨/٣٥.

<sup>٥</sup> - علي بن سالم المانعي، م. س.، ص ٥١؛ حصّة البادي، م. س.، ص ١٥٩.

<sup>٦</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ٢٧١.



٣- التناص الإضماريّ وهو ممارسة الكاتب الاقتباس المبتور ليحرّف النصّ عن وجهته الأصلية<sup>١</sup>. كقول عليّ: "بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثُمُودُ أَمَّا لَوْ أَشْرَعَتْ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصَبَّتِ السُّيُوفُ..."<sup>٢</sup>.

٤- المُنَاصّ الموافق (Accession Para text) هو البنية (Structure) النصيّة المتوافقة مع النصّ الحاضر (Present text) والتي تشترك وبنية نصيّة أصلية تجاورها مع المحافظة على بنيتها كاملة مستقلة<sup>٣</sup>. كقول عليّ بن أبي طالب: "وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ"، فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ..."<sup>٤</sup>.

٥- التناص المحوّر وهو أحد أشكال التناصّ وهو أن يعتمد المؤلف إلى نصّ مستقلّ ومتكامل بذاته فيقطعه من سياقه ويضعه في نصّه اللاحق بعد أن يغيّر في بنيته الأصلية، فيزيد فيه أو ينقص ويُقدّم فيها أو يؤخّر<sup>٥</sup>. كقول عليّ بن أبي طالب: "...فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: "إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ" اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ..."<sup>٦</sup>.

وحَدّد النقاد نوعين للتناصّ الأول صريح والثاني ضمنيّ. ويُعرّف التناصّ الصريح (Outspoken Intertextuality) أو ما يسمّيه النقاد بالمباشر بأنه اجتزاء قطعة من النصّ أو النصوص السابقة ووضعها في النصّ الجديد. وأمّا التناصّ الضمنيّ (Implicit Intertextuality) أو ما يُسمّى لدى النقاد بغير المباشر فهو الذي يُستنبط من النصّ استنباطاً . وتشترط عزّة شبل محمّد نجاح استنباط التناصّ الضمني من داخل النصّ الحاضر على "المقروء الثقافيّ أو الذاكرة التاريخيّة التي تُفهم من تلميحات النصّ وإيماءاته"<sup>٧</sup>، أي تمتّع المتلقّي (Receiver) بمخزون ثقافيّ يؤهّله لاكتشاف التناصّ الضمني من أعماق النصّ الحاضر . ومن الباحثين من قسّم التناصّ على النحو الآتي:

<sup>١</sup> - عزّة الدين المناصرة، علم التناصّ المقارن، ص ١٤٥.

<sup>٢</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٣٢.

<sup>٣</sup> - سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ٩٩؛ المانعي، التناصّ في الخطاب الشعري العماني المعاصر، ص ٥١.

<sup>٤</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ١٧٣؛ والآية من سورة النساء، ٤ / ٥٩.

<sup>٥</sup> - عزّة الدين المناصرة، م. س.، ص ١٧٩؛ أحمد طعمة حليبي، التناصّ بين النظرية والتطبيق، ص ١٧٢.

<sup>٦</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ٢٥٣؛ والآية من سورة ص، ٣٨ / ٧١ - ٧٣.

<sup>٧</sup> - عزّة شبل محمّد، علم لغة النصّ، ص ٨٠.

أ- تداخل شكلي: وهي البنية الظاهرة التي تُعطي معناها العام .

ب- تداخل مضموني: وهي البنية الخفية التي يمكن تلمسها بين النصين<sup>١</sup>.

وينقسم التناصّ الصريح إلى نوعين :

١- التناصّ الصريح الكليّ (Intertextuality Explicit overall) وهو اقتطاع نصّ متكامل من سياقه السابق ووضعه في النصّ اللاحق (Subsequent text) على حاله من دون أيّ تغيير في بنيته الأصلية لا بزيادة ولا بنقصان ، ولا بتقديم ولا بتأخير . سواء في ذلك كان ضمن علامتي تنصيص أم لا . فالتناصّ القرآنيّ الكليّ يعني الاقتباس الكامل لأيّة أو جملة من آية قرآنية<sup>٢</sup>.

٢- التناصّ الصريح الجزئيّ (Intertextuality Explicit Partial) وهو اقتطاع عبارات وجمل أو تراكيب جزئية غير مكتملة من النصّ السابق ووضعه في النصّ اللاحق . فالتناصّ القرآنيّ الجزئيّ يعني اقتباس المعنى فقط مع الإبقاء على كلمة من الكلمات الدالة على الآية<sup>٣</sup>.

وأما مصادر التناصّ فأشهرها القرآن الكريم والحديث النبوي والمثل العربي الشعر العربي وأما عن التناصّ الأسطوريّ (legendary Intertextuality) والذي يُراد به القصة الإنسانية التي تحمل نوعاً من الخلط بين الحقيقة والخرافة، والرمز المجاز (Trope) فتندر في خطب النهج.

وأما التناصّ الضمني فله ثلاثة أشكال في خطب نهج البلاغة هي:

١- التناصّ الديني (Religion Intertextuality) وهو حضور كلمة أو كلمتين تحيلان

ضمناً إلى نصّ قرآنيّ ويعتمد على القرائن المعنوية التي تشير إلى آية قرآنية معينة.

٢- تناصّ الشخصيات (Famous Intertextuality) وذلك بذكر اسم الشخصية أو

لقبها أو صفاتها.

٣- التناصّ التاريخي (Historic Intertextuality) وهي الألفاظ التي تحيل إلى حدث

تاريخيّ قريب أو بعيد .

ووضع النقاد آليات متنوعة للتفاعل النصّي . وقد لاحظنا خمساً منها في خطب النهج وهي

كالآتي:

<sup>١</sup> - محمد سالم سعد الله، مملكة النصّ، ص ١٢٩.

<sup>٢</sup> - أحمد طعمة حلبي، التناصّ بين النظرية والتطبيق، ص ١٦٨؛ حصّة البادي، التناصّ في الشعر العربي الحديث، ص ٤٠.

<sup>٣</sup> - أحمد طعمة حلبي، م. س.، ص ١٧٨، حصّة البادي، م. س.، ص ٤٠.

<sup>٤</sup> - الأسطورة: هي بمثابة الفناع والرمز حول قضايا طارئة؛ عبد العاطي كيوان، التناصّ الأسطوري، ص ١٧، ١٩.

١- التكرار (Repetition): ويكون على مستوى الأصوات والكلمات والصيغ<sup>١</sup>.

٢- التمثيط بالقلب (Inversion Text): يُعدّ التمثيط بالقلب آلية (Mechanism) من آليات التناصّ ولها أشكال عدّة منها: القلب، والتصحيف . ويسمّيه بعضهم تناصّ القلب وهو قلب موقف العبارة أو أطرافها<sup>٢</sup>.

٣- التناصّ الخارجي (Intertextuality Outer) اللاحق للنصّ الحاضر : ويُعرف بالتفاعل الخارجي . وتتفاعل فيه نصوص الكاتب مع نصوص غيره التي ظهرت في عصور بعيدة<sup>٣</sup>، ويقول رولان بارت : " ولابدّ من إدراج النصوص اللاحقة فيما يسمّى بتناصّ النصوص: فمصادر نصّ من النصوص لا توجد سابقة عليه فحسب ، بل لاحقة به كذلك " <sup>٤</sup>

٤- التناصّ الداخلي ° (Intertextuality Procedure) المعاصر للنصّ الحاضر: ويُعرف بالتفاعل النصّي الداخلي. ويقصد به دخول نصّ الكاتب في تفاعل مع نصوص كتاب عصره<sup>٥</sup>.  
٥- الرمز ( Symbol ): ويقصد بالرمز كلمة أو عبارة أو تعبير يمتلك مركّباً من المعاني المترابطة ويعتمد على الإيحاء (Suggestion). والرمز تركيب لفظي يستلزم مستويين: مستوى الصورة الحسيّة، ومستوى الحالات المعنويّة<sup>٦</sup>.

وأجمع النقاد على أنّ جوليا كريستيفا أوّل من اشتقّ مصطلح التناصّ. فقد أثبت عزّ الدين المناصرة ذلك قائلاً: "هناك إجماع نقديّ عالميّ على أنّ جوليا كريستيفا البلغاريّة التي تحمل الجنسيّة الفرنسيّة هي أوّل من وضع مصطلح "التناصّ" عام ١٩٦٦ ميلاديّة منطلقاً من مفهوم "الحواريّة" عند باختين"<sup>٧</sup>، وأكد سعيد سلام " أنّ الفضل في وضع مصطلح التناصّ يرجع إلى جوليا كريستيفا التي استبدلت مفهوم تفاعل الذوات بمفهوم التناصّ"<sup>٨</sup>. وذكر سعيد يقطين أنّ جوليا

<sup>١</sup>- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص ١٢٦.

<sup>٢</sup>- محمّد مفتاح، م. ن.، ص ١٢٥ - ١٢٦؛ عزّ الدين المناصرة، علم التناصّ المقارن، ص ١٤٥.

<sup>٣</sup>- سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ١٠٠.

<sup>٤</sup>- رولان بارت، التحليل النصّي، ص ٣٥.

<sup>٥</sup>- يطلق بعضهم مصطلح التناصّ الداخلي على الدالّ المولّد أي أنّ يظهر دالّ في موضع ما من النصّ ويتولّد عنه كوكبة من الدوالّ الأخرى . وهذا التوالد يتمّ عن طريق آليات الاستعارة والكناية؛ عبد العاطي كيوان، التناصّ القرآني، ص ٢٣.

<sup>٦</sup>- سعيد يقطين، م. س.، ص ١٠٠.

<sup>٧</sup>- محمّد علي كندي، الرمز والقناع، ص ٥٣ - ٥٤.

<sup>٨</sup>- عزّ الدين المناصرة، م. س.، ص ١٣٨.

<sup>٩</sup>- سعيد سلام، التناصّ التراثي، ص ١١٩.

كريستيفا أدخلت مصطلح التناص إلى حقل الدراسة الأدبية "مستفيدة من باختين الذي يسميه "التفاعل السوسيوثقافي". وكانت تمارسه جماعة "تيل كيل" التي تنتمي إليها كريستيفا لكن دون أن تسميه التناص"<sup>١</sup>.

وأما رولان بارت فلم يبتعد عن رأيها في تسمية التناص وزاد عليه مصطلح "النسيج العنكبوتي"<sup>٢</sup>، ثم يأتي جيرار جينيت فيطلق عليه مصطلح "التعالي النصي" (Transcendence text) وذلك في تعريفه لحضور النص: "لا يعني النص إلا من حيث تعاليه النصي معرفة كل ما يضعه في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى وأسمي ذلك التعالي النصي وأدرج ضمنه التناص بالمعنى المحدد والكلاسيكي منذ جوليا كريستيفا بمعنى الحضور الحرفي لنص ضمن آخر وهو الشاهد، بمعنى الاستدعاء الصريح لنص معروف ومُبعد في نفس الوقت بواسطة علامات التنصيص"<sup>٣</sup>. ونستنتج من تعريف جينيت أن التناص فرع من فروع التعالي النصي، وأنه ضيق دائرته وحصره في النص الذي بين علامتي تنصيص. وأشار حسن محمد حماد إلى أن جيرار جينيت "يضع التناص في إطار محدود فيصبح مجرد علاقة من التواجد مع نصين أو مجموعة من النصوص؛ أي الحضور المثبت لنص ما داخل نص آخر"<sup>٤</sup>.

وأما كريستيفا فجعلته مطلقاً دون تمييز بين نص كامل أو جزء منه. ويرى جيرار جينيت أن النص مكون من عتبات فقال حافظ المغربي: "أصبحت عتبات النص"، أو ما اصطلح عليه اسم النص الموازي (Parallel Text) نصوصاً حافة بالنص الأدبي... ولعل من أبرز نقاد الغرب الذين أولوا العتبات بدراسات معمقة على مستوى التنظير كان جيرار جينيت<sup>٥</sup>. وبذلك فتح جينيت باب تعدد تسميات التناص للنقاد من بعده.

فخلاصة القول إن التناص تعددت تسمياته لدى نقاد الغرب. ففي عام ١٩٢٩ من الميلاد وضع باختين مصطلح التفاعل الحواري للدلالة على تداخل النصوص (OverLapping Texts) بعضها ببعض وهو ما عُرف بعد ذلك بحوار النصوص (Dialog Texts)، ثم ولد مصطلح التناص على يد كريستيفا عام ١٩٦٦ من الميلاد، ثم أثار رولان بارت عام ١٩٧٣ من الميلاد

<sup>١</sup> - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص ٩٣.

<sup>٢</sup> - رولان بارت، لذة النص، ص ١٠٤.

<sup>٣</sup> - جيرار جينيت، مدخل إلى جامع النص، ص ٧٠.

<sup>٤</sup> - حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، ص ٣٠.

<sup>٥</sup> - حافظ المغربي، أشكال التناص وتحويلات الخطاب الشعري المعاصر، ص ٢٣٧.

المصطلح نفسه ولم يبتعد عن تسمية جوليا كريستيفا، وفي عام ١٩٨٢ من الميلاد اعتبر جينيت التعالي النصّي هو أساس تداخل النصوص وعدّ التناصّ نمطاً من أنماط التعاليات النصيّة . وقسم التعدّية النصيّة إلى خمسة أنماط:

- ١- التناصّ: وهو حضور نصّ في آخر ويعني الاستشهاد<sup>١</sup>.
- ٢- المناصّ (Para text): وهي عتبات النصّ والتي أسماها جينيت "النصّ المحيط" كمناصّ الناشر والمؤلف والعنوان والإهداء والغلاف والهوامش<sup>٢</sup>.
- ٣- الميتانصّ (Meta text): وهي علاقة التعليق الذي يربط نصّاً بآخر<sup>٣</sup>.
- ٤- النصّ اللاحق (Subsequent text): ويكمن في العلاقة التي تجمع النصّ (ب) كنصّ لاحق بالنصّ (أ) كنصّ سابق وهي علاقة تحويل ومحاكاة<sup>٤</sup>.
- ٥- معمار النصّ: ويأخذ بعداً مناصيّاً ، وتتصلّ بالنوع: شعر - رواية - بحث<sup>٥</sup>.

وأما نقاد العرب الحداثيون فأوردوا مصطلح التناصّ في مؤلفاتهم وبتسميات مختلفة أيضاً . فقد أسماه محمد بنيس النصّ الغائب سنة ١٩٧٩ من الميلاد ، وفي عام ١٩٨٩ من الميلاد استخدم محمد بنيس مصطلح التداخل النصّي<sup>٦</sup>، وأشار حسن محمد حمّاد في تعريفه لمصطلح تداخل النصوص بأنّه "محاولة تأويل التناصّ والبحث عن معنى يقترب من النصّ وفكّ شفراته وكشف أغواره"<sup>٧</sup>، ثمّ ألف محمد مفتاح كتابه تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناصّ الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٥ من الميلاد واستخرج تعريف التناصّ من خلال كتابات كريستيفا بأنّه تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصّ حدّث بكيفيات مختلفة<sup>٨</sup>.

وأما سعيد يقطين ففضّل مصطلح التفاعل النصّي على مصطلح التناصّ الذي أطلقته كريستيفا . وقال "أنّ النصّ ينتج ضمن بنية نصيّة سابقة فهو يتعالق بها ويتفاعل معها. ونحن نؤثر

<sup>١</sup> - سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ٩٧.

<sup>٢</sup> - عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جينيت من النصّ إلى المناصّ، ص ٤٤؛ سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٧.

<sup>٣</sup> - سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٧.

<sup>٤</sup> - سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٧.

<sup>٥</sup> - سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٧.

<sup>٦</sup> - عزّ الدين المناصرة، علم التناصّ المقارن، ص ١٥٦، ١٥٨.

<sup>٧</sup> - حسن محمد حمّاد، تداخل النصوص في الرواية العربية، ص ١٨.

<sup>٨</sup> - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناصّ، ص ١٢١.

استعمال "التفاعل النصي" (Interaction Text) لأنه أعمّ من التناصّ ونفضله على "التعالّيات النصيّة" عند جيرار جينيت<sup>١</sup>. ومن تعريف يقطين ظهر مصطلح التعلّاق النصّي (Correlation text) الذي عرّفه محمّد عزّام قائلاً: "أنّ النصّ اللاحق يكتب النصّ السابق (Previous Text) بطريقة جديدة"<sup>٢</sup>. واستفاد يقطين من أنواع جيرار جينيت فقسّم التفاعل النصّي إلى ثلاثة أنواع:

- ١- التناصّ: هو تفاعل النصّ مع نصّ آخر ويأخذ بُعد التضمين والاندماج (Coalition) وليس كالمناصّ الذي يأخذ بعد التجاور، فيكون التناصّ مندمجاً ضمن النصّ بحيث يصعب على القارئ غير المكوّن أن يستطيع تبيّن وجود التناصّ أحياناً<sup>٣</sup>.
- ٢- المناصّ: وهو البنية النصيّة التي تشترك وبنية نصيّة أصليّة تجاوره محافظة على بنيّتها كاملة ومستقلّة<sup>٤</sup>.

- ٣- الميئانصيّة: هي نوع من المناصّة ولكنها تأخذ بعداً نقديّاً محضاً في علاقة بنية نصيّة طارئة مع بنية نصيّة أصل ، ففي الميئانصيّة نجد التفاعل يقوم على أساس النقد<sup>٥</sup>.

وأما محمّد عزّام فألف كتاباً أسماه النصّ الغائب بين فيه أنّ النصّ الغائب (Absent text) مصطلح نقديّ جديد ظهر في ظلّ الاتجاهات النقدية الجديدة، ويعني حسب قوله: "أنّ العمل الأدبيّ يدرك في علاقته بالأعمال الأخرى . فالأدب ينمو في عالم ملئ بكلمات الآخرين والنصّ تشكيل لنصوص سابقة ومعاصرة أعيدت صياغتها بشكل جديد . ويبدو النصّ الغائب مكوّناً رئيساً للنصّ المائل . ويتفاعل النصّان: الغائب والمائل من أجل إنتاج نصّ جديد يشكّل في الوقت نفسه تناصّاً. والنصّ الغائب نصّ غير مكتوب لكنّه يفرض حضوره ، ويمكن اكتشافه عن طريق قراءة أنظمة الخطاب"<sup>٦</sup>. وأما محمّد سالم سعد الله فأطلق عليه مصطلح "سيمياء التناصّ الاستعاري"<sup>٧</sup>.

ورأى جماعة من النقاد العرب الحداثيين أنّ مصطلح التناصّ الذي نادت به جوليا كريستيفا تقابله مصطلحات نقدية أوردتها النقاد العرب القدماء . فقد أشار راشد بن حمد الحسيني أنّ "هذا

<sup>١</sup> - سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ٩٨.

<sup>٢</sup> - محمّد عزّام، النصّ الغائب، ص ٢٩.

<sup>٣</sup> - سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٩، ١١٥.

<sup>٤</sup> - سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٩.

<sup>٥</sup> - سعيد يقطين، م. س.، ص ٩٩، ١١٨.

<sup>٦</sup> - محمّد عزّام، م. س.، ص ٩-١٠.

<sup>٧</sup> - محمّد سالم سعد الله، مملكة النصّ، ص ٥٠.

المصطلح جنوراً في النقد العربي القديم، إذ لاحظ النقاد أنّ معاني بعض الشعراء تتكرّر عند شعراء آخرين، فدرسوا ذلك تحت باب السرقات الأدبية والمعارضة والمناقضة والتضمين والاقتباس...<sup>١</sup>، وقال حافظ المغربي: "إنّ نقادنا العرب المحدثين وجدوا في مصطلح التناصّ تقارباً كبيراً مع الطرح القديم لمصطلحات مثل: الاقتباس والتضمين والمعارضة والسرقات...<sup>٢</sup>، فمن النقاد العرب الحدائين الذين ذكروا التناصّ وما يقابله عند البلاغيين العرب القدماء محمد مفتاح الذي قال: "أنّ هناك نوعين أساسيين من التناصّ هما: الأولى: النقيضة أو النقائض<sup>٣</sup> (Antipodes) التي يحاول كثير من الباحثين أن يختزل التناصّ إليها، والثانية: المعارضة الشعرية<sup>٤</sup> (opposition Poetry) التي يمكن أن نجد في بعض الثقافات من يجعلها هي الركيزة الأساسية للتناصّ"<sup>٥</sup>.

ويرى خالد بلقاسم أنّ التناصّ ليس وليد العصر الحديث، بل وظفه القدماء في نصوصهم بمصطلح آخر وهو الاقتباس<sup>٦</sup> (Citation) والتضمين<sup>٧</sup> (Inclusion). ويسمّيه خالد بلقاسم حوار النصوص وذلك في قوله: "إنّ حوار النصوص وانفتاحها على بعضها قديم قدم الممارسة النصيّة نفسها. وقد انشغل به الخطاب الواسف منذ زمن بعيد..."<sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> - راشد بن حمد الحسيني، البنى الأسلوبية في النصّ الشعري، ٣٣٧.

<sup>٢</sup> - حافظ المغربي، أشكال التناصّ وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، ص ٥٥.

<sup>٣</sup> - النقائض في الشعر: ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول، وناقضه في الشئ مناقضة ونقاضاً: خالفه. ولذلك قالوا: نقائض جرير والفرزدق، فشاعر قبيلة من القبائل ينظم قصيدة من القصائد في الفخر بقبيلته وأمجادها ويتعرّض لخصومها من القبائل الأخرى فينبري له شاعر من شعراء تلك القبائل يردّ عليه بقصيدة على وزن قصيدته ورويها، وكأنّه يريد أن يظهر تفوقه عليه من ناحية الفنّ نفسه؛ الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، ج ٤، ص ٣٦٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٤٠٠٣؛ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص ٢٤١.

<sup>٤</sup> - المعارضة: يُقال في اللغة: عارضته بمثل ما صنع، إذا أثبت بمثل ما أتى إليك وفعلت مثل ما فعل، ومنه اشتقت المعارضة وهي أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثر أديب آخر محاكاة دقيقة تدلّ على براعته ومهارته مثال ذلك "تهج البردة" لأحمد شوقي بالنسبة لبردة البوصيري؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ١١٧٥؛ ابن منظور، م. س.، ج ٢، ص ٢٥٨١، مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص ٣٧١.

<sup>٥</sup> - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجيّة التناصّ، ص ١٢٢.

<sup>٦</sup> - الاقتباس: هو أن يضمّن المتكلم منثور أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنّه منه؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٣٥.

<sup>٧</sup> - التضمين: هو أن يضمّن الشاعر كلامه شعراً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر؛ أحمد الهاشمي، م. ن.، ص ٣٣٨.

<sup>٨</sup> - خالد بلقاسم، أبونيس والخطاب الصوفي، ص ١٣.



وبين حسين منصور العمري في كتابه إشكالية التناصّ العلاقة التقابلية والترادفية بين مصطلح التناصّ الحديث ومصطلح السرقات<sup>١</sup> (Plagiarism) والاقتباس والتضمين وذلك في قوله: "أن كلمة تناصّ بهذا المستوى اللفظي لم ترد عند النقاد العرب، إلا أن فضاءاتها وجدت بطريقة أو بأخرى، فعندما نتحدث عن مصطلح السرقات، أو الانتحال<sup>٢</sup> (Plagiarism) أو المحاكاة<sup>٣</sup> (Imitation) أو الاقتباس والتضمين والمعارضات، هي أيضًا تداخل لكن من نوع خاص... ويكاد يكون مصطلح السرقات أقرب ما يكون إلى مصطلح التناصّ إلا أن طبيعة لفظة السرقات ووقعها على السمع تكاد تكون منفرة... لذا نزه الأدياء أنفسهم عن هذه الألفاظ خوفًا من وقوعهم وتعرضهم لإشكالات سلوكية هم في غنى عنها، ولذا حاول النقاد الابتعاد عن هذه الكلمة وتعويضها بمصطلحات أخفّ حدة وأقرب إلى الذوق الأدبي كالاقتباس والتضمين والاستشهاد وغيرها<sup>٤</sup>. ويتّضح معنى السرقات الأدبية بالرجوع إلى كتب الأدب فأحمد هاشم في كتابه جواهر البلاغة يعرفها في قوله: "السرقة هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه... ويتّصل بالسرقات الشعرية الاقتباس والتضمين والتلميح<sup>٥</sup> (Allusion)".<sup>٦</sup>

وأثبت أحمد ناهم في كتابه التناصّ في شعر الرواد "أن الاقتباس شكل من أشكال التناصّ واستلهاهم وامتنصاص للتراث يتم من خلاله استحضار نصوص دينية معروفة"<sup>٧</sup>، كما عدّ التضمين من أشكال التناصّ في قوله: "التضمين هو الاستشهاد ببيت أو أبيات عدة وهو من المداخل التي

١- السرقة الأدبية: السرقة في الشعر ما نقل معناه دون لفظه كقول أبي نواس في صفة الخمر: (فتمشّت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم) فإنه أخذ المشبه به من معنى مسلم بن الوليد في قوله: (تجري محبّتها في قلب عاشقها مجرى المعافاة في أعضاء منتكس).

وقيل إنّما هو في البديع المخترع الذي يختصّ به الشاعر لا في المعاني الجارية في عاداتهم ومستعملة في محاوراتهم؛ ابن رشيّق القيرواني، العمدّة، ج ٢، ص ٢٨٠-٢٨١؛ مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص ١٩٩.

٢- الانتحال: أحد أنواع السرقات الأدبية وهو أن يصرف شاعر شعرًا لغيره ويدّعيه لنفسه ويطلق عليه النسخ أيضًا. وهو أن يأخذ الشاعر كلام غيره بعد أن علمه بنسبته له بلفظه كلّ ومن غير تغيير لنظمه؛ ابن رشيّق القيرواني، م. س.، ج ٢، ص ٢٨٢؛ مجدي وهبه، كامل المهندس، م. س.، ص ٤١٠.

٣- المحاكاة: هي اتّخاذ أعمال مؤلّف سابق نموذجًا يُحتذى به من جانب مؤلّف لاحق؛ مجدي وهبه، كامل المهندس، م. س.، ص ٣٣٩.

٤- حسين منصور العمري، إشكالية التناصّ، ص ١٨.

٥- التلميح: هو الإشارة إلى قصّة معلومة أو شعر مشهور أو مثل سائر من غير ذكره ويُطلق عليه مصطلح الإيماء؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٤٠؛ مجدي وهبه، كامل المهندس، م. س.، ص ١١٩.

٦- أحمد الهاشمي، م. س.، ص ٣٤٠.

٧- أحمد ناهم، التناصّ في شعر الرواد، ص ١٠٤.



عرج المتنصون عليها<sup>١</sup>. لذا أطلق أحمد طعمه حلبي على التناصّ مصطلح التناصّ الاقتباسي وحدّد له ثلاثة أشكال: التناصّ الاقتباسي الكامل المنصّص، والتناصّ الاقتباسي الكامل المحوّر، والتناصّ الاقتباسي الجزئي<sup>٢</sup>.

وقد اعتمدت التناصّ كمصطلح حديث في عنوان الرسالة لأنه يُعدّ المصطلح الأساسي لمعنى تداخل النصوص بعضها ببعض وما بعده من مصطلحات حديثة تُعدّ فروعاً مستوحاة منه . فالتناصّ أولها صدوراً والمصطلحات التي تلتها مشتقة منه . فقد أكّدت ليديا وعد الله أنّ جيران جينيت استفاد من مصطلح كريستيفا في قولها: " التناصّ هو مصطلح كريستيفا الذي أفاد منه جينيت وهو علاقة حضور مشترك بين نصّين أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية في أكثر الأحيان من خلال الحضور الفعلي لنصّ داخل نصّ آخر وتتخذ هذه العلاقة أشكالاً ثلاثة: بشكل أكثر وأوضح حرفيّة بواسطة علامات التنصيص ، وبالإحالة (Reference) إلى مرجع محدّد ، أو بدون الإحالة إليه مثل السرقة الأدبية والاستعارة دون تصريح"<sup>٣</sup> . وليس تجاهلي لبقية المصطلحات استنقاصاً لها . فقد أوردت تلك المصطلحات داخل الرسالة كأشكال إضافية للتناصّ . وأرى أنّ التناصّ له أهميّة بالغة في النصّ الحاضر فربّما يكشف التناصّ عن معنى خفيّ للنصّ الحاضر . فقد أشار مولاي علي بوخاتم أنّ كلّ تناصّ يتّسم " بسمتين من النصوص المتقابلة ( Opposition Texts) أبرزها: أنّ النصّ الثاني يمكن أن يكون مضمونه النصّ الأول..."<sup>٤</sup> وسيُتضح من الدراسة علاقة التناصّ بالنصّ الحاضر .

<sup>١</sup> - أحمد ناهم، التناصّ في شعر الرواد، ص ١٠٦.

<sup>٢</sup> - أحمد حلبي طعمه، التناصّ بين النظريّة والتطبيق، ص ١٦٧.

<sup>٣</sup> - ليديا وعد الله، التناصّ المعرفي، ص ٣٤.

<sup>٤</sup> - مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي، ص ١٨٨.

## الباب الأول

### مصادر التناص وأنواعه في خطب " نهج البلاغة "

الفصل الأول: مصادر التناص في خطب " نهج البلاغة "

الفصل الثاني: أنواع التناص في خطب " نهج البلاغة "

يقوم كل عمل أدبيّ على مصادر متنوّعة من التراث الأدبيّ، ونستطيع أن نحصر مصادر الأدب العربيّ في: القرآن الكريم، والحديث النبويّ، والأمثال العربيّة، والشعر العربيّ . فقد اهتمّ العرب بحفظها وتدارسها في مجالسهم وتضمنين كلامهم بتلك المصادر التراثيّة. واعتُبرت كلّ النصوص العربيّة الواردة إلينا منذ العصر الجاهليّ مصادر تراثيّة.

واعتمدت نصوص النهج على هذه المصادر الأربعة. ويلاحظ أنّ القرآن الكريم أكثرها شيوعاً. وسنقوم في الفصل الأوّل من هذا الباب بتتبّع مصادر التناصّ في خطب نهج البلاغة والكشف عن مواضع تعالّقها مع النصّ الحاضر وبيان الغرض من التعالقات النصيّة كغرض العبرة والموعظة، والتهديد والوعيد، والدعاء بالنصر والغلبة، والعتاب والتوبيخ في التناصّ القرآنيّ . فضلاً عن توضيح أشكال التناصّ الأربعة في تناصّ الحديث النبويّ وهي: التناصّ الموافق، والمضادّ، والتناصّ الإضماريّ، والمُنَاصّ الموافق.

وسنقوم بتتبّع تناصّ المثل العربيّ ومعالجة شكل تداخله في النصّ الحاضر كالتناصّ الإضماريّ ، والتناصّ المحوّر، والتناصّ الأسطوريّ. وسنبين في تناصّ الشعر العربيّ آليّة تفاعله في النصّ الحاضر من خلال تداخل التراكيب اللغويّة ، والتشبيه . وسنتعرّف على الميّنات من خلال شعر أبي جندب الهذليّ ، فضلاً عن التعرّف على التناصّ الداخليّ من خلال شعر دريد بن الصمّة.

أمّا الفصل الثاني من هذا الباب فسنعالج أنواع التناصّ في خطب النهج في مبحثين: يعالج الأوّل التناصّ الصريح في خطب النهج وبيان نوعيه التناصّ القرآنيّ الكلّيّ والجزئيّ، وسنعالج من خلال النوعين الصريحين التناصّ من حيث موافقته للنصّ ومعارضته، وسنبين أنواع التناصّ الكلّيّ من خلال أنماط جينيّ. أمّا المبحث الثاني فيُعالج التناصّ الضمنيّ وبيان أشكاله الثلاثة: الدينيّ، والشخصيّات، والتاريخيّ. وسنتعرّف على نوعيّ التناصّ الدينيّ الضمنيّ البنائيّ والمعنويّ. وسنبين أشكال تداخل الشخصية في النصّ والغرض من تداخلها وأشكال ورود اسم عليّ في النصّ الخطابيّ. أمّا في التناصّ التاريخيّ فسنبين أشكاله من حيث كونه تناصّاً خارجيّاً أم داخليّاً أم مستقبليّاً. فضلاً عن بيان آليّات التفاعل النصّيّ في التناصّ الضمنيّ وهي: التكرار، التمثيط بالقلب، التناصّ الداخليّ المعاصر للنصّ الحاضر، الرمز. إذ سنقف على ظاهرة تكرار لفظ "الحمد" في النصّ الخطابيّ . وسنتعرّف على التناصّ الضمنيّ المقلوب من خلال التمثيط بالقلب، ونعالج التناصّ الداخليّ من خلال توافق بعض نصوص النهج بنصّيّ فاطمة الزهراء وجعفر بن أبي طالب. وأمّا الرمز فسنعالجه من خلال استدعاء شخصيّة النبيّ محمّد في نصوص النهج.

## الفصل الأول: مصادر التناصّ في خطب " نهج البلاغة "

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الحديث النبوي

ثالثاً: المثل العربيّ

رابعاً: الشعر العربيّ

يُعدّ التراث من عناصر بناء النصّ (Building Text) الأدبيّ . ويسمّيه بعض النقاد الحداثيين التناصّ . ولم تخلُ خطب نهج البلاغة منه . فمن أهمّ مصادر التراث في خطب النهج القرآن الكريم ، والحديث النبويّ، والمثل العربي (Proverbs) ، والشعر العربي (Poetry). وسأقوم في الفصل الأوّل من هذا الباب ببيان مصادر التناصّ في خطب نهج البلاغة ، وأمّا الفصل الثاني فأقسّم فيه التناصّ إلى نوعين: التناصّ الصريح وينقسم إلى نوعين: التناصّ القرآنيّ الكلّيّ ، والتناصّ القرآنيّ الجزئيّ . والتناصّ الضمنيّ وأبين فيه أشكاله الثلاثة: التناصّ الدينيّ، تناصّ الشخصيات، التناصّ التاريخي. وآليات التفاعل النصّي في التناصّ الضمني محدّدًا أربعة آليات: التكرار، التمثيط بالقلب، التناصّ الداخليّ المعاصر للنصّ الحاضر، الرمز.

وسنهنّ في هذا الفصل بتتبّع مصادر التناصّ<sup>١</sup> ونعدّد مصادره التراثيّة الأربعة: القرآن الكريم ، والسنة النبويّة ، والمثل العربيّ ، والشعر العربيّ وبيان أشكال التناصّ في كلّ مصدر<sup>٢</sup> . وسيقتصر هذا الفصل على تقصّي مواضع التناصّ في خطب النهج وتحديد نوعه التراثيّ من مصادر التراث الأربعة الآتية: القرآن الكريم، والسنة النبويّة، والمثل العربيّ، والشعر العربيّ.

## أولاً : القرآن الكريم

يسمّي البلاغيّون تفاعل النصوص القرآنيّة المقدّسة في النصّ الحاضر اقتباساً<sup>٣</sup> . وأمّا بعض النقاد الحداثيين فيسمّونه تناصّاً قرآنيّاً . فقد جعل عبد العاطي كيوان الاقتباس شكلاً من أشكال التناصّ في قوله: "ويهمّنا هنا مصطلح الاقتباس الذي يمثّل شكلاً تناصّياً يرتبط مدلوله (Denotation) اللغويّ بعملية الاستمداد التي تتيح للمبدع أن يحدث انزياحاً في أماكن محدّدة في خطابه... بهدف إفساح المجال لشيء من القرآن أو الحديث النبوي... وما دام التناصّ قد دخل دائرة النصوص المقدّسة فإنّه من الضروري تخليص النصّ الغائب<sup>٤</sup> ( Absent text ) من

<sup>١</sup> - انظر تعريف التناصّ ص ٢٣ ، ٢٧ - ٢٩ ، ٣٢ .

<sup>٢</sup> - انظر أشكال التناصّ ومصادره ص ٢٣ ، ٢٥ .

<sup>٣</sup> - انظر تعريف الاقتباس ص ٣٠ - ٣١ .

<sup>٤</sup> - الانزياح: يُعدّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة ويستند على اللسانيّات الأدبيّة . وهو استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذب؛ مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربيّ السيميائيّ، ص ٢٧٠؛ أحمد محمّد ويس،

الانزياح في التراث النقديّ البلاغيّ، ص ٥ .

<sup>٥</sup> - انظر تعريف النصّ الغائب ص ٢٩ .

سياقه الأصلي ليصبح -على نحو من الأنحاء- جزءاً أساسياً في البنية الحاضرة<sup>١</sup>. ويلاحظ التناصّ القرآني<sup>٢</sup> في أغلب خطب النهج حاملاً دلالات متنوعة منها التهديد ، والموعظة ، والعبرة<sup>٣</sup>. وقد لا يُعلم مكنون بعض الخطب إلا بعد التعالق النصّي<sup>٤</sup> مع القرآن كقول عليّ بن أبي طالب إذا لقي العدو :

" اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّانِ. وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ. إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيَّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوَّنَا وَتَشَتَّتْ أَهْوَانُنَا. رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ"<sup>٥</sup>.

يُحيل التعالق النصّي القرآني إلى الحالة التي عاشها النبيّ شعيب<sup>٦</sup> مع قومه وما لاقاه منهم من متاعب وتفرّق كلمة وذلك في قوله تعالى على لسان شعيب النبيّ "...عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ". والغرض من التناصّ القرآني الدعاء بالنصر والغلبة على الطرف المضادّ .

وقد يُحيل التناصّ القرآني إلى بعض الصفات كصفة الاعتراض والتذمّر كتذمّر إبليس واعتراضه بأفضليّته على آدم<sup>٧</sup> ، لأنّه مخلوق من نار وذلك في قول عليّ بن أبي طالب :

"... وَاسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدَبِعَتْهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُضُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: "اسْجُدُوا لَأَنَّمْ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ" وَقَبِيلُهُ، فَاغْتَرَبَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ،

<sup>١</sup> - عبد العاطي كيوان، التناصّ القرآني، ص ٣٩.

<sup>٢</sup> - انظر تعريف التناصّ القرآني ص ٢٤ - ٢٥.

<sup>٣</sup> - سنتناول الأغراض البلاغية للتعالق النصّي في الباب الثاني من الدراسة مفصلاً .

<sup>٤</sup> - انظر تعريف التعالق النصّي ص ٢٨ - ٢٩.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، نهج البلاغة، ص ٣٢٣؛ والآية من سورة الأعراف، ٨٩/٧.

<sup>٦</sup> - شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن إبراهيم من ولد مدين. نبيّ من أنبياء الله تعالى هاجر مع نبيّ الله إبراهيم إلى الشام، وهو ابن بنت لوط فجدّة شعيب ابنة لوط. بُعث إلى أمّتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر ملتف، فلما أراد الله تعالى أن يعذبهم بعث عليهم حراً شديداً؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٣٦ - ٢٣٨.

<sup>٧</sup> - آدم أبو البشر لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أمر بتريته أن تؤخذ من الأرض فخلقه من طين لازب، وأراد عزّ وجل أن ينفخ فيه الروح ففقدّم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فأبى إبليس السجود . وسُمّي آدم لأنّه خلق من أديم الأرض؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٧٤ - ٧٨.

وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتَحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: "إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ..."<sup>١</sup>

وموضع التناصّ القرآنيّ قوله تعالى في سورة الأعراف: " قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ"<sup>٢</sup> ، ويقول تعالى في سورة الحجر كذلك: " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ"<sup>٣</sup> ، ويقول في سورة ص: " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ"<sup>٤</sup> . ويقوم التناصّ القرآنيّ على الحوار بين الخالق والمخلوق الذي انتهى بخروج إبليس من رحمة الله تعالى ، لأنه تنمّر ورفض الامتثال لأمر ربّه. ويتّضح من ذلك أنّ تناصّ القصّة القرآنيّة أحد الأساليب التشويقيّة في خطب النهج.

وأما الخطاب الآتي فيظهر فيه العتاب والتوبيخ . فقد استعرض الوضع السياسيّ الراهن لأهل الكوفة<sup>٥</sup> ورفضهم الدعوة التي دعاهم عليّ بن أبي طالب لمساعدة أهل اليمن، فيقول فيه:

" مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةٌ تُحْمِسُكُمْ؟! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُذَرِّكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَانِبٌ ضَعِيفٌ "كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٢.

<sup>٢</sup> - الأعراف، ١٤ / ٧.

<sup>٣</sup> - الحجر، ٣٦ / ١٥ - ٣٨.

<sup>٤</sup> - ص، ٣٨ / ٧٩ - ٨١.

<sup>٥</sup> - الكوفة: هي مصر مشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم خذّ العنراء، وسمّيت الكوفة لاستدارتها. وقيل: سمّيت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: تكوّف الرمل ، وأما تمصيرها فكانت في أيام عمر بن الخطّاب في السنة التي مصّرت فيها البصرة وهي سنة سبع عشرة وذلك لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة رُستم بالقادسية لله عمر على موضع الكوفة اليوم وكان يُقال له: سورستان فانتهى إليها فخطّ مسجداً ودار الإمارة فلم يزل على ذلك؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧١؛ والآية من سورة الأنفال، ٨ / ٦.

وجه الشبه بين هذا الخطاب وسابقه وجود طرفين متعارضين: الخطاب الأول يعارض إبليس ربّه ، والثاني معارضة أهل الكوفة لإمامهم<sup>١</sup> . ويصف كلا النصّين ظاهرة الرفض والتذمّر . وأحال التناصّ القرآنيّ في الخطاب الثاني إلى يوم بدر<sup>٢</sup> وما وقع من اعتراض أصحاب النبيّ على قتال قريش ، ثمّ الاعتراض على تقسيم الغنائم<sup>٣</sup> ، فنزل فيهم قوله تعالى: "كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"<sup>٤</sup> . فيحيل التناصّ القرآنيّ إلى قبول أصحاب عليّ بالذلّ والإهانة عندما عزفوا عن القتال . وسنقوم بمعالجة التناصّ القرآنيّ مفصلاً في الفصل الثاني من الباب نفسه .

## ثانياً: الحديث النبويّ

يستعرض هذا المبحث أشكال التناصّ من خلال تناصّ الحديث النبويّ الوارد في خطب نهج البلاغة . فقد ورد التناصّ في الخطب على أربعة أشكال هي:

أ- التناصّ الموافق<sup>٥</sup>

ب- التناصّ المضادّ<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> - في سنة تسع وثلاثين بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين ، فأثوا عين التمر ، فأغاروا عليها ، وبها عامل لطيّ يقال له ابن فلان الأرحبيّ في ثلاثمائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه ، فتناقلوا؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣٨٤.

<sup>٢</sup> - وقعة بدر الكبرى: بدر ماء مشهور بين مكة والمنينة قيل: احتفزه بدر بن قريش وبه سُميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحقّ والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة وذلك عندما أقبل أبو سفيان من الشام ومن معه من ركب قريش ، فلما سمع بهم رسول الله نذب أصحابه وحثّهم بما معهم من أموال ، وبقلّة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ؛ لا يرونها إلا غنيمة لهم ، فلما سمع أبو سفيان بقومهم بعث إلى قريش فنفر لغير أبي سفيان أهل مكة ، ولم يسمع رسول الله بنفرتهم حتّى قدم بدرًا، فورنت رايات قريش، فقامت معركة بدر بين المسلمين والمشركين، وانتصر المسلمون، وهزمت قريش؛ الطبري، م. ن.، ج٢، ص ٣٠٧-٣٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٥٧-٣٥٨.

<sup>٣</sup> - أنزل الله حين اختلف القوم في الغنائم يوم بدر " يسألونك عن الأنفال... سورة الأنفال، ٨ / ١. وقال عبادة بن الصامت عن الأنفال: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل؛ الطبري، جامع البيان، ج٩، ص ٢٠٥.

<sup>٤</sup> - الأنفال، ٨ / ٥ - ٧.

<sup>٥</sup> - انظر تعريف التناصّ الموافق ص ٢٣.

<sup>٦</sup> - انظر تعريف التناصّ المضادّ ص ٢٣.



ج- التناصّ الإضماري<sup>١</sup>

د- المناصّ الموافق<sup>٢</sup>

وسنقوم بتتبّع مواضع تناصّ الحديث النبويّ وتحديد شكل التناصّ داخل الخطاب ، وسنحدّد مكان ورود الحديث في الصّاح والسّنن .

يُعَدّ الحديث النبويّ من أهمّ مصادر النهج شيوعاً بعد القرآن الكريم . فتارة نجده صريحاً ومباشراً بـ " قال النبيّ " ، وتارة يكون ضمنياً مندمجاً بين الأسطر . وسنكشف عن هذا التفاعل النصّي<sup>٣</sup> بنوعيه ، ونبيّن أشكال تفاعله مع النصّ الخطابيّ .

ويلفت انتباهنا في تناصّ الحديث النبويّ الخطاب الذي وصف عليّ المتّقين فيه ، وبين مكانة النبيّ وأهل بيته في قوله:

"... فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِترَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَرْمَتْهُ الْحَقُّ، وَالسَّيِّئَةُ الصَّدَقُ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ. أَيْهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): " إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ " ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُتَكْرَرُونَ، وَأَعْذَرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَأَنَا هُوَ - أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالنَّقْلِ الْأَكْبَرِ ! وَأَتْرَكْتُ فِيكُمْ النِّقْلَ الْأَصْغَرَ! وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى خُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالنَّبَسُكُ الْعَافِيَةِ مِنْ عَدْلِي... "٤.

نلاحظ أنّه بدأ افتتاح المقطع (Paragraph Editorial) بأسئلة استفهاميّة غرضها التوبيخ، فتكوّن بهذا الاستهلال (Preface) تعالفاً اندماجياً<sup>٥</sup> (Incorporation Correlation text) مع الحديث النبويّ . فقد تعجّب عليّ من قوم يتحیرون وقد ارتبطوا بعترّة النبيّ . ويذكر ابن ميثم أنّه "أتى بلفظ الاستفهام على سبيل التقرّيع..."<sup>٦</sup>.

١- انظر تعريف التناصّ الإضماريّ ص ٢٤.

٢- انظر تعريف المناصّ الموافق ص ٢٤.

٣- انظر تعريف التفاعل النصّي ص ٢٨ - ٢٩.

٤- محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١١٤.

٥- انظر تعريف تعالق النصّ ص ٢٨ - ٢٩.

٦- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٣٥٢.

وورد مناص<sup>١</sup> الحديث النبوي لبيان صفة النبي وأهل بيته في حال موتهم ، وأن أجساد الأنبياء والأولياء لا تأكلها الأرض كما ورد عن أبي الدرداء<sup>٢</sup> ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ. وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ، قَالَ قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ . فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ"<sup>٣</sup>. ويشرح محمد عبده مضمون الحديث قائلًا: "أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطع النور في عالم الظهور"<sup>٤</sup>.

لقد اتّبع النصّ الحاضر أسلوب الإقناع باستدعاء<sup>٥</sup> (Recall) التناص . فقد أنكر عليّ على قومه ريبهم وتحيرهم في الارتباط الوثيق بأهل البيت بعد موتهم . فأورد لهم الحديث النبوي ، لتزول حيرتهم ، وتتجلي شكوكهم . فلا يبلى جسد النبي ، بل يبقى خالدًا حتى بعد موته<sup>٦</sup>.

ويظهر تناص آخر باستدعاء استعارة<sup>٧</sup> (Metaphor) الثقل . فقد جعل الثقل الأكبر مشبهاً به وهو الله تعالى ، وأمّا الثقل الأصغر فالرسول وأهل بيته كما أشار ابن ميثم إلى ذلك في قوله: "لفظ الثقل الأكبر كتاب الله والثقل الأصغر الأئمة من ولده وكنتي (Metonymy)"<sup>٨</sup> برأية الإيمان عن سنته المتبّعة وطريقه الواضح في العمل بكتاب الله وسنة رسوله كناية بالمستعار، ووجه المشابهة كونه

<sup>١</sup> - انظر تعريف المناص ص ٢٨ - ٢٩.

<sup>٢</sup> - أبو الدرداء: غويمر بن زيد بن قيس ويقال: غويمر بن عامر ويقال عامر بن مالك الأنصاري الخزرجي. حكيم هذه الأمة وسيد القراء بدمشق ، وهو محدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ، ويروى له مائة وتسعة وسبعون حديثاً . أسلم أبو الدرداء يوم بدر ، ثم شهد أحدًا . مات قبل مقتل عثمان سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة (٣٢ / ٦٥٢)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٦٨، ١٧٦.

<sup>٣</sup> - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، كتاب الجنائز، رقم الحديث ١٦٣٧، ص ٥٢٤.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١١٤.

<sup>٥</sup> - الاستدعاء: مصطلح حديث ويعني حضور الشاهد في النصّ . استخدمه جبرار جينيت في تعريفه للتعالّي النصّي، انظر تعريف جينيت للتعالّي النصّي ص ٢٧ - ٢٩.

<sup>٦</sup> - أشار ابن أبي الحديد للحديث فقال : " وقد ورد في الخبر النبويّ مثل ذلك وهو قوله : "إِنَّ الْأَرْضَ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ وَلَنْهَا لَا تَأْكُلُ لِي لَحْمًا وَلَا تَشْرَبُ لِي دَمًا"؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص ١٣١.

<sup>٧</sup> - الاستعارة شكل من أشكال التمثيط الذي يُعدّ من آليات التناص ، وتقوم الاستعارة بدور جوهري في كلّ خطاب بما يتّبعه في الجماعات من حياة وتشخيص؛ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص ١٢٥ - ١٢٦؛ انظر تعريف الاستعارة ص ١٨٨ - ١٩٠، ٢٠٦.

<sup>٨</sup> - الكناية: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك ، كما تقول: فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة؛ السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٠٢؛ انظر تعريف الكناية ص ١٨٨، ٢٢٤.

طريقة يُهتدى بها إلى سلوك سبيل الله كما يُهتدى بالأعلام والرايات أمام الجيش وغيره، ولفظ الرُكُز ترشيح<sup>١</sup> للاستعارة كنى به عن إيضاحها لهم ... واستعار لفظ اللباس لها، ووجه الاستعارة أن العافية تشمل المعافي كالفميص...<sup>٢</sup>.

ونلاحظ في خطاب آخر افتتاح المقطع بالأمر وسرد مجموعة من الأمراض النفسية كالكذب والحسد والبغض وذلك في خطابه الذي وصف فيه المتقين قائلاً :

" ... جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرْفِ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ. وَلَا تَحَاسَدُوا ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ... " <sup>٣</sup>.

وتتفق هذه الأمراض النفسية في صفة الزوال والفناء . فالكذب لا يمكن أن يكون من صفات المؤمنين . ومصير إيمان من يتصف بهذه الصفة السيئة الفناء والزوال وذلك في قوله: "وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ" ، ومصير إيمان قلب الحاسد الفناء والزوال . وتمحو البغضاء الخير من النفوس في قوله: "وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ" أي "الماحية لكل خير وبركة"<sup>٤</sup> . فقد عبر علي عن كل هذه الصفات بأنها تقضي على الإيمان وتزيله من قلب المؤمن . وذكر للحسد دليلاً من السنة النبوية في قوله عن أنس<sup>٥</sup> قال: قال النبي محمد: "إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ"<sup>٦</sup> وورد الحديث في الخطاب على شكل مناص.

<sup>١</sup> - الاستعارة الترشيحية: هي التي ذكر فيها ما يلائم المشبه به بعد استيفاء القرينة كقوله: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتُ تِجَارَتُهُمْ" ما يلائم المشبه به "فما ربحت تجارتهم" مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص ٢٩؛ والآية من سورة البقرة، ١٦ / ٢.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٣٥٢.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١١٢.

<sup>٤</sup> - م. ن.، ص ١١٢.

<sup>٥</sup> - أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله. ولد قبل عام الهجرة بعشر سنين وخرج مع النبي يوم بدر وهو غلام يخدمه. ولم يعد أصحاب المغازي في البدرين ؛ لكونه حضر صبيّاً لم يقاتل ، بل بقي في رحال الجيش . روى عن النبي أحاديث جمّة ، وكان آخر أصحاب رسول الله موتاً فقد مات سنة ثلاث وتسعين (٩٣ / ٧١١) فيكون عمره على هذا مائة وثلاث سنين؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٣٢ - ٥٣٨.

<sup>٦</sup> - ابن شيبه، المصنّف، ج ٨، كتاب الأدب، رقم الحديث ٢٧٠٠٥، ص ٦٠٩.

واعتمد هذا المقطع على الأساليب المتضادة (Opposite). فقد تكونت بنية الخطاب من: أسلوب أمر، وأسلوب نهى يتبعهما تذييل إخباري<sup>١</sup>. فقد أعقب أسلوب الأمر "جانبا" تذييل خبري مفسر له في قوله: "فإنه بجانب للإيمان...". وأعقب أسلوب النهي "لا تحاسدوا" أسلوب خبري في قوله: "فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب"، وأتى بعد قوله: "ولا تبأغضوا" أسلوب خبري كذلك في قوله: "فإنها الحالقة".

ويعد التناسل الشكلي الموافق أحد أشكال تناسل الحديث في خطب نهج البلاغة كقوله:

"... وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَادِهِمَا ، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَحِلُّ أذى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ"<sup>٢</sup>.

ورد الحديث النبوي موافقا للمقطع الحاضر . فيشير قوله: " فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " إلى قول النبي محمد: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"<sup>٣</sup>. وتحدث علي في الخطبة حول حقوق المسلمين وأهمية تعاضدهم وأردف نصه بالحديث النبوي ، ليكون مكملا لخطابه .

ونلاحظ في نصوص خطابية أخرى تفاعل مناص الحديث النبوي الموافق مع النص الحاضر. فيُصرح علي في الحديث النبوي بقائله بـ (قال)<sup>٤</sup> كخطابه الآتي:

"فإنَّ الْعَامِلَ بَغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ". فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ نَبَاتٌ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبِثَ سَقِيُّهُ خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - التذييل في البلاغة: هو تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحق بها ما قبلها من الكلام. وقد يأتي للتأكيد والتحقيق؛ ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص ١٢١.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢١٩.

<sup>٣</sup> - الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٠، ص ٢٢.

<sup>٤</sup> - يُسمى هذا الشكل في منهج التناسل بالمناس.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٩٧.

وموضع مناصّ الحديث في الخطاب عن الرسول: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ"<sup>١</sup>. يقول ابن أبي الحديد في شرح الحديث النبوي: "وقد فسره أصحابنا المنكلمون فقالوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ وَمُحِبَّتَهُ لَهُ إِرَادَةٌ ثَابِتَةٌ وَيُبْغِضُ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِهِ وَهُوَ ارْتِكَابُ صَغِيرَةٍ مِنَ الصَّغَائِرِ فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَيْسَتْ قَادِحَةٌ فِي إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّهَا تَقَعُ مَكْفُورَةٌ. وكذلك قد يبغض العبد بأن يريد عقابه نحو أن يكون فاسقًا لم يتب ويحبّ عملاً من أعماله نحو أن يطيع ببعض الطاعات وحبّه لتلك الطاعة هي إرادته تعالى أن يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم"<sup>٢</sup>، ويتبين من خلال شرح ابن أبي الحديد أنّ المناصّ ورد موافقاً لسياق الخطاب. فقد أوضح عليّ أهميّة صلاح الأعمال ووجوب مطابقة العلم والعمل معاً والاستشهاد بالحديث النبويّ تضمّن الموضوع نفسه ولم يخرج عن مضمون النصّ.

ومن أشكال مناصّ الحديث النبويّ في النهج استدعاء الحوادث التي يتداخل فيها الحديث النبويّ كالنصّ الآتي الذي يصف عليّ فيه زهده وتواضعه وابتعاده عن ملذّات الدنّيا، ثم يُورد نصّ الحديث النبويّ على شكل حادثة حدثت بين النبيّ وإحدى زوجاته في قوله:

"فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى — وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ — قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْقًا، أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنًا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ، وَتَعَظَّمْنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ. وَلَقَدْ كَانَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: "يَا فَلَانَةُ — لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ — غَيْبِي عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَّارِهَا". فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيْبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ..."<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> - يقول ابن أبي الحديد: فأما الخبر فإنه منثور في كتب المحتثين؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٥٣. ولم أهتد لنصّ الحديث في الصحاح والسنن.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، م. ن.، ج ٢، ص ٤٥٣.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٦.

وموضع المناص قوله: "... فَتَكُونُ فِيهِ النَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ الرَّسُولُ: " يَا فَلَانَةُ — لِأَحَدَى أَرْوَاجِهِ — غَيْبِهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا ". وورد الحديث النبوي عن أبي طلحة الأنصاري<sup>١</sup> قال : سمعت رسول الله يقول: لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَمَائِيلُ قَالَ : فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا يُخْبِرُنِي أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَمَائِيلُ فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَ ذَلِكَ فَقَالَتْ : لا وَلَكِنْ سَأَحَدُكُمْ مَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ ، رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِي غَزَوَاتِهِ فَأَخَذَتْ نَمَطًا فَسَرَتْهُ عَلَى الْبَابِ فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفَتْ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ فَجَذَبَهُ حَتَّى هَنَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ . قَالَتْ: فَقَطَعْنَا مِنْهُ وَسَادَتَيْنِ وَحَشَوْتُهُمَا لِيَقًا فَلَمْ يَعِْبْ ذَلِكَ عَلَيَّ<sup>٢</sup> . وورد عن عائشة كذلك قالت: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تَمَثَّلُ طَائِرٌ وَكَانَ الدَّخْلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : حَوْلِي هَذَا فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا قَالَتْ : وَكَانَتْ لَنَا قَطِيفَةٌ كُنَّا نَقُولُ عِلْمُهَا حَرِيرٌ فَكُنَّا نَلْبَسُهَا<sup>٣</sup> . وتشكل النص عبر بنية تناصية متكاملة، إذ يُعَدُّ النص تناصًا قرآنيًا لقوله تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا"<sup>٤</sup> .

ويرى بعض الباحثين عدم خلو أي نص من تناص ديني أو تاريخي . ويذهب بعضهم إلى إدراج أنواع أخرى من التناص كالأساليب اللغوية مثلاً . فقد أشار أحمد مداس إلى " أن النص متولد من آثار دينية أو تاريخية أو نفسية أو لغوية تتناسل منه أحداث أخرى"<sup>٥</sup> . فقمنا بإدراج بعض تلك الأساليب كنوع من أنواع التناص كالنص السابق الذي يقوم على تراكيب متنوعة شكلت تناصًا متمازًا داخل بنية النص الخطابي . فقد انقسم البناء النصي إلى :

#### أ- تناسق (Assortment) السياق اللغوي

##### ١- بناء السياق باسم الموصول

"أُسْوَةٌ لِمَنْ تَأْسَى"

"وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى"

<sup>١</sup> أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود صاحب رسول الله ومن بني أخواله ، وأحد أعيان البدرين ، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة. مات بالمدينة ، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة أربع وثلاثين (٣٤ / ٦٥٤)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٣.

<sup>٢</sup> مسلم، الجامع الصحيح، مج٣، ج٦، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة، الحديث الثامن من الباب، ص ١٥٧.

<sup>٣</sup> مسلم، م. ن.، مج٣، ج٦، ص ١٥٨.

<sup>٤</sup> الأحزاب، ٢١ / ٣٣.

<sup>٥</sup> أحمد مداس، لسانيات النص، ٧٣.

٢- بناء السياق بالمصدر

"قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا"

٣- بناء السياق بعطف الجملة على الجملة

"وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ"

"وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ"

"وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ"

٤- بناء السياق بالنصب على المفعول

"وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ"

"وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ"

٥- بناء السياق بالفعل وحرف الجر

"فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ"

"وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ"

"وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ"

ب- البنية السردية للنص

١- بنية الأمر " فتأسَّ بنبيك ... لمن تعزَّى " .

٢- بنية الوصف الإخباري (صفات النبي: الزهد في المأكل ، رفض ملذات الدنيا ،

التواضع ) .

٣- بنية التناصّ الموافق (الحديث النبوي) .

٤- بنية الأفعال الماضية التي تفيد الرفض والإعراض :

( قضم ، أبى ، أبغض ، حقّر ، صغّر ، أعرض ، أمات ، أخرج ) .

٥- بنية الأفعال المضارعة التي تعني الزهد والتواضع :

( يأكل ، يجلس ، يخصف ، يرقع ، يركب ، يُرِف ) .

يُحيل الحديث النبويّ إلى نصوص غائبة . فقد دعا الحديث إلى الاتّصاف بالتواضع والزهد

والإعراض عن الملذات المفسدة للأخلاق كالنبيّ الذي عُرضت عليه ملذات الدنيا فلم تشغله عن



الآخرة وذلك قول القرآن: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ... قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ...<sup>١</sup>"، فيُصَوِّرُ القرآن الدنيا وما فيها من زينة تَفْتِنُ الناس في قوله: "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"<sup>٢</sup>. ويحتوي المقطع على عبارات تدلّ على زهد النبيّ مثل: "عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ" ويؤكد مناصّ الحديث النبويّ ذلك.

وأبرز الخطب تداخلاً مع تناصّ الحديث الخطبة التي بيّن فيها عليّ فضل القرآن ونهى عن البدعة. فقد تداخلت فيها أربعة أحاديث نبويّة، فافتتح الخطاب بمناصّ الحديث النبويّ بغرض التحذير والتنبيه وحثّهم على تحقيق التقرب إلى الله في قوله:

"فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ... وَبَيَّنَّ لَكُمْ مَحَابَّةَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهِهَ مِنْهَا، لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ". وَعَلِّمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةِ"<sup>٣</sup>.

وأتى الحديث النبويّ مناصّاً للحديث الذي ورد عن رسول الله (ص) أنّه قال: "إِنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ"، فَمَنْ أَطْلَعَ الْحِجَابَ وَقَعَ مَا وَرَاءَهُ"<sup>٤</sup>. وأخرجه الزبيدي في كتابه مختصر صحيح البخاريّ عن أبي هريرة أنّ النبيّ قال: "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"<sup>٥</sup>. فضلاً عن وجود تناصّ موافق في مقطع آخر من الخطبة في قوله:

<sup>١</sup> - آل عمران، ١٤/٣ - ١٥.

<sup>٢</sup> - الكهف، ٧/١٨.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٥.

<sup>٤</sup> - ابن شبيه، المصنّف، ج ١٢، كتاب الزهد، رقم الحديث ٣٥٥٣١، ص ٢٠٦.

<sup>٥</sup> - ألف هذا الكتاب الإمام زين الدين أحمد الزبيدي (٨٩٣/١٤٨٧) وهو اختصار لكتاب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري الذي ألفه للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦/٨٦٩) وأطلق عليه اسم مختصر صحيح البخاري؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٢٠٥، ٢٤٤.

<sup>٦</sup> - أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر حمل عن النبيّ علماً كثيراً، وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين. فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمان مائة، وتوفي في المدينة المنورة سنة سبع وخمسين (٥٧/٦٧٦)، وصلى عليه الوليد بن عتبة ودفن في البقيع؛ الذهبي، م. ن. ج ٣، ص ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٥.

<sup>٧</sup> - الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، رقم الحديث ٢٠١٦، ص ١١٢٣.



"وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكَّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "يَا بَنِي آدَمَ، اْعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ".<sup>١</sup>

وتوافق التناصُّ مع النصِّ الخطابِيّ . فقد أكد المقطع للمُتَلَقِّي أهميّة تجنب الشرِّ والذهاب عنه بسرعة فائقة . وذيل المقطع بنصِّ الحديث النبويّ الذي نهى عن فعل الشرِّ في قول عليّ : "وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ" ، ثم ذكر قولاً عن رسول الله : "يَا بَنِي آدَمَ اْعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ". ويُعدّ الحديث تناصّاً يُحيل إلى الحديث النبويّ الآتي: عن أبي ذرٍّ<sup>٢</sup> قال: "سألتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قال: إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله. قلتُ: فأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قال: أغلاها ثَمَنًا، وأنفسُها عند أهلها. قلتُ: فإن لم أفعل؟ قال: تُعِينُ صَانِعًا، أو تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ".<sup>٣</sup>

وعلق ابن أبي الحديد على نصِّ الحديث قائلًا: "ثم روى لهم الخبر والجواد القاصد السهل السير لا سريع يتعب بسرعه، ولا بطئ يفوت الغرض ببطئه"<sup>٤</sup> . ويريد ابن أبي الحديد بكلمة (الخبر) الحديث النبويّ الوارد في الخطاب . ويوجد في المقطع الذي يسبق المقطع السابق حديث نبويّ على شكل مناصٍّ موافق في قوله:

"وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي نَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَرِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدْبَرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ):

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٨.

<sup>٢</sup> - أبو ذرّ الغفاري: جُنْدَب بن جنادة بن سفيان بن عُبيد بن حرام بن غفار - أخي ثعلبة - ابني مليل بن ضمرة أخي ليث والدليل أولاد بكر أخي مرة والد ملج بن مرة ابني عبد مناة بن كنانة . كان يتأله في الجاهليّة ، ويوحّد ، ولا يعبد الأصنام . وهو أحد السابقين الأولين ، من نجباء أصحاب النبيّ محمد وكان خامس خمسة في الإسلام ، شهد معظم غزوات النبيّ وكان حامل راية غفار يوم حنين ، وكان يُفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطّاب . مات في الرّبذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة (٣٢ / ٦٥٢)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٢-٢٣، ٢٧، ٣٨.

<sup>٣</sup> - البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، باب أيّ الرقاب أفضل، رقم الحديث ٢٣٨٢، ص ٨٩١.

<sup>٤</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥١٥.

"لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ" ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمٌ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ<sup>١</sup>.

نلاحظ في هذا المقطع ورود الحديث النبويّ كدليل على الموصوف وهما (المؤمن والمنافق) وقصد بهما الصفة وهذه إحدى إبداعات (Creatives) الإلقاء . فقد ورد الحديث النبويّ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلُ الْجَنَّةِ، لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"<sup>٢</sup>. وقال ابن أبي الحديد أن علياً: "...استعمل لفظ المؤمن وأراد العاقل ولفظ المنافق وأراد الأحمق ، ثم روى الخبر المذكور عن النبي وهو مشهور ..."<sup>٣</sup>. ونستنتج أن العاقل يحسب ألف حساب قبل صدور أي فعل منه بينما تصدر الأفعال من الأحمق دون دراسة أو تفكير في عواقبها ونتائجها .

ويُختم الخطاب بحديث نبويّ على شكل تناصّ ضمنيّ . ويظهر أن الختام يخالف افتتاحيّة النصّ (Editorial Text) شكلاً . فبدأ الخطاب بحديث نبويّ على شكل مناصّ مضادّ وختم بتناصّ ضمنيّ موافق للخطاب بأكمله في المضمون . فقد تفاعل التناصّ الختاميّ في المقطع الأخير داعياً إلى الانشغال بالعبادة وطهارة النفس والابتعاد عن السيئات، فيقول فيه عليّ :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوْتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ! "<sup>٤</sup>.

ويُحيل المقطع إلى الحديث النبويّ الذي ورد عن " أبي سعيد الخدريّ؛ أن رجلاً أتى النبيّ فقال: أيُّ الناس أفضل؟ قال: "رَجُلٌ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ" قال : ثمّ مَنْ ؟ قال: ثمّ امرؤ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٧.

<sup>٢</sup> - ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ٤، رقم الحديث ١٢٦٣٦، ص ٥٣.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥١٣.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٢٩.

<sup>٥</sup> - أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبيجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج . استشهد أبوه مالك يوم أحد ، وشهد أبو سعيد الخدري الخندق وبيعة الرضوان ، وكان أحد الفقهاء المجتهدين ، مات سنة أربع وسبعين من الهجرة (٦٩٣ / ٧٤)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

في شعب من الشعاب ، يَعْبُدُ الله عزَّ وجلَّ ، ويدْعُ النَّاسَ من شَرِّه<sup>١</sup> . نلاحظ أنَّ الحديث يحث على ضرورة الابتعاد عن غيبة الناس والانشغال بطاعة الله . و خلاصة القول أنَّ تناصَّ الحديث النبويَّ تَوَعَّتْ أشكاله في خطب نهج البلاغة وأنَّ الخطاب الأخير تفاعل فيه التناصُّ بأشكال عدَّة: المناصَّ ، والمُنَاصَّ الموافق ، والتناصَّ الموافق ، والتناصَّ الضمني .

### ثالثاً: المثل العربيّ

تُعَدُّ الأمثال من مصادر التناصُّ في خطب نهج البلاغة . فقد تداخلت في أغلب الخطب بأساليب فنيّة متنوّعة . وسنلاحظ كيف تتداخل الأمثال العربيّة في النصوص الخطابيّة من حيث تتوّع أشكال التناصُّ من إضماريّ ومحوّر وتناصُّ أسطوريّ . وسنتعرّف على التناصُّ الداخليّ من خلال تداخل نصّ غائب معاصر للنصّ الحاضر .

ويُلاحظ أنَّ الأدب العربي القديم سواء كان نثراً أو شعراً لا يخلو من المثل السائر . فقد شاع في شعرهم ضرب الأمثال للتشبيه أو التحقير . وعَلَّ محقّق كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي<sup>٢</sup> سبب تضمين المتحدثين للأمثال في حديثهم في مقدّمة الكتاب قائلاً : "الأمثال هي من جهة أولى تحمل الكثير من العناصر الفنيّة التي تجعل المرء يقبل عليها لأسلوبها الراقي وبلاغتها الشفافة الأصليّة ومجازها النافذ إلى العقل والقلب والخيال، وكما هي من جهة كافية لها وظيفتها التي لا تتكرر في التكرّر والإقناع . ولهذا فقد ضربها الله تعالى في كتابه العزيز وأكثر من ضربها في مواطن إقناع الناس وموعظتهم علّهم يتبصّرون في شؤون حياتهم ... فنحن نرى في سيرة الأنبياء والصالحين وأصحاب الرسائل الإنسانيّة العظيمة ما يدلّ على استخدام الأمثال في الدعوات الكبرى تأييداً للدعوة وكثيراً ما يكشفون بواسطتها عن وجوه الحقّ والباطل والصحّة والزيف . وإلى ذلك يذهب الجاحظ<sup>٣</sup> في قوله : "ولن تجدوا وصايا أنبياء الله إلا مبنيّة الأسباب مكشوفة العلل ، مضروبة معها الأمثال"<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، كتاب الفتن، باب العزلة، رقم الحديث ٣٩٧٨، ص ١٣١٦.

<sup>٢</sup> - أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبي ولد في مدينة نيسابور سنة ٣٥٠ من الهجرة وتوفي سنة ٤٢٩ / ١٠٣٧ . والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب . ألّف كتباً كثيرة منها: كتاب يتيمّة الدهر في محاسن أهل العصر، وفقه اللّغة ، والتمثيل والمحاضرة؛ ابن خلّكان، وفیات الأعيان، ج٣، ص ١٧٨ - ١٨٠.

<sup>٣</sup> - أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ . علم مشهور وصاحب التصانيف في كلّ فنّ ككتاب الحيوان، والبيان والتبيين، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظيّة من المعتزلة، أصيب آخر عمره بالفالج. توفي في المحرم سنة (٢٥٥ / ٨٦٨) بالبصرة ، وقد نيف على تسعين سنة؛ ابن خلّكان، م. ن. ج٣، ص ٤٧٠ - ٤٧٤.

<sup>٤</sup> - انظر مقدّمة كتاب الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٦.

لذا نجد المثل حاضرًا بقوة في خطابات علي بن أبي طالب متضمنًا في جنباته أغراضًا ودواعي عدّة. ففي ردّ عليّ على معاوية<sup>١</sup> استحضر مثلًا شبه فيه معاوية بشخص ينقل شيئًا إلى شخص آخر هو غنيّ عنه لو فرته لديه، فكأنّ طالبًا يعطي عالمًا علمًا أو مريضًا يعطي طبيبًا طبًّا فيقول:

"... إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ<sup>٢</sup>، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِيهِ الْإِسْلَامُ فَلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَرَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقَكَ تَلْمُهُ..."<sup>٣</sup>.

يقول محمد عبده في شرح عبارة "كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ" أو دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ: "هي مضرب المثل ويقصد بهجر مدينة بالبحرين كثيرة النخيل، والمسدد معلم رمي السهام، والنضال تعني المراماة. وهما مثلان لناقل الشيء إلى معدنه والمتعالم على معلميه"<sup>٤</sup>. ويقول ابن أبي الحديد في شرحه للمثل: "هو مثل قديم وأصله كمستبضع تمر إلى هجر"<sup>٥</sup>.

ورد المثل على شكل تناصّ محور<sup>٦</sup>. فقد تعجّب عليّ من إخبار معاوية بقدم البلاء في قوله: "إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا" وعليّ أعرف بهذا البلاء وأخبر من معاوية. فكان معاوية أشبه برجل نقل تمرًا إلى هجر المشهورة بالتمر. ويُحيل تفاعل المثل في الخطاب إلى التعجّب والانتقاد في آنٍ واحد.

<sup>١</sup> - معاوية بن أبي سفيان بن صخر أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة يوم الفتح. وفي سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية سلّم الحسن بن عليّ الأمر لمعاوية وكان بذلك أول ملوك الإسلام، ولا خلاف أنّه توفّي بدمشق في رجب سنة ستين هجرية (٦٠ / ٦٧٩) وصلى عليه ابنه يزيد؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٢، ج ٦، ص ٦٢، ٦٤، ١٨٧، ١٨٨.

<sup>٢</sup> - أصل المثل: كمستبضع التمر إلى هجر. قال أبو عبيدة: هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها. وذلك أنّ هجر معدن التمر، والمستبضع إليه مخطئ؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، الباب الثاني والعشرون فيما أوله كاف، رقم المثل ٣٠٨٠، ص ١٦٠.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٣٢.

<sup>٤</sup> - هجر: الهجر بلغة حمير والعرب العاربة للقرية، فمنها: هجر البحرين وهجر نجران... وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلّها هجر وهو الصواب... وقد فُتحت أيام النبيّ محمد. قيل سنة ثمان وقيل سنة عشر على يد العلاء بن الحضرمي. وقال ابن موسى: هجر قسبة بلاد البحرين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٣.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٣٢.

<sup>٦</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٢٨.

<sup>٧</sup> - انظر تعريف التناصّ المحور ص ٢٤.

ويتعجب عليّ من معاوية في موضع آخر من النصّ نفسه ، فيستعرض تاريخ آباء معاوية وأجداده ، ويستدعي مثلاً يقلّ به من شأن معاوية وأنه لا يصل لدرجة صحابه في قوله:

"... وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ، وَالْتَمَيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا<sup>١</sup>، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا! أَلَا تَرَبَّعَ أَئِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ! وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ<sup>٢</sup>."

وموضع المثل هو " هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا " ويقصد به إذا كان سهم يخالف السهم كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها . وذكر محمد عبده أن أول من قال هذه العبارة الخليفة الثاني في قوله: " مثل يضرب لمن يفتخر بقوم ليس منهم وأصل المثل لعمر<sup>٣</sup> بن الخطاب " ، وبما أن علياً أورد في نصّه عبارة لإحدى الشخصيات المعاصرة له فيسمى هذا النوع من التناصّ التفاعل النصّي الداخلي<sup>٤</sup> .

وأورد في نصّ آخر مثلاً يشبه به ازدحام الناس عليه تبايعه للخلافة<sup>٥</sup> كزدحام الغنم على أماكن راحتها في قوله :

<sup>١</sup> - حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا: مثل يضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها ، أو يتمدّح بما لا يوجد فيه . وتمثّل عمر بن الخطاب به حين قال الوليد بن عتبة بن أبي معيط: أَقْتُلْ من بين قریش؟ فقال عمر المثل؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، الباب السادس فيما أوله حاء، رقم المثل ١٠١٨، ص ٢١٣.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٣٢.

<sup>٣</sup> - عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن حنتمه بن هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم استُخلف بعد أبي بكر يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة من الهجرة. طعنه أبو لؤلؤة عبد للمغيرة بن شعبة بخنجر مسموم يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (٢٣ / ٦٤٣) وكان عمره ثلاث وستون سنة؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩٥، ١١٠.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٣٢.

<sup>٥</sup> - التفاعل النصّي الداخلي: هو تداخل نصّ الكاتب وتفاعلها مع نصوص كتاب عصره؛ سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ١٠٠. انظر ص ٢٦.

<sup>٦</sup> - اجتمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا الحسن هلمّ نبايك ... وعن محمد ابن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان فقام فدخل منزله ، فأثاه أصحاب رسول الله فقالوا: لا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك ، فقال: لا تفعلوا ، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايك؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ١٥٢.

"... إِلَى أَنْ انْتَكَتْ عَلَيْهِ فَنَلَهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ . فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبْعِ <sup>١</sup> ، يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيبَةِ الْغَنَمِ ..."<sup>٢</sup> .

وصف عليّ ازدحام الصحابة عليه بالمشهد المريع في قوله: " وما راعني "، فشبهه: " كَعُرْفِ الضَّبْعِ " على سبيل التشبيه التمثيلي . فقد شبه حالة اجتماع الصحابة عنده وجثومهم بين يديه ، كحالة تجمع الغنم الرابضة في مكان معين .

ويشبهه عليّ قومه بالشوكة في خطاب آخر ، ويصور مدى عجزهم وأنهم مرض ألم به قائلاً :

"... هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ ... وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ ذَائِي، كَنَاقِشِ الشُّوْكََةِ بِالشُّوْكََةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا <sup>٣</sup>! اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيَّ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ! ..."<sup>٤</sup> .

يستطيع المُلَقِّي (Orator) المبدع أن يتصل بخطاب آخر فيوجهه الوجهة المنشودة، ليحقق مبتغاه . فلم يأت في المقطع السابق تناصّ المثل حرفياً ، بل تحويلاً<sup>٥</sup> عن اللفظ الأصلي للمثل . فقد ورد في المقطع "كَنَاقِشِ الشُّوْكََةِ بِالشُّوْكََةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا " ، أما أصل المثل في كتب الأمثال " لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعتها معها " . ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي : " وهذا مثل مشهور " لا تنقش الشوكة بالشوكة " يقول : لا تستخرج الشوكة الناشئة في رجلك بشوكة مثلها<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> - "عُرف الضبع": هذه العبارة يضرب بها المثل في الكثرة والازدحام؛ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٥ .

<sup>٢</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ٣٥ .

<sup>٣</sup> - "لا تنقش الشوكة بمثلها فإن ضلعتها معها": أي لاتستن في حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة أنصح منه لك؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، باب ما أوله "لا"، رقم المثل ٣٥٨٣، ص ٢٣٩ .

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٦٦ .

<sup>٥</sup> - التناصّ التحويلي: أحد قوانين التناصّ وله أسماء عدة أشهرها الحوار أو القلب أو العكس أو التناصّ العكسي ويعني تغيير النصّ الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي قد يغلف الكتابة وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية والأخلاقية والخوض في المسكوت عنه لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحية في الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة؛ أحمد ناظم، التناصّ في شعر الرواد، ص ٦١-٦٢؛ انظر تعريف التناصّ بالقلب ص ٢٦ .

<sup>٦</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١٩٩ .



ويفصل محمد عبده في شرح المثل فيقول: " يُضرب هذا المثل على رجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه ، ونقش الشوكة إخراجها من العضو تدخل فيه"<sup>١</sup>.

وبهمنّا هنا معالجة آليّة استدعاء تناصّ الأمثال في نهج البلاغة ، والوقوف على مضامين العلاقات التمازجية للنصوص المتداخلة في النصّ الحاضر . فليس ثمة نصّ بريء من التعالق النصّيّ مع نصوص أخرى سابقة عليه أو معاصرة له إمّا بشكل مباشر وصريح أو ضمنيّ. ولعلّ أبرز آليات استدعاء الأمثال العربيّة في خطب النهج أخذ شكل التناصّ، ولم يأخذ شكل مُناصّ بلفظ "وقيل في المثل " أو " وجاء في الأمثال " ، وأتت كلّها تناصّات صريحة جزئية . فمن آليات تناصّ المثل في خطب نهج البلاغة التناصّ الإضماري<sup>٢</sup> وموضعه في قوله :

" ... فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمَجْرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعَقِّبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَتَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجَفَاءَ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةَ..."<sup>٣</sup>.

اعتمد المقطع على تركيبين أساسيين: القصة التاريخية ، والتفاعل الميتانصّي<sup>٤</sup> . فقد أحال تناصّ المثل " لو كان يُطاع لقصير أمر "° إلى قصة تاريخيّة وهي " أن مولى جذيمة<sup>٥</sup> المعروف بالأبرش وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيّده جذيمة أن لا يأمن للزّباء<sup>٦</sup> ملكة الجزيرة فخالفه

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٦٦.

<sup>٢</sup> - انظر تعريف التناصّ الإضماري ص ٢٤.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ٦٨.

<sup>٤</sup> - التفاعل الميتانصّي هو الذي يأتي نقداً عن طريق تفاعله مع بنية نصيّة أخرى سواء كانت أصلية كما نجد في الحوارات بين الشخصيات حول قضية معينة ...؛ سعيد يقطين، افتتاح النصّ الروائي، ص ١١٨؛ انظر تعريف الميتانصّ ص ٢٨ - ٢٩.

<sup>٥</sup> - المثل: " لا يُطاعُ لقصير أمره"، وقالت الزّباء لما رأت قصيراً مجذوعاً: " لأمرٍ ما جذعٌ قصيرٌ أنفه؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، باب اللام رقم المثل ٣٣٦٦ و ٣٦٤٥، ص ٢٠٥، ٢٤٨.

<sup>٦</sup> - جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن نؤس الأزديّ تحالف مع مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد ابن وبرة وكان جذيمة الأبرش من العاربة الأولى من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح، وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبدهم مغاراً وأشدّهم نكاية وأظهرهم حزمًا ، وكانت منازلهم فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتهما وعين التمر وأطراف البرّ إلى الغوير والقُطْطانة وخَفِية وما والاها ، وتُجْبى إليه الأموال وتقد إليه الوفود؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٤٣٢، ٤٣٤ - ٤٣٥.

<sup>٧</sup> - كان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوير العمليّ، ولما مات ملكته من بعده ابنته الزّباء واسمها نائلة ، وكان جنود الزّباء بقايا من العمليّ والعاربة الأولى ، وكان للزّباء أخت يُقال لها زُبيبة ، فبنت لها قصرًا حصينًا على شاطئ الفرات الغربيّ وكانت تشتو عند أختها وترجع ببطن النّجار وتصير إلى

وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير<sup>١</sup> : لا يطاع لقصير أمر ، فذهب مثلاً<sup>٢</sup> . وقال ابن أبي الحديد المعتزلي عن المثل: "ضُربَ المثل لكل ناصح يُعصى بقصير"<sup>٣</sup> . فضلاً عن ذلك فإن المقطع والمثل نقد لازع لأهل الكوفة وهو ما يُعرف بالميتانص . وبعد انحراف السياق اللغوي عن تركيبه الأصلي سمة بارزة في الأمثال الواردة في خطب نهج البلاغة . فقد تغير تركيب المثل في الخطاب عن أصله بحذف (لا النفي) منه ، وكذلك في قوله:

"... أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ وَتَتَّبِعُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ وَتَخْذَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ؟ وَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبِّانِيكُمْ، وَأَخْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَأْيُ أَهْلِهِ... فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاعِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَآخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكُذْبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ"<sup>٤</sup>.

ويقول محمد عبده: "موضع المثل قوله: "وَلْيَصْدُقْ رَأْيُ أَهْلِهِ" ويقصد بالرائد من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلا ويتعرف سهولة الوصول إليها من صعوبته. وأصل المثل: "لا يكذب الرائد أهله" فهو يأمر الهداة والرعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق في النصيحة"<sup>٥</sup>. واختلف نسق المثل المتداخل في الخطبة عن المثل العربي بحرف النفي . فقد أشار محمد الغروي لذلك في قوله: "تختلف صورته مع المثل السائر الرائد لا يكذب أهله ويُجاب عنه : هو كذلك إلا أن المعنى

تدمر ، فلما استجمع لها أمرها ، وتحكم لها ملكها ، أجمعت لغزو جزيمة الأبرش تطلب بثأر أبيها؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

١- قصير بن سعد بن عمر بن جزيمة بن قيس بن ربي بن نمار بن إخم ، كان حازماً أثيراً (مكرماً) عند جزيمة ناصحاً . وكان سعد تزوج أمة لجزيمة فولدت له قصيراً؛ الطبري، م. ن. ، ج ١، ص ٤٣٩ .

٢- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٨ .

٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤٠٠ .

٤- "لا يكذب الرائد أهله" وهو الذي يقيمونه ليرتاد لهم منزلاً أو ماءً ، فإن كذبهم صار تدبيرهم على خلاف الصواب وكانت فيه هلاكهم ، أي أنه وإن كان كذاباً فإنه لا يكذب أهله. ويضرب المثل فيما يُخاف من غيب الكذب؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، باب ما أوله "لا"، رقم المثل ٣٦٠٦، ص ٢٤٢ .

٥- محمد عبده، م. س. ، ص ١٥٠ .

٦- محمد عبده، م. س. ، ص ١٥٠ .



واحد ولا فرق بينهما سوى تبديل " لا يكذب " بلفظ " ليصدق " وهو خبر أريد به النهي أي لابد أن لا يكذب أو الأمر ومنعاه ليصدق<sup>١</sup>، وأطلقنا على هذا النوع اسم التناصّ الموافق .

فلاحظ بين تناصّ المثل الوارد في النصّ السابق وسياقه الأصليّ انحرافاً إضمارياً . فضلاً عن تناسب نسق الخطاب وسياقه السردّيّ والذي يُعرف بالتناصّ الموافق كقوله أيضاً:

" ... وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْقَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي ضَقَّتِي جُفُونِهِ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ<sup>٢</sup> ! . تَخَالُ قَصْبَهُ مَدَارِي مَنْ فَضَّةً، وَمَا أُنبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ...<sup>٣</sup> .

ويُعدّ المثل تناصّاً أسطورياً؛ لبعض حكايات العرب القديمة . فقد قال محمد عبده في ذلك: "لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ أَيُّ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ الزَّعَمُ فِي الطَّاوُوسِ لَكَانَ لَهُ نَظِيرٌ فِيمَا زَعَمُوا فِي مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ وَتَلْقِيحِهِ لِأُنْثَاهُ حَيْثُ قَالُوا إِنَّ مُطَاعِمَةَ الْغُرَابِ بَانْتِقَالَ جِزءٍ مِنَ الْمَاءِ الْمُسْتَقَرِّ فِي قَانِصَةِ الذَّكَرِ إِلَى الْأُنْثَى تَتَنَاوَلُهُ مِنْ مَنقَارِهِ . وَالْمَمَاتِلَةُ بَيْنَ الزَّعَمِينَ فِي عَدَمِ الصَّحَّةِ . وَمِنْشَأَةُ الزَّعَمِ فِي الْغُرَابِ إِخْفَاؤُهُ لِسَفَادِهِ حَتَّى ضُرِبَ الْمَثَلُ بِقَوْلِهِمْ: " أَخْفَى مِنْ سَفَادِ الْغُرَابِ "° . فقد اختلف سياق المثل في النصّ الخطابي عن الأصل وهو ما عرّفناه بالتناصّ الإضماري .

ويستنتج المتمعن في تناصّ المثل في خطب نهج البلاغة أسلوبين من الأساليب التركيبية للتناصّ هما :

أ- استدعاء أسلوب النقد التعجّبي .

ب- استدعاء أسلوب التشبيه .

<sup>١</sup> - محمد الغروي، الأمثال والحكم المستخرجه من نهج البلاغة، ص ٤٢٨.

<sup>٢</sup> - كانت العرب تزعم أن الغراب لا يسفد ومن أمثالهم: " أخفى من سفاد الغراب " فيزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذكر والأنثى منهما ، وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٨٠.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ص ٢١٤.

<sup>٤</sup> - الأسطورة: نوع أدبيّ يوصف بالقصة الأسطورية التي تتضمن في طياتها خلطاً بين الحقيقة والخرافة والرمز والمجاز. وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حيّة؛ عبد العاطي كيوان، التناصّ الأسطوري، ص ١٧؛ مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص ٣٢؛ انظر التناصّ الأسطوري في الرسالة ص ٢٥.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢١٤.

ولم تقتصر النصوص الخطابية على هذين الأسلوبين ، بل تعدتتهما إلى أساليب أخرى كالأمر واستدعاء القصة التاريخية . ففي قوله :

" ... فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ - عَلَمًا لِلسَّاعَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا ، لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ، فَمَا أَعْظَمَ مَنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطُؤُا عَقِبَهُ ! وَاللَّهِ لَقَدْ رَفَعْتُ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا ، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى ...<sup>١</sup> " .<sup>٢</sup>

تضمّن الخطاب نسقين: نسق سرديّ ، ونسق حواريّ . وختم النسقان بتناصّ المثل في قول عليّ: " فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى " . ويدلّ أسلوب الأمر في المثل على الرّفص الشديد وعدم الاقتناع بطلب الطرف الآخر في قوله: " اعزب عني " . وقال محمد عبده: " يُقال إذا أصبح النائمون وقد رأوا السّارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سرائهم وندموا على نوم أنفسهم<sup>٣</sup> . وتقوم بعض النصوص الخطابية على أسلوب الحوار كالمقطع الآتي الذي أبطل فيه عليّ بعض الافتراءات التي قيلت فيه:

" ... فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمَلِكِ ، وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا! وَاللَّهِ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَنِي أُمِّهِ " .<sup>٤</sup>

يقول محمد عبده في شرح المثل: " هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا " : " أي بعد ظنّ من يرميني بالجزع بعدما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها . وقيل " إِنَّ رَجُلًا تَزَوَّجَ مِنْ

<sup>١</sup> - " عند الصباح يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى " يضرب المثل للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، الباب الثامن عشر فيما أوله عين، رقم المثل ٢٣٨٢، ص ٥.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٧.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ٢٠٧.

<sup>٤</sup> - " بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا " هما الداهية الكبيرة والصغيرة ، وكُنَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحياة ، فإنّها إذا كثر سمّها صغرت لأنّ السمّ يأكل جسدها، وقيل: أن رجلاً تزوّج قصيرة فقاسى منها فطلقها ، فتزوّج طويلة ، فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال: بعد اللتيا والتي؛ الميداني، م. س.، ج ١، باب ما أوله باء، رقم المثل ٤٤٠، ص ١٠٩.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٨.

قصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها ، ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان شقاؤه بها أشد فطلقها . فقال : لا أتزوج بعد اللثيا والتي . ويشير بالأولى إلى الصغرى وبالثانية إلى الكبرى فصارت مثلاً في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها<sup>١</sup> . وقام الخطاب على استدعاء أساليب عدة منها : أسلوب الحوار الذاتي<sup>٢</sup> ، وأسلوب القسم ، والشرط . وتفاعلت كلها في النص مبيّنة رفض عليّ للقولين "فإن أقل يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من الموت! هيهات بعد اللثيا والتي!" رفضاً قاطعاً . وتحضر الصورة الاستعارية في تناص المثل في خطب النهج، فيقول:

"إِنَّ اسْتَعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لَأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ، وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبٍ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْذُوعًا أَوْ عَاصِيًا وَالرَّأْيُ مَعَ الْأَنَاءَةِ فَأَرُوذُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ . وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ<sup>٣</sup> ، وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرِ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ"<sup>٤</sup> .

وموضع المثل قوله: " وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ " . فرمز للحرب بالأنف والعين . وشرح محمد عبده المثل في قوله: " إنما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شيء في صورة الوجه وهما مستلفتان النظر ، والمراد من الكفر في كلامه الفسق لأن ترك القتال تهاون بالنهي عن المنكر وهو فسق لا كفر"<sup>٥</sup> .

ويُعدّ التشخيص<sup>٦</sup> أو التجسيد (Personification) أحد صور الاستعارة ويراد منه تحويل المجرد إلى محسوس<sup>٧</sup> . فقد جسّد عليّ الحرب باستعارة مكنية بقرينة الأنف والعين والبطن ، وتعدّ من لوازم الإنسان . ووجوده في النص دلالة على ضراوة الأمر وقوته . فقد تغلب عليه بضربة

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٨.

<sup>٢</sup> - الحوار الذاتي : تبادل الحديث بينه وبين نفسه ويُعرف بحديث النفس.

<sup>٣</sup> - "ضربت أنف هذا الأمر وعينه" مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر؛ محمد عبده، م. ن.، ص ٧٣.

<sup>٤</sup> - م. ن.، ص ٧٣.

<sup>٥</sup> - م. ن.، ص ٧٣.

<sup>٦</sup> - التشخيص : نسبة صفات البشر إلى أفكار مُجرّدة أو أشياء لا تتّصف بالحياة كالجبل يحزن على فراق الأحبة أو مخاطبة الطبيعة كأنها شخص يسمع ويستجيب . والوظيفة الأساسية للتشخيص أنها تُعين المتكلم على أن يُسقط آماله وآلامه على ما حوله من مظاهر الطبيعة؛ مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص ١٠٢؛ وجدان الصايغ، الصورة الاستعارية، ص ٣٩.

<sup>٧</sup> - وجدان الصايغ، م. ن.، ص ٣٨.

قضت على الفتنة كلها . ونلاحظ تجسيد الدنيا في المثل وبث روح التجسيم بقرينة (الأرجل) في خطابه الآتي:

" ... فَإِنَّ الدُّنْيَا رَتِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ أَقْلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا، وَأَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا ، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيِّ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايِنَةِ الْمَحَلِّ ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ...<sup>١</sup> .

وموضع المثل " قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا " فيقال : قمص الفرس وغيره يقمص من باب ضرب وهو أن يرفع يديه ويطحرحهما معاً ويعجب ، وفي المثل المضروب لضعيفٍ لاحتراك به وعزيرٍ ذلٍّ . ويقال : ما بالبعير من قماص . إننا نلاحظ كيف تُضفي الاستعارة روحاً متحركة على النصِّ وكما عبر الصايغ في قوله عن الاستعارة : "الصُّورَةُ الاستعارِيَّةُ قد تقف عند الملامح الجسدية والنفسيَّة للشخصية فتبرزها...<sup>٢</sup> . ويتضح من الاستعارات تشبيه الحرب بالإنسان والدنيا بالبعير . وقد يتبين من الاستعارة التصريحية الاستقرار والهدوء وتجنب الحرب في قوله:

" ... اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمَنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ، وَتَحَفِ الْكَرَامَةِ "<sup>٣</sup> .

ويشرح محمد عبده المثل فيقول: " تقول العرب: عيش بارد أي لا حرب فيه ولا نزاع ، لأنَّ البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة ، وقرار النعمة مستقرها حيث تدوم ولا تنفنى"<sup>٤</sup> . فشبه عليَّ الاستقرار والهدوء بالمعيشة الباردة .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٠١.

<sup>٢</sup> - وجدان الصايغ، الصورة الاستعارية، ص ١٨٩.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٩٣.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٩٣.

## رابعاً: الشعر العربي

لم يقتصر التناصر في خطب النهج على الأثر النثري فحسب ، بل تعداه إلى التراث الشعري الذي يُسميه ابن ميثم بالتلميح<sup>١</sup> كقول علي في خطبة الشقشقية<sup>٢</sup>:

شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا      وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ<sup>٣</sup>.

ويُعدّ الشعر من مصادر التناصر في نهج البلاغة . فقد تداخل هذا المصدر في النصوص الخطابية ، وبأشكال متنوعة . فيلاحظ التناصر الشعري مثلاً في الخطاب الذي استنهض عليّ فيه أهل الكوفة لتخليص أهل اليمن<sup>٤</sup> من بطش بسر بن أبي أرمطة<sup>٥</sup> في قوله:

"مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ  
لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي      عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ<sup>٦</sup>  
أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيَذَلُّونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ  
عَلَى بَاطِلِهِمْ ..."<sup>٧</sup>

<sup>١</sup> - التلميح وهو أن يُشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر وشعر نادر؛ ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٠؛ انظر ص ٣١.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٤٠.

<sup>٣</sup> - الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص ١٨٥.

<sup>٤</sup> - وجّه معاوية بسر بن أرمطة في ثلاثة آلاف رجل وقال له: سر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد أهلها ، وسر حتى تدخل مكة وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة . فجعل لا يمرّ بحيّ من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية ، ثم مضى حتى أتى اليمن وبلغ عليّاً الخبر ، فقام خطيباً فقال: أيّها الناس! هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة . فقام جارية بن قدامة السعدي فقال : يا أمير المؤمنين أنا لهؤلاء القوم فسرّحني إليهم ، فقال عليّ: تجهّز ، ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال : أنا أنتدب يا أمير المؤمنين ، فقال عليّ : انتدب بارك الله فيك . فخرج جارية في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين . وهرب منهما بسر؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٧.

<sup>٥</sup> - بسر بن أرمطة: هو رجل من بني عامر بن لؤي. في سنة أربعين من الهجرة أرسل معاوية بسر بن أبي أرمطة في ثلاثة من المقاتلة فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ، ودخل بسر المدينة فصعد منبرها ولم يقائله بها أحد فنأدى على المنبر: شيخي شيخي ! عهدي به بالأمس فأين هو ! يعني عثمان . ثم قال : يا أهل المدينة ، والله لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركتُ بها محتلاً إلا قتلته ... ثم رجع إلى الشام؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٨٩، ٤١٨.

<sup>٦</sup> - ذكر ابن أبي الحديد أن البيت لأبي جندب الهنلي . ولم أعثّر له على ديوان شعر؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٥٥.

<sup>٧</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٢٠٨.

تشير العبارة " إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ " إلى التقليل من شأن الحاضرين، وعدم الاعتماد عليهم في خوض غمار المعارك . فيقول ابن ميثم شارحاً الخطاب: " يفهم من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب . وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له من التصرف الحق بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف ... " <sup>١</sup>.

ووردت استعارة الأعاصير في الخطاب للدلالة على تذبذب الآراء . فقد أشار ابن ميثم إلى استعارة لفظ الأعاصير في قوله: " ... لفظ الأعاصير يحتمل أن يُحمل على حقيقته فإن الكوفة معروفة بهبوب الإعصار فيها ، ويُحتمل أن يكون مستعاراً لما يحدث من آراء أهلها المختلفة التي هي منبع الغدر به والتناقل عن ندائه . ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار منه وله من الأذى والإزعاج " <sup>٢</sup>. واستعار المناصب الشعري ، لبيان الجو العام الذي يدور حوله وعدم اقتناعه بجاهزية أهل الكوفة. ويقول ابن ميثم في شرح البيت : " وهو تمثيل على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفة ، ووجه المشابهة ما يشرك في الكوفة والوضر من الحقارة بالنسبة إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الإناء من الطعام ... " <sup>٣</sup>.

ويشكل الاستدعاء الميثانصي في النهج نقداً للنص الحاضر كقوله في الخطاب نفسه:

" ... اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُونِي، وَسَمِئْتُهُمْ وَسَمِئُونِي، فَأَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدَلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاطُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٌ .  
هَذَا لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ " <sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٩.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٢٠٩.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ٢١٠.

<sup>٤</sup> - قبيلة فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، بطن ضخمة . فولد فراس غنم: علقمة جد الطعان ، وجذيمة فراس العرب ، ومنهم آل الأبرار الأطباء الفقهاء بالكوفة . ومنهم نساء المشهور في الجاهلية وأول من نسا المشهور : سريير بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة ، ثم ابن أخيه عدي بن عامر بن ثعلبة، ثم في ولده . ومنهم علقمة بن صفوان بن أمية بن جندة ابن حمل بن شق بن رقة بن مخزج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، جد مروان بن الحكم لأمه؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ج ١، ص ١٨٨-١٨٩.

<sup>٥</sup> - قال هذا البيت أبو جندب الهذلي وذلك عندما جاور بني نفاثة بن عدي بن الدليل ، ثم هموا بأن يغدروا به ، فأصبح ظاعناً عنهم فقال هذا البيت؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢١، ص ١٦٨ - ١٧٠.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٥٥.

انتقد عليّ بن أبي طالب تخاذل أهل الكوفة وتكاسلهم عن القتال . فقد أنزل قدرهم ورفع قدر بني فراس بن غنم الذين لو دعاهم لأتوه مسرعين . ويُعدّ التناصّ الشعري نقدًا لهم لعدم استجابتهم لدعوته . ويذكر ابن أبي الحديد أنّ البيت " لأبي جندب الهذلي<sup>١</sup> وأول الأبيات :

أَلَا يَا أُمَّ زَنْبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْعَيْسِ نَحْوَ بَنِي تَمِيمٍ<sup>٢</sup> .

واعتمد بناء النصّ على الثنائية الضدية<sup>٣</sup> بين وصف أهل الكوفة بالمتثاقلين عن أميرهم ، ووصف أهل الشام بالمطيعين لأمرهم . وقارن بين خيانة أهل الكوفة لأمانة الحقّ وحرص أهل الشام على أداء أمانة الباطل ، وأشار إلى فساد أهل الكوفة في بلادهم وصلاح أهل الشام في بلادهم . وذكر الخطاب مكانين هما: الكوفة واليمن ، وانقسم الزمان إلى قسمين: الأول زمن النصّ وهو زمن عليّ مع قومه ، والثاني زمن قبيلة بني فراس بن غنم . وتفاعلت الشخصيات في النصّ على شكلين: أسماء مصرّح بها (عمرو - بسر - بنو فراس بن غنم) ، والضمائر (ضمير عليّ - ضمير أهل الكوفة - ضمير أهل الشام) . ويظهر التناصّ التاريخي في الشعر بقصة شجاعة بني فراس بن غنم وبطولاتهم الحربية وتشبيههم بالسحاب لسرعة تلبّيتهم دعوة القتال وقوتهم في المعارك . ووظف المقطع التراكيبي اللغويّة المتنوّعة كأسلوب القسم : " لعمر أبيك... " ، " أما والله لوددت... " ، ونلاحظ أسلوب الدعاء في قوله : " اللهمّ إنّي قد ملّتهم وملّوني " ، " اللهمّ مثّ قلوبهم كما يُماتُ الملح " . وتفاعل التمنيّ في النصّ في قوله : " أما والله لوددت أنّ لي بكُم ألف فارسٍ " .

وقارن النصّ بين حالة تقاعس أهل الكوفة التي يشبّها بالثوب ، فيقول محمّد عبده في ذلك : " بالثوب يبسطه صاحبه ويقبضه " <sup>٤</sup> في قوله : " مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا " <sup>٥</sup> . فقد تخاذلوا عن نصره إخوانهم في اليمن وعصوا أمر إمامهم ، وحالة قبيلة بني فراس بن غنم الذين لو دعوا

<sup>١</sup> - أبو جندب بن مرة أحد شعراء هذيل المعدودين هو أخو أبي خراش خويلد بن مرة ، وهو من بني قرد بن عمرو بن معاوية ابن تميم بن سعد بن هذيل . مات أبو خراش في زمن عمر بن الخطاب ، وأمّا أبو جندب فقد مات قبله ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٤٥ .

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص ٢٥٥ .

<sup>٣</sup> - الثنائية الضدية هي قيام النصّ على ثنائية الظواهر واعتماد الألفاظ المتقابلة حينما يرجعان إلى نفس الطبقة فيشتركان في بعض المقومات ويختلفان في بعضها مثل : حارّ ضده بارد ، وصاعد ضده نازل ، وصنف كريمات التقابلات إلى عدّة أنواع منها تقابلات مراتبية مثل : كبير ، وسط ، صغير . وتقابلات متناقضة مثل : متروّج ، عزب . وتقابلات متضادة مثل : صعد ، نزل ؛ محمّد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٦٠ .

<sup>٤</sup> - محمّد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ص ٥٤ .

<sup>٥</sup> - انظر المقطع الأول ص ٦٠ والثاني ص ٦١ .



إلى قتالٍ لَهَبُوا كالسحاب السريع . وتتفاعل في النصّ المقارنة التقابلية بين أهل الكوفة ورفضهم الامتثال للحقّ ، وأهل الشام وقبولهم بالباطل . ويظهر التناصّر الشعريّ كذلك في قوله :

" ... فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا ، وَطَفَقْتُ أُرْتَبِي بَيْنَ أَنْ  
أَصُولَ بَيْدٍ جَذَاءً ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشْيِبُ فِيهَا  
الصَّغِيرُ ، وَيَكْدُخُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ . فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى ،  
فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا ، أَرَى تُرَاثِي نَهَبًا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ  
لِسَبِيلِهِ ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ <sup>١</sup> . ثم تمثل بقول الأعشى <sup>٢</sup>  
شَتَانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ <sup>٣</sup> .

ينتقد عليّ في المقطع يومه الحالي من خلال الاستشهاد بشعر الأعشى الذي يُحيل إلى حادثة تاريخيّة حدثت في الجاهليّة <sup>٤</sup> . فقد هجا الأعشى خصمه عامر <sup>٥</sup> فقال :

عَلَّمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ      الناقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ

إلى قوله:

وَقَدْ أَسْلَى الْهَمَّ إِذْ يَعْتَرِي      بِجِسْرَةِ دَوْسَرَةٍ عَاقِرٍ  
زِيَاةً بِالرَّحْلِ خَطَارَةً      تَلْوِي بِشَرَّخِي مَيْسَةَ قَانِرٍ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٢.

<sup>٢</sup> - الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل وهو من سعد بن ضُبَيْة بن قيس بن ثعلبة وكان أعمى ويكنى أبا بصير... وكان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبي (ص) ليسلم فقبل له : إنه يحرم الخمر والزنا ، فقال : أتمتع منهما سنة ، ثم أسلم فمات قبل ذلك بقرية باليمامة. ذكر ابن أبي الحديد أن قاتل البيت هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٥٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٦.

<sup>٣</sup> - الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص ١٨٥.

<sup>٤</sup> - قال الأعشى هذه القصيدة في منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل؛ ابن أبي الحديد، م. س.، ج ١، ص ٥٦.

<sup>٥</sup> - عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العمريّ ابن عمّ لبيد الشاعر ، وكان أعور عقيماً لا يُولد له ولم يعقب ، وكان عامر أتى النبيّ محمد فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني وليّ الأمر من بعدك وأسلم ، فقال النبيّ: اللهم اكفني عامراً واحداً بني عامر ، فانصرف وهو يقول: لأملأها عليك خيلاً وجرداً مردّاً فطعن في طريقه فمات . وهو الذي نافر علقمة بن علاثة ، وعامر وعلقمة كلاهما من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهما يلتقيان عند الجدّ الثالث لعلقمة والجدّ الثاني لعامر . وسرى بينهما الشرّ حتّى صار إلى المنافرة . وانحاز الأعشى إلى عامر فقال هذه القصيدة يهجو فيها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل؛ ابن قتيبة، م. س.، ص ٢١٢ - ٢١٣؛ الأعشى، م. س.، ص ١٧٨.

شَتَانُ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا      وَيَوْمَ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرٍ  
أَرْمِي بِهَا الْبَيْدَاءَ إِذْ هَجَرَتْ      وَأَنْتَ بَيْنَ الْقُرَى وَالْعَاصِرِ  
فِي مَجْدِلٍ شَيْدٍ بَنِيَانُهُ      يَزِلُّ عَنْهُ ظَفَرُ الطَّائِرِ<sup>١</sup>.

وتفاعل في نص آخر التناص الشعري الداخلي<sup>٢</sup> لدريد بن الصمة<sup>٣</sup> في قوله :

"... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمَجْرَبِ تَوَرَّثَ الْحَسْرَةَ  
وَتُعَقَّبُ النَّدَامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونًا رَأْيِي  
لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرًا! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجَفَاءِ وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ،  
حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو  
هُوَازِنٌ:"

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى      فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ<sup>٤</sup>.

تتجلى في المقطع صفات شخصيتين بارزتين في الخطاب: صفات عليّ ، وصفات قومه . فقد  
وصف نفسه بأربع صفات: ناصح ، وشفيق ، وعالم ، ومجرب . فلا يفوز من يعارض شخصاً  
يمتلك كل هذه الصفات ، بل يندم على معارضته ورفضه لأوامره ، ووصف قومه في النص  
بالجفاء والعصاة . ويقول ابن أبي الحديد في شرحه للمقطع: " حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَضَنَّ

<sup>١</sup> - مناسبة الأبيات أنه كان حَيَّانُ صاحب شراب ومعاقرة خمر وكان نديم الأعشى وكان أخوه جابر أصغر سناً منه، فيقال : إِنَّ حَيَّانَ قَالَ لِلأَعْشَى نَسَبْتَنِي إِلَى أَخِي وَهُوَ أَصْغَرُ سَنًا مِنِّي . فقال : إِنَّ الرُّوِيَ اضْطَرَّتْنِي إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا نَازِعَتَكَ كَأَسَا أَبَدًا مَا عَشْتُ؛ الْأَعْشَى، ديوان الأعشى الكبير، ص ١٧٧، ١٧٩، ١٨٤-١٨٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣٠.

<sup>٢</sup> - انظر تعريف التناص الداخلي ص ٢٦.

<sup>٣</sup> - دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة بن جذاعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ويكنى أبو قرّة وأمّه ريحانة بنت معدى كرب ، كان رئيس بني جشم وسيدها ، وكان شيخاً كبيراً ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفة الحرب . شهد يوم حنين مع هوازن في شجار له يقاد به (والشجار مركب دون الهودج مكشوف الرأس) وقُتل يومئذ فيمن قُتل من المشركين؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥٤٢، ٥٤٤؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٥٠٦.

<sup>٤</sup> - أخو هوازن صاحب الشعر هو دريد بن الصمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو أحد الشجعان المشهورين وذوي الرأي في الجاهلية . شهد يوم حنين مع هوازن وهو شيخ كبير ، وقتل يومئذ فيمن قُتل من المشركين؛ ابن قتيبة، م. ن.، ص ٥٠٦.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٨؛ والبيت الشعري من ديوان دريد بن بن الصمة، ص ٦١.

الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ" أي ظننت أن النصيح الذي نصحتكم به غير نصيح ولا إطباقكم وإجماعكم على خلافي. وهذا حق لأن ذا الرأي الصواب إذا كثر مخالفوه يشك في نفسه. وأما "ضنّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ" فمعناه أنه لم يقدح لي بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقيت منكم من الإيذاء والخلاف والعصيان . وهذا أيضاً حق لأنّ المشير الناصح إذا اتهم عمي قلبه وفسد رأيه<sup>١</sup>. وتشكّل الميثانصّ الشعريّ باجتماع هاتين الشخصيتين المتناقضتين في الصفات، وخالف الميثانصّ الحاضر النصّ الغائب في الضمير "أمرتكم"، "أمرتهم" و"تستبينوا"، "يستبينوا". ويأتى التناصّ الشعريّ بغرض التشبيه أحياناً كقوله:

"...أما والله إن كنت لفي ساقته حتى تولت بحدافيرها ما ضعفت ولا جبنّت وإن مسيري هذا لمنلها فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش . والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولأقاتلنهم مقتونين... والله ما تنقم منا قریش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول<sup>٢</sup> :

أدمنت لعمري شريك المحض صابحاً وأكلك بالزُّنْدِ الْمُقْسَرَةِ الْبُجْرَا  
نحن وهيناك العلاء ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمر<sup>٣</sup>."

ورد المقطع الشعريّ (Stanza) كمشبّه به لحالة المعارضين من قریش في بداية عهد الإسلام وزمن خلافته وذلك باستدعاء القسم في قوله: "أما والله إن كنت لفي ساقته..."، وقوله: "والله ما تنقم منا قریش...". واستدعاء الاستعارة في قوله: "فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه". واستدعاء تاريخ قتاله المشركين مع رسول الله ، وقتاله أهل الشام في صفين<sup>٤</sup> "والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مقتونين".

ويتّضح ممّا سبق أنّ مصادر التناصّ في خطب النهج أربعة: القرآن الكريم ، والحديث النبويّ ، والمثل العربيّ ، والشعر العربيّ . وسنعالج أنواع التناصّ في خطب نهج البلاغة الفصل الثاني من هذا الباب.

<sup>١</sup> ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٤٠٠.

<sup>٢</sup> لم يذكر شراح نهج البلاغة المقصود بالأول ، ولم يرد في شروح النهج شئ بشأن الأول هل يقابل الثاني ، أم أنّها إشارة إلى أحد الشعراء الأوائل ، أم المراد به اسم شاعر غير معروف بضمّ الألف وفتح الواو.

<sup>٣</sup> محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص٦٦.

<sup>٤</sup> وقعة صفين: هو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات كانت فيه وقعة صفين بين عليّ بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان في سنة سبع وثلاثين في غرة صفر . وكان عليّ في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً ، وقُتل مع عليّ خمسة وعشرون صحابياً بدريةً ، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٤.

## الفصل الثاني: أنواع التناصّ في خطب " نهج البلاغة "

أولاً: التناصّ الصريح في خطب " نهج البلاغة "

- أ- التناصّ القرآني الكلي
- ب- التناصّ القرآني الجزئي

ثانياً: التناصّ الضمني في خطب " نهج البلاغة "

أ- أشكال التناصّ الضمني في خطب " نهج البلاغة "

- ١- التناصّ الديني
- ٢- تناصّ الشخصيات
- ٣- التناصّ التاريخي

ب- آليات التفاعل النصّي في التناصّ الضمني

- ١- التكرار
- ٢- التمثيل بالقلب
- ٣- التناصّ الداخلي المعاصر للنصّ الحاضر
- ٤- الرمز

سنبيّن في هذا الفصل أنواع التناصّ في خطب نهج البلاغة في مبحثين: الأول التناصّ الصريح<sup>١</sup> في خطب نهج البلاغة ، وينقسم إلى قسمين: التناصّ القرآنيّ الكلّي، والتناصّ القرآنيّ الجزئيّ<sup>٢</sup> . والثاني فيعالج أنواع التناصّ الضمنيّ<sup>٣</sup> في قسمين: أشكال التناصّ الضمنيّ الثلاثة: التناصّ الديني ، وتناصّ الشخصيات ، والتناصّ التاريخي ، وآليات التفاعل النصّي في التناصّ الضمني: التكرار ، التمثيل بالقلب ، التناصّ الداخلي المعاصر للنصّ الحاضر ، الرمز .

تتعدّد تسميات أنواع التناصّ بين صريح وضمنيّ أو مباشر وغير مباشر. وأطلق بعضهم على النوعين تسمية الخفاء والتجليّ . فقد ذكر ماجد جعافرة أنّ " للتناصّ أشكالاً كثيرة، ولكن أهمّها ما يسمّى تناصّ الخفاء ، وتناصّ التجليّ . فقد يكون التناصّ الوارد كلمة تدلّ على النصّ الذي أخذت منه ، أو جملة ذات دلالة ما ، أو عبارة أو بيت شعر أو جزءاً منه . ويحلو للبعض أن يقسم التناصّ إلى تناصّ مباشر يعمد الكاتب أو الشاعر في استحضار نماذج من التناصّ إلى نصّه الأصليّ لوظيفة فنيّة أو فكريّة منسجمة مع السياق الروائيّ أو السياق الشعريّ سواء كان هذا التناصّ نصّاً تاريخيّاً أم دينيّاً أم أدبيّاً ... إذ يقتبس النصّ بلغته التي ورد فيها مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص . والقسم الثاني يُسمّى تناصّ غير مباشر... "٤ . أمّا مصطفى السعدنيّ فأطلق على نوعي التناصّ مصطلح " التناصّ الظاهر أو السطحي ، والتناصّ الخفي أو العميق وهو ما يتمّ إنتاجه بفعل مجموعة من القوانين التحويليّة التي عبّر عنها نقادنا القدامى بمصطلحات مثل: النقل ، القلب ، الزيادة ، تغيير المنهاج والترتيب ، والتعريض والاحتجاج . والتناصّ إذا كان على درجة كبيرة من الخفاء لا يسهل الوقوف عليه إلا لمن أكثر من حفظ الأشعار وكان لديه علم بتصرف مجاريها... "٥ .

وتستمدّ كلّ أمة من ماضيها المشرق ما يطوّر حاضرها ومستقبلها . لذا يعتمد كلّ أديب في أدبه على التراث ، فيأتي ببعض الرموز الدلاليّة الموروثة ليقرب بها وجهة نظره . وأكّدت حصّة البادي على أنّ الشعر مثلاً يحتوي على مصادر تراثيّة لها دلالات رمزيّة كأسماء بعض الشخصيات الدينيّة التي لها رمزيّة معيّنة وذلك في قولها: " يكتنّز النصّ الشعريّ بالرموز المختلفة في الانتماء والمصادر ، وهي متفاوتة في حضورها وتأثيرها في بناء القصيدة ، فمنها الرموز الدينيّة التي

١- انظر تعريف التناصّ الصريح ص ٢٤.

٢- انظر تعريف التناصّ الصريح الكلّي والجزئيّ ص ٢٥.

٣- انظر تعريف التناصّ الضمنيّ ص ٢٤.

٤- ماجد جعافرة، التناصّ والتلقّي، ص ١٥.

٥- مصطفى السعدني، كتب الأدب والنقد في التناصّ الشعريّ، ص ١٠٧، ١١٢.

ينتظم في إطارها الأنبياء والرسل الذين وجد الرواد فيهم دلالات متعددة وخصبة للتوظيف الشعري وبخاصة النبي محمد والمسيح عيسى<sup>١</sup> وأيوب<sup>٢</sup> الذي تفرّد بدلالة الصبر على البلاء والمرض...<sup>٣</sup>.

ويُعدّ التناصّ أحد تراكيب النصّ في خطب النهج . ويبدو أنّ التناصّ القرآنيّ يفوق بقيّة التناصّات الأخرى . لذا رأيت من المناسب معالجته في هذا الفصل الذي يبحث نوعي التناصّ الصريح . وسيكون التركيز على التناصّ القرآنيّ لشيوعه وكثرة انتشاره صراحة في خطب النهج.

### أولاً: التناصّ الصريح في خطب " نهج البلاغة "

يُعدّ التناصّ الصريح نوعاً من أنواع التناصّ الذي اعتبره بعض النقاد مرادفاً للاقتباس ، أمّا نقاد المناهج الحديثة فيسمّونه تناصّاً أو حوار النصوص ، ويعده بعضهم منهجاً قديماً بتسمية جديدة. ويلاحظ أنّ تداخل التناصّ القرآنيّ الصريح أكثر ما يميّز خطب نهج البلاغة ، لما للأثر الدينيّ من دور كبير في تحقيق غايات المُلقي وتعميق الهدف المنشود من الخطاب في نفس المتلقّي . فقد تنوّع هذا النوع في خطب عليّ بن أبي طالب ، فأتى بعضها كليّاً، وبعضها جزئياً . ورغم أنّ خطاب عليّ بن أبي طالب يتضمّن نواحي سياسيّة أو اجتماعيّة أو تشريعيّة أو أخلاقيّة فإنّه ذو سمة قرآنيّة منسجمة في السياق الخطابيّ . وخطبته التي خطبها لدى مسيره إلى البصرة<sup>٤</sup> وحدثت فيها وقعة الجمل<sup>٥</sup> أصدق مثال على ذلك فيقول فيها:

<sup>١</sup> - عيسى بن مريم: من أنبياء الله تعالى. لما ولدت مريم نبيّ الله عيسى أوحى الله إلى أمّه أن اطلعي به إلى الشام ففعلت الذي أمرت به، فلم تزل بالشام حتّى كان ابن ثلاثين سنة فجاءه الوحي على ثلاثين سنة، وكانت نبوّته ثلاث سنين ، ثمّ رفعه الله إليه. وزعم الفرس أن ولادته كانت لخمس وستين سنة مضت من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وزعم النصارى أنّ ولادته كانت لمضي ثلاثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل وأنّ عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياماً وأنّ مريم بقيت بعد رفعه ست سنين؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٤١٤، ٤٢٣.

<sup>٢</sup> - النبيّ أيّوب: من ولد إسحاق بن إبراهيم وهو أيّوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت زوجته ابنة ليعقوب بن إسحاق . وقد ابتلي في ماله وولده وجسده وأيّوب في كلّ ذلك يحمّد الله ولا يثنيه شيء أصيب به من ماله عن الجدّ في عبادة الله تعالى والشكر له على عطاياه والصبر على ما ابتلاه؛ الطبري، م. ن.، ج ١، ص ٢٣٤.

<sup>٣</sup> - حصّة البادي، التناصّ في الشعر العربي الحديث، ص ٣٩.

<sup>٤</sup> - البصرة: مدينة في العراق وتعني الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب. وأمّا فتحها وتمصيرها فكان في عهد عمر بن الخطّاب ، وتتابع عليه عدد من الولاة منهم أبو موسى الأشعريّ وسعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٠، ٤٣٢ - ٤٣٣.

<sup>٥</sup> - وقعة الجمل: في سنة ستّ وثلاثين من الهجرة جاء عليّاً الخبر عن طلحة والزبير - وهو في المدينة - باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وخرج عليّ وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج... فوقعت واقعة الجمل؛ الطبري، م. ن.، ص ٤٦٥، ١٦٦، ٢٢٢.

"إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مُنْجَاتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَاطْمَأَنَّتْ صِفَاتُهُمْ"<sup>١</sup>.

تفاعل النصّ الخطابيّ مع القرآن الذي أحال إلى قوله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"<sup>٢</sup>.

وانقسم التناصّ الصريح في خطب نهج البلاغة إلى قسمين: التناصّ الموافق أو المؤيّد وهو "موافقة الحدث مع التناصّ ، والتناصّ المضاد أو المعارض أي مخالفة النصّ الحاضر للنصّ الغائب"<sup>٣</sup> ، وسنبيّن هنا نوعي التناصّ الصريح: الكلّي، والجزئيّ .

## أ- التناصّ القرآنيّ الكلّيّ

يُسيطر التناصّ القرآنيّ الكلّيّ على شريحة لا بأس بها من الخطب . ويُقصد بالتناصّ القرآنيّ الكلّيّ دخول نصّ أجنبيّ متكامل دون بتر أو نقص في النصّ الأصليّ وهو ما يُسمّيه أحمد طعمه حلبّي "بالتناصّ الاقتباسي الكامل المنصّص وهو أن يعمد الشاعر إلى نصّ مستقلّ ومتكامل ، أم جملة نظريّة كاملة فيقتطعه من سياقه السابق ويضعه في نصّه اللاحق على حاله من دون أن يغيّر في بنيته الأصليّة لا بزيادة ولا بنقصان ولا بتقديم ولا بتأخير وسواء في ذلك أوضعه ضمن علامتي تنصيص أم لا"<sup>٤</sup>، وأمّا سعيد يقطين فيسمّيه المُناصّ ويعرّفه في قوله : "المناصّة وهي البنية النصيّة التي تشترك وبنية نصيّة أصليّة في مقام وسياق معيّنين ، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة . وهذه البنية النصيّة قد تكون شعراً أو نثراً..."<sup>٥</sup>.

ولا تخلو خطب النهج من هذا النوع . فقد تداخل المُناصّ قرآنيّ في خطاب عليّ الذي يصف فيه حالة ازدحام الناسّ عليه "كعرف الضّبّع لمبايعته وارتياحه من ذلك المنظر الذي وصل حدّ خدش جانبيه من الاصطكاك ، وصار ولداه تحت أقدام المُبايعين مجتمعين حوله "كربيضّة الغنم" ، ووصف حالة المُبايعين والمُبايع فيقول فيه:

<sup>١</sup>- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٤.

<sup>٢</sup>- سورة الجمعة، ٦٢/٢.

<sup>٣</sup>- عليّ بن سالم المانع، التناصّ في الخطاب الشعري العماني المعاصر، ص ٥١.

<sup>٤</sup>- أحمد طعمه حلبّي، التناصّ بين النظرية والتطبيق، ص ١٦٨.

<sup>٥</sup>- سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ٩٩.



"فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعَرَفِ الضَّبْعِ ، يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،  
حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عَطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا  
نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَتَتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَفَسَقَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ يَقُولُ: " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " ، بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ حَلَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ،  
وَرَأَوْهُمْ زَبْرَجُهَا ... " <sup>١</sup>.

يُصَوِّرُ الْخَطَابُ شَخْصِيَّتَيْنِ: شَخْصِيَّةَ مُبَايَعَةٍ ( بكسر الياء ) لأغراض دنيوية " وَلَكِنَّهُمْ حَلَّتِ  
الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَرَأَوْهُمْ زَبْرَجُهَا " وهم أصحابه المصريين على مبايعته ، وشخصية مُبَايَعَةٍ (بفتح  
الياء) وهو علي بن أبي طالب الذي يرى ضرورة ارتباط الخلافة بالأغراض الأخروية . فوصف  
الخلافة من خلال الآية القرآنية " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " ، ونستنتج هنا شكلاً من أشكال التناص وتُعرف بالتناص المضاد ، ويُعرفه علي بن  
سالم المانعي في قوله: " كما لو كان النص الحاضر يصور حالة الفرح فيكشف لنا النص الغائب قيام  
حالة حزن مضادة " <sup>٢</sup>. فقد اندفع الناس الطامحون للرفعة نحو علي ليصلح لهم دنياهم وهم في حزن  
شديد لما آلت إليه قضاياهم الدنيوية ، فيرفض علي مبايعته ، ويُحيل الناس إلى ضرورة دفع الطموح  
نحو حياة أخروية سعيدة وذلك برفض الرفعة الدنيوية . ويصور لنا المناص شخصيتين هما: المحسن ،  
والمسيء في قوله: " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ  
لِلْمُتَّقِينَ ، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ " <sup>٣</sup>. وتمازج النص والمناص تمازجاً ضدياً ، فيحمل النص الحاضر في طياته هدف الناس وهم  
في حرقه وحزن ، ويوضح المناص القرآني الكلي دعوة علي لنيل السعادة الأخروية .

ويفتد علي في نص آخر آراء القائلين بتجسيم الخالق . ويرد التناص القرآني الكلي موافقاً  
ومؤيداً للنص الحاضر . فقد أتى تذييلًا مفسرًا للنص الخطابي في قوله:

" ... وَظَهَرَتِ الْبِدَائِعُ الَّتِي أَحَدَّثَهَا آثَارُ صَنَعَتِهِ ، وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ  
مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً ، وَدَلَالَتُهُ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٥؛ والآية من سورة القصص، ٢٨ / ٨٣.

<sup>٢</sup> - علي بن سالم المانعي، التناص في الخطاب الشعري العماني المعاصر، ص ٥١.

<sup>٣</sup> - القصص، ٢٨ / ٨٣ - ٨٤.

عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةً. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاَحُمِ حَقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نَدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتَّبِعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: " تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ "، كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَّهَوْكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُّوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّأوكَ تَجْزِئَةَ الْمَجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقَوَى، بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ...<sup>١</sup>

جاء التناصُّ على شكل مُنَاصٍّ يُحِيلُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: " قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ "، تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ<sup>٢</sup>. وتوافق البناء الأسلوبِيَّ لِلنَّصِّ مَعَ التَّنَاصِّ الْقِرَائِيَّ الْكَلِّيَّ. فقد استهجن عليٌّ تشبيه المجسمة بالإنسان فأَتَى بِالْآيَةِ الْقِرَائِيَّةِ لِيُبْطِلَ مَزَاعِمَ الْمَجَسِّمَةِ، وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ذَلِكَ فِي شَرْحِهِ لِلخُطْبَةِ فَقَالَ: " شَهِدَ عَلِيٌّ بِأَنَّ الْمَجَسِّمَ كَافِرٌ، وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ، وَأَنَّ مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِينَ ذَوِي الْأَعْضَاءِ الْمُتَبَايِنَةِ وَالْمَفَاصِلِ الْمُتَلَحِّمَةِ لَمْ يَعْرِفْهُ وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ، فَإِنَّهُ لَا نَدَّ لَهُ وَلَا مِثْلَ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِآيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...<sup>٣</sup>. واحتوى النصُّ على بعض المِيتَانَصِّ الْعَقَائِدِيِّ الَّتِي بَيَّنَّتْ صِرَاحَ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ مِنْذُ الْقَدَمِ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا حَوْلَ قَضِيَّةِ تَجْسِيمِ اللَّهِ وَتَشْبِيهِهِ بِالْمَخْلُوقِ. ولم تكن تلك المِيتَانَصَّاتُ أَلْفَاظًا مَعْقَدَةً، بَلْ وَرَدَتْ فِي مُتَنَاقِلِ الْجَمِيعِ مِثْلَ قَوْلِهِ: "بِأَنَّهُ لَا نَدَّ لَكَ" وَأَتَى التَّنَاصُّ الْقِرَائِيَّ مَفْسُورًا الْمِيتَانَصِّ.

وقام عزّ الدين المناصرة بحصر أنماط التَّنَاصِّ، ومنها أنماط جيني فقال عنها: " فقد وجد جيني أَنَّ فِي الْإِمْكَانِ التَّرْكِيزَ عَلَى سِتَّةِ أَنْمَاطٍ<sup>٤</sup>. ويلاحظ قارئ النهج أَنَّ التَّنَاصُّ الْقِرَائِيَّ الْكَلِّيَّ يَتَفَاعَلُ فِي نَصُوصِ النَّهْجِ بِأَنْمَاطٍ عَدَّةٍ. وسنركّز هنا على نمطين لجيني وهما: التَّضْخِيمُ<sup>٥</sup>، وَالْقَلْبُ<sup>٦</sup>؛ لكَثْرَةِ شِيوعِهِمَا فِي نَصُوصِ النَّهْجِ. فقد اتَّسَمَتِ بَعْضُ النُّصُوصِ الْقِرَائِيَّةِ بِوُضُوحِ الدَّلَالَةِ كَالنَّصِّ الْآتِي: " إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ"<sup>٧</sup> ويعود الاستدعاء الجزئيُّ لِلتَّنَاصِّ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٢٠؛ والآية من سورة الشعراء، ٩٧/٩٨ - ٩٨.

<sup>٢</sup> - الشعراء، ٩٦/٩٩.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٤٥٦.

<sup>٤</sup> - عزّ الدين المناصرة، علم التَّنَاصِّ الْمُقَارَن، ص ١٤٤.

<sup>٥</sup> - تناصُّ التَّضْخِيمِ هُوَ الَّذِي يَحُولُ النَّصُّ وَيُحَرِّقُهُ بِأَنْ يَنْمِيَ فِيهِ فِي الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يَرِيدُ؛ عزّ الدين المناصرة، م. ن.، ص ١٤٥.

<sup>٦</sup> - تناصُّ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى قَلْبِ مَوْقِفِ الْعِبَارَةِ أَوْ أَطْرَافِهَا؛ عزّ الدين المناصرة، م. ن.، ص ١٤٥.

<sup>٧</sup> - ابن أبي الحديد، م. س.، ج ١٤، ص ٢٣٧.

إلى قوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ"<sup>١</sup>. فتوافق المقطع مع سياق النص القرآني الغائب، ولكنه وظف بطريقة تتناسب مع نسق الخطبة. فتم تحويله حتى يُعَدَّ جزءاً منه وهذا النوع من التناص يُسمى بتناص التضخيم.

وتدعونا أنماط التناص لدى جيني إلى الوقوف عند نص خلق آدم ومعالجته، لاحتوائه على نمطين مهمين من أنماط التناص التي حددها جيني. فقال علي بعد أن استعرض خلق السماء والأرض وخلق آدم:

"... وَاسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُنُوعِ لَتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: "اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ" وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ ..."<sup>٢</sup>.

ووردت الآية القرآنية على شكل مُناصٍ موافق في سور متعددة:

- "وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ، وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"<sup>٣</sup>.

- "قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"<sup>٤</sup>.

- "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُ أَخْرُجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا حَسْبَكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - غافر، ٤٠/٧٨.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥.

<sup>٣</sup> - الأعراف، ٧/١٠-١٢.

<sup>٤</sup> - البقرة، ٢/٣٣-٣٥.

<sup>٥</sup> - الإسراء، ١٧/٦٠-٦٢.

- " وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ، مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا <sup>١</sup> .

- " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى <sup>٢</sup> .

ولم يتغير نسق المناص في مقطع خلق آدم : " اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس اعترته الحمية ، وغلبت عليه الشقوة ، وتعزز بخلقه النار واستوهن خلق الصلصال " فلم يخرج المناص عن سياق النص الغائب (Absent Context) في قول الله تعالى : " ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ " ، وقوله تعالى كذلك : " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا " ، وبقية المناصات القرآنية المذكورة كذلك . وحدث التغيير في تنذيل النص الحاضر ، فتحول إلى مناص مشوش<sup>٣</sup> باصطلاح جيني . فقد ورد التنذيل في النص الحاضر باللفظ الآتي : " اعترته الحمية ، وغلبت عليه الشقوة ، وتعزز بخلقه النار واستوهن خلق الصلصال " ، وأنت في النص الغائب " أبى واستكبر " و " قال أسجد لمن خلقت طينا " . فلم يأت التنذيل في النص الحاضر بلفظ النص الغائب نفسه ، بل أتى شارحاً تنذيله . ويُعد التنذيل الوارد في التناص الخطابي مitanصاً للنصوص الغائبة المذكورة سابقاً ففوله : " اعترته الحمية ، وغلبت عليه الشقوة ، وتعزز بخلقه النار واستوهن خلق الصلصال " تُعدّ كلها مitanصات نقدية ، لتفسر معنى التنذيل في النصوص الغائبة في قوله تعالى : " إلا إبليس أبى " ، و " ففسق عن أمر ربّه " ، و " إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينا " .

ويلفت الانتباه في هذا الخطاب النصّي التداخل الموضوعي . فنلاحظ أنّ الخطاب ينتقل من الحديث عن آدم وخلقته إلى موضوع الحجّ . ويدعونا ذلك إلى طرح السؤال الآتي : ما العلاقة الرابطة بين خلق آدم وموضوع الحجّ ؟ ونستطيع التأكيد على وجود علاقة رابطة وقوية بين تناصّ

<sup>١</sup> - الكهف، ٤٩/١٨ - ٥١ .

<sup>٢</sup> - طه، ١١٥/٢٠ - ١١٧ .

<sup>٣</sup> - التناصّ المشوش : يعتمد الكاتب إلى فقرة من نصّ مكرّس ، يتدخل هو فيه ويتلاعب به؛ عزّ الدين المناصرة، علم التناصّ المقارن، ص ١٤٤ .

الموضوعين . فقد أوضح عليّ استكبار إبليس ورفضه الانصياع والامتثال لأوامر خالقه ، فيريد به تنبيه المتلقي إلى عدم رفض أوامر الله وعدم التكبر عليها والتواضع أمامها وتنفيذها دون تعالٍ أو استكبار . وضربَ مثلاً عملياً بالحجّ الذي يُمكن الناس من خلاله اختبار ضمائرهم ومدى طاعتهم لأوامر الله أو تكبرهم عليها فقال :

" وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ . جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لَتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ . جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِسْلَامِ عِلْماً، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "¹،

ويوجد في النصّ آية قرآنية على شكل مُناصٍّ موافق تحيل إلى قوله تعالى: " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ "².

ودلّت بعض الألفاظ في هذا النصّ على عدم التكبر على أوامر الله كقوله : " جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لَتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ " ، ويشير قوله: " وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ " إلى ضرورة الامتثال لأوامر الله والاتّصاف بصفة الملائكة التي أذعنت لأمر الله فسجدت ، ويؤكد ذلك قوله: " وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ " . إذن نستطيع التأكيد على وجود علاقة رابطة بين النصّين ووحدة موضوعيّة بين نصّ خلق آدم ونصّ فرض الحج ، ويُسمى مثل هذا الربط والتفصيل في أنماط جينية بالاتساعية النصيّة³، وأمّا جيني فيسمّى مثل هذا النمط بالتضخيم أو التوسيع.

ويوجد نمط ثالث من أنماط التناصّ لدى جيني في خطب النهج وهو تناصّ القلب. فقد تتغيّر كلمة في النصّ الحاضر دون إخلال في سياق النصّ الغائب ، كقول عليّ: " ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٧؛ والآية في سورة آل عمران، ٩٧/٣.

²- آل عمران، ٩٧/٣ - ٩٨.

³- عزّ الدين المناصرة، علم التناصّ المقارن، ص ١٤٨.

فَمَثَلْتُ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِبِّلُهَا وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا...<sup>١</sup>، ويُحيل إلى قوله تعالى: "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ..."<sup>٢</sup>. ونلاحظ اختلاف الضمير في النصين . فقد ورد الضمير في النص الحاضر بلفظ " فيها " أي للغائب المؤنث ، وورد الضمير في النص القرآني الغائب بلفظ " فيه " أي للغائب المذكر . ويقصد بلفظ "فيها" الروح ، وأما لفظ "فيه" فيقصد به الجسد. وتجلت الصدى بين ضميري الذكورة والأنوثة دون تأثير على معنى النص وسياقه العام . ويوجد مثل ذلك في خطبته التي وصف المتقين فيها بقول:

" ... وَآخِرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعِظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقْفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدْعَ، وَيَبْنِيهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ! " فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. وَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ " والأعلام قائمة ، والآيات واضحة، والمنار منصوبة ، فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيَّكُمْ؟ وَهُمْ أَرْمَةُ الْحَقِّ، وَالسَّيِّئَةُ الصَّدَقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ... " <sup>٣</sup>.

نلاحظ تناصين مضادين في الخطبة في قوله " فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ " ويُحيلنا إلى قوله تعالى: " وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ، إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ " <sup>٤</sup>. والآخر في قوله : " وَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ " ورد في أربعة مواضع من القرآن مرتبة كالآتي :

- " إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ " <sup>٥</sup>.

- " قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ " <sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥.

<sup>٢</sup> - السجدة، ٣٢ / ٩.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١١٤.

<sup>٤</sup> - التكوين، ٢٥/٨١ - ٢٧.

<sup>٥</sup> - الأنعام، ٩٥/٦.

<sup>٦</sup> - يونس، ٣٤/١٠.



- " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ <sup>١</sup> .

- " ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ <sup>٢</sup> .

وأتى التناصّ القرآنيّ الكلّيّ مقلوباً <sup>٣</sup> وهو اصطلاح من أنماط جيني . فإن لاحظنا الآية القرآنيّة في النصّ لوجدناها تناصاً مقلوباً بتغيّر حرف (الفاء) في النصّ الغائب إلى حرف (الواو) في النصّ الحاضر .

ونستنتج ممّا تقدّم أنّ التناصّ القرآنيّ الكلّيّ الموافق له دلالات عدّة في النصوص الخطابية . فالدلالة الأولى دلالة الصّفة في التناصّ الموافق كقوله :

" ... أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ، " أولي أجنحة منثى وثلاث " تَسْبَحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انفردَ بِهِ ، " بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ " ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَلَهُمُ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلّاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ... <sup>٤</sup> .

وتصف الآية الملائكة في قوله: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ، وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ <sup>٥</sup> ، فالآية تناصّ كليّ موافق .

أمّا الدلالة الثانية فهي دلالة التفسير في المناصّ الموافق في قوله :

<sup>١</sup> - فاطر، ٣٥ / ٣ .

<sup>٢</sup> - غافر، ٤٠ / ٦٢ .

<sup>٣</sup> - انظر تعريف التمثيط بالقلب ص ٢٦ .

<sup>٤</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٢٣؛ والآية الأولى من سورة فاطر، ٣٥ / ١؛ والآية الثانية من سورة الأنبياء،

٢١ / ٢٦ - ٢٧ .

<sup>٥</sup> - الأنبياء، ٢١ / ٢٥ - ٢٨ .



" إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ  
الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيُنُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ،  
وَيَزْدَجَرُ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْاسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِذُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً  
الْخَلْقِ، فَقَالَ: " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا "،  
فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ!

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ،  
رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا  
غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تَهْلِكْنَا بِالسُّنَيْنِ وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا  
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ <sup>١</sup>.

أنت الآية على شكل مناص مفسر للاستغفار وشارح فوائده في قوله تعالى: " ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ  
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ،  
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ، مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا "، وهو  
استدعاء تاريخي لقول النبي نوح الوارد في القرآن الكريم .

والدلالة الثالثة هي دلالة التشبيه في المناص الموافق في قول علي بن أبي طالب حين يحذر  
من خطر الانجرار إلى ملذات الدنيا الزائلة واتباع الشهوات فيشبهها بالماء الذي يجعل كل شيء  
هشيمًا:

" أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ  
بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَرَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَكُونُ حَبْرَتُهَا ، وَلَا  
تُؤْمِنُ فُجْعَتُهَا، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ ، لَا تَعْدُو إِذَا  
تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرَّضَى بِهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى: " كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ  
الريَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ". لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ  
بَعْدَهَا عِبْرَةٌ ، وَلَمْ يَلَقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَطْلُ  
فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءٍ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصِرَةٌ أَنْ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٨٦؛ والآية من سورة نوح، ٧١ / ١٠ - ١٢.

<sup>٢</sup> - نوح، ٧١ / ٩ - ١٣.

تُمْسِي لَهُ مُتَكَرِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْدُوذَبَ وَاحْطُولَى ، أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى ! لَا يَنَالُ أَمْرٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا ، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا ! وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ ! غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا . لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى <sup>١</sup>.

أُتَتْ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَشْبِيهِ الدُّنْيَا بِأَنْهَا " حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ " فَشَبِّهَتْ بِالْهَشِيمِ الَّذِي يَخْتَلَطُ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ فَيَكْسِرُهُ وَتَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ فِي ذَلِكَ: " وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ، هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ، وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا <sup>٢</sup> .

## ب - التناصُّ القرآنيُّ الجزئيُّ

يُعَدُّ التناصُّ القرآنيُّ الجزئيُّ أحدَ دعائمِ البناءِ النصِّيِّ في خطبِ النهج . فقد تفاعلت تناصَّاتٌ قرآنيَّةٌ متنوِّعةٌ في الخطبِ ، وسنبحثُ هنا نوعًا آخرَ من أنواعِ التناصُّ القرآنيِّ الصريحِ أَسْمِيَنَاهُ التناصُّ القرآنيُّ الجزئيُّ .

تَجَلَّى التناصُّ القرآنيُّ الجزئيُّ في النصوصِ الخطابيةِ لِتُحِيلَ الْمُتَلَقِّيَ إِلَى مَدْلُولَاتٍ عَدَّةٍ . فَمِنْهَا مَا يُحِيلُ إِلَى عَظَمَةِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ اسْتِدْعَاءِ قَوْلِهِ تَعَالَى: " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " <sup>٣</sup> . فَقَدْ تَفَاعَلَتْ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي الْخُطَابِ الَّذِي بَيَّنَّ عَلَيَّ فِيهِ قُدْرَةَ اللَّهِ وَانْفِرَادَهُ بِالْعَظَمَةِ فَقَالَ :

"... سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ! وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَمَا أَحَقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ! مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ،

<sup>١</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، شَرَحَ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ، ص ١٥٥؛ وَالْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ، ٤٥/١٨.

<sup>٢</sup> - الْكَهْفِ، ٤٣/١٨ - ٤٦.

<sup>٣</sup> - السَّجْدَةِ، ٣٢/٧ - ٩.

وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمَتُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا  
 " مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ " ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ " رَبِّبَ الْمُنُونِ " وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ  
 عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ  
 عَانُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقُّوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ  
 لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ...<sup>١</sup>.

أتى التناصُّ القرآنيَّ الجزئيَّ في النصِّ الخطابيِّ مُضَادًّا للنصِّ الغائب ، وتفاعل في النصِّ  
 لِيُوظَّفَ في خَلْقِ الملائكة الذين خُلِقُوا خَلْقًا مغايرًا لخلق الإنسان ، وبيَّن التناصُّ فيها عظمة قدرة الله  
 في خلق الإنسان الذي خُلِقَ من ماء مهين ، ونجد فسيولوجية (Physically) خلق الملائكة مختلفة  
 تمامًا عن خلق الإنسان . وبيَّن التناصُّ المضادَّ معنى عظمة قدرة الخلق في اختلاف النوع الخلق  
 بين الإنسان والملائكة . ويحيل التناصُّ إلى قوله تعالى: " وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ  
 مَهِينٍ ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ " <sup>٢</sup>، فكان التناصُّ تذكير لمن جحد عظمة قدرة الله . فقد خلق الملائكة  
 من نور ، وخلق الإنسان من طين ، ثم أكد النصُّ جحودهم في قوله: " ... ثُمَّ أَرْسَلَتْ دَاعِيًا إِلَيْهَا .  
 فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيهَا رَغَبٌ... " <sup>٣</sup>. فنستشف من هذه العبارة مقابلة المخلوق لهذه العظمة  
 بالوجود والتكذيب .

ويوجد تناصُّ آخر في المقطع في قوله " رَبِّبَ الْمُنُونِ " ، ويُعدُّ تناصًّا مضادًّا إضماريًا  
 يحيل إلى قول القرآن: " فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ  
 بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ، قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ، أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ  
 طَاغُونَ ، أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ " <sup>٤</sup>. فنفي المقطع اتصاف الملائكة بصفات الإنسان كالاتي:

- ١- " لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ " .
- ٢- " وَلَمْ يُضْمَتُوا الْأَرْحَامَ " .
- ٣- " وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ " .
- ٤- " وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَبِّبُ الْمُنُونِ " .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥١.

<sup>٢</sup> - المرسلات، ١٩/٧٧ - ٢١.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٥٢.

<sup>٤</sup> - الطور، ٢٩/٥٢ - ٣٣.

وتقوم بعض الخطب على طرح مجموعة من التساؤلات على سبيل التعجب والدهشة ، ثم الإجابة عنها بتفاعل التناص كقوله:

" ... اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَقْرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَتْ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا !

أَيْنَ خِيَارِكُمْ وَصَلَحَاؤُكُمْ؟! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ؟! وَأَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُنْتَزِعُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَّةِ، وَهَلْ خَلَقْتُمْ إِلَّا فِي حُنَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتَصْغَرَا لِقَدَرِهِمْ، وَذَهَابَا عَنْ ذِكْرِهِمْ؟! فَـ "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" ، "ظَهَرَ الْفَسَادُ" فَلَا مُنْكَرَ مُعَيَّرٍ، وَلَا زَاجِرَ مُزَجَّرٍ ... "¹.

يُحِيلُ التَّنَاصُ الْقِرَائِيَّ الْجَزَائِيَّ فِي الْخُطَابِ السَّابِقِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ "².

وَيُبَيِّنُ التَّنَاصُ سَبَبَ ظُهُورِ الْفَسَادِ الْعَامِّ فِي الْبِلَادِ .

وَأَحَالَ التَّنَاصُ الْقِرَائِيَّ الْجَزَائِيَّ إِلَى حَدَثٍ تَارِيخِيٍّ حَدَثَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ حِينَ قَرَّرَ فِرْعَوْنُ قَتْلَ مُوسَى³ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي قَوْلِ الْقُرْآنِ: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ، وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٧٧.

²- الروم، ٣٠ / ٤٠ - ٤٢.

³- بينما موسى يمشي ذات يوم في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان ، أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثة الإسرائيلي على الفرعوني فوكز موسى الفرعوني فقتله ... فأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار، فأتى قومه إلى فرعون فقالوا له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ... فأرسل فرعون الذبّاحين ، وسلك موسى الطريق الأعظم ، وطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم فتوجه إلى مدين؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ"<sup>١</sup>. فقد رأى فرعون أن كل ما يقوم به موسى من نشر مبدأ التوحيد وعبادة الله وحده فساداً في الأرض ، فقرر القضاء عليه . ويرى القرآن الكريم أن ما يفعله فرعون هو الإفساد في الأرض في قوله تعالى: "وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ"<sup>٢</sup> .

وتختلف أشكال ورود التناسل في بنية الخطاب من نص لآخر . فقد تأتي في آخر المقطع

كقوله:

" ... فَأَفَقَ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقَظَ مَنْ غَفَلَتِكَ ، وَاخْتَصَرَ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنِعِمَ الْفَكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَضَعَ فَخْرَكَ ، وَاحْطَطُ كِبْرَكَ ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ ! " وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"<sup>٣</sup> .

أتى التناسل بعد التراكيب الآتية: أسلوب الأمر ، وأسلوب التحذير ، وأسلوب الإغراء . وسيطرت حروف العطف على النص بدءاً من " وَاسْتَيْقَظَ مَنْ غَفَلَتِكَ " وختاماً بالتناسل القرآني الجزئي الذي تصدره حرف العطف أيضاً " وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ " . فضلاً عن انتشار أفعال الأمر في المقطع ( أفق - استيقظ - اختصر - انعم - خالف - دع - ضع - اذكر - امهد ) وتوالدت كل هذه الأساليب لينتج في ختامها التناسل القرآني في قوله تعالى : " وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرٌ لِنَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ "<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> - غافر، ٢٣/٤٠ - ٢٧.

<sup>٢</sup> - الفجر، ٨٩/١٠ - ١٤.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٩٦.

<sup>٤</sup> - فاطر، ٣٥/١٢ - ١٥.

وقد يرد التناص بعد استدعاء الأمكنة (Places Recall) كالنص الذي تفاعل فيه نوعان من التناص: مُناص قرآني كلي، وتناص قرآني جزئي في قوله:

"فَاللّٰهُ اللّٰهُ عِبَادَ اللّٰهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بَكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بَكُمْ عَلَى سِرَاطِهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاحَتْ بِكَالِكِلِهَا، وَأَنصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِصْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى وَشَهْرٍ انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا، وَسَمِينُهَا غَثًّا، فِي مَوْقِفِ ضَنْكَ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُّسْتَبْهَةِ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا، عَالٍ لَّجِبِهَا، سَاطِعٍ لَهَبِهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وَقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عُمٍ قَرَارُهَا، مُظْلَمَةٍ أَفْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَطِيْعَةٍ أُمُورُهَا. " وَسَيِّقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا "، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأْنَنْتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوْخُّشًا وَأَنْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَاً، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ. فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَائِيهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَيَبْضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ... "¹.

أفصح النص عن مضامين عميقة حول الدنيا وفنائها والآخرة وقدمها. فقد قام على الضديّة، فاستدعى عليّ الدنيا والآخرة في قوله: "فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بَكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا". واستدعى الجنة والنار في قوله: "وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا، عَالٍ لَّجِبِهَا، سَاطِعٍ لَهَبِهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا"، ووصف الجنة ونعيمها والهدوء والسكينة في محلها فيقول: "وَسَيِّقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا"، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأْنَنْتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ". ويحيل التناص إلى قوله تعالى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ"²، وقوله تعالى: "وَسَيِّقُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٠.

²- الزمر، ٣٩/٦٠.



أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ، ... وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ <sup>١</sup>.

وتشكل التناص على شكل تناص قرآني جزئي . فقد ذكر النص سوق أهل الجنة إلى الجنة ولم يذكر النار في قوله: " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ... فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَأً ، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا ، فِي مَلِكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ " ، والعلة من ذكر الجنة تشويق المؤمن وحثه الالتزام بالنقوى كقول علي: "...فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ..." ، وتخصيص الجنة للمؤمنين: "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا " .

وقد يُحيل التناص إلى غرض بلاغي . فمن الخطب التي ختمت بتناص قرآني جزئي لغرض التهديد الوعيد قوله :

" حَالُهَا انْتَقَالَ ، وَوُطِئَتْهَا زِلْزَالٌ ، وَعَزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزَلٌ ، وَغُلُوبُهَا سُفْلٌ ، دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ ، وَنَهَبٍ وَعَطَبٍ ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيقٍ ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ، فَاسْتَلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ ، وَأَفْظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَنَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ : فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَبِمِ مَسْفُوحٍ ، وَعَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ لِكَفِّهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَدْبَرَتْ الْحِيلَةَ ، وَأَقْبَلَتْ الْغِيلَةَ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ <sup>٢</sup> .

ويُحيل التناص الجزئي في قوله: "وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ" إلى قول القرآن: "بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ، كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ، وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، أَجَعَلَ الْإِلَٰهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ" <sup>٣</sup> . ويدل التناص على حالة العجز وفوات الأوان في قوله: "وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ" ، والغرض البلاغي من التناص التهديد والوعيد للكافرين المتمردين على أوامر ربهم .

ويهدد علي في مقطع آخر أهل العراق وينمهم ويشبهم بالمرأة في قوله:

<sup>١</sup> - الزمر، ٧١-٧٣ .

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٣؛ والآية من سورة ص، ٣٨/٣ .

<sup>٣</sup> - ص، ٣٨/٢-٥ .



"أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلْتَ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيْمُهَا، وَطَالَ تَأْيُمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَلَيَّ يَكْذِبُ، فَأَنْتُمْ كُمْ اللَّهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ؟ أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلَّا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيَلْ أُمِّهِ، كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ، وَلَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ<sup>١</sup>."

وموضع التناصّ قوله: "وَلَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ" ويُحيل إلى النصّ القرآني الغائب الذي يهدّد المتمرّدين أمثال إبليس ومن تبعه: "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ"، قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، وَلَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ<sup>٢</sup>، وكلا التناصّين تهديد ووعد للعصاة على وليّ أمرهم.

وتنوّعت الأساليب اللغويّة في التناصّ القرآني الجزئيّ كأسلوب النهي بغرض النصّح والإرشاد لأصحابه في قوله:

"حَاوِلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَرِبًا وَبَيْئًا. فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحَنَ الْبَلَوَى أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنْ الْآخَرَى "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ"<sup>٣</sup>.

ويأتي التناصّ بغرض التقرير كالمقطع الآتي:

"...أَمَّا الظُّلُمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكَ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ"<sup>٤</sup>.

ونستطيع اكتشاف التاريخ في معظم مواضع خطب نهج البلاغة. كالخطاب الذي أحال إلى حدث عقر قوم ثمود ناقة صالح<sup>٥</sup> في قوله:

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٩٠.

<sup>٢</sup> - ص، ٣٨ / ٨٥ - ٨٨.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٠٩؛ والآية من سورة فاطر، ٣٥ / ٨.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٢٨؛ والآية من سورة النساء، ٤ / ٤٨.

<sup>٥</sup> - قوم ثمود يُقال لهم قوم ثمود باسم جدّهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عاثر بن إرم بن سام بن نوح. وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك. وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله فيهم رجلاً هو: صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد

" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسُ الرِّضَاءُ وَالسَّخَطُ . وَإِنَّمَا عَقَرَتْ نَاقَةُ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوْهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ : "فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدَمِينَ " فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خَوَارَ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةِ "¹.

وموضع التناصّ القرآني الجزئي قوله: " فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدَمِينَ " ، وورد هذا الحدث التاريخي في القرآن الكريم في قوله تعالى: " وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ، فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذَابٌ غَيْرٌ مَكْذُوبٌ ، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِمِينَ "².

وخلاصة القول في هذا الفصل أن أهم مصادر التناصّ الصريح في خطب نهج البلاغة القرآن الكريم ، والحديث والنبوي ، والمثل العربي ، والشعر العربي . ولعلّ القرآن الكريم أكثرها شيوعاً في الخطب ، فضطرتنا ذلك إلى إفراد مبحث خاص به أسميناه : أنواع التناصّ الصريح وتوصلنا إلى تحديد نوعين له هما: التناصّ القرآني الكلّي ، والتناصّ القرآني الجزئي.

ويلاحظ أن التناصّ الصريح شائع في الخطب . فلم يأت منفرداً في النصّ ، بل اندمج بتركيب متنوعة كأساليب الاستفهام ، والنهي ، والأمر ، وأغراض بلاغية كالتهديد والنصح والإرشاد . واتضح من خلال معالجة الفصل الأول تعدّد أشكال تناصّ الحديث في الخطب كالتناصّ الموافق ، والتناصّ المضادّ ، والتناصّ الإضماري ، والمناصّ الموافق . ولم تقتصر أشكال التناصّ على هذه فحسب ، بل توجد أشكال أخرى للتناصّ في خطب النهج . سنتعرّف عليها في الفصل الثاني من خلال معالجتنا للتناصّ الضمني .

ابن حادر بن ثمود بن عاتر بن إرم بن نوح فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فأمنت طائفة منهم وكفر جمهورهم ، ونالوا منه بالمقال والفعال ، وهمّوا بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج ١، ج ١، ص ١٥٢.

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٧٩؛ والآية من سورة الشعراء، ١٥٧/ ٢٦.

²- هود، ١١/ ٦٣- ٦٦.

## ثانياً: التناصّ الضمنيّ في خطب " نهج البلاغة "

لم تقتصر النصوص الخطابية على شكل واحد من أشكال التناصّ الضمنيّ . فقد تفرّع منه التناصّ التاريخيّ ، واستدعاء الأمكنة ، والأزمنة ، والشخصيّات ، وصفات الشخصيّات . وأشار ابن ميثم إلى ما تتضمنه خطب نهج البلاغة بقوله: " سواء كانت أموراً موجودة أو حوادث ماضية أو أمثالاً مضروبة سائرة وإمّا أن لا يكون كذلك، بل أمور يُخبر عنها الخطيب كمثّل وحكاية إمّا ممكنة أو غير ممكنة والأوّل كاستشهاد عليّ في تحذير أصحابه من الدّنيا بالقرون الماضية وأحوالهم... "١، وأطلقنا على هذه الأنواع مصطلح التناصّ الضمنيّ . وسنعالجه في المبحث الثاني من هذا الفصل ، ونبيّن أنواعه الثلاثة: الديني ، الشخصيّات ، التاريخي .

يُعدّ النصّ شبكة تتفاعل فيها نصوص عدّة مستمدة من ثقافة المُلقّي . فإذا تعدّدت ثقافة المُلقّي كان نصّه ثرياً بأنواع مختلفة من التناصّ . وأطلق بعض الباحثين على التناصّ الضمنيّ مصطلح الخفاء كحسين منصور العمري مثلاً . فقد قسم التناصّ إلى الإخفاء والتجليّ ، وبين أنّ "للتناصّ أشكالاً مختلفة منها ما يُدعى تناصّ الخفاء ، ومنها ما يُسمّى بتناصّ التجليّ ... أي إخفاء التناصّ وعدم رؤيته أو إدراكه إلا من خلال معرفة دقيقة للنصّ والنصوص المتناصّ معها فهي عمليّة لا شعوريّة ، أمّا الآخر فهو المفهوم الأوّل إذ يكون واعياً فيأخذ النصّ ويصهره بطريقته ويعطيه روحاً جديدة من خلال توظيفه أو الوظيفة التي أرادها... "٢. وأطلقنا على التناصّ الخفي مصطلح التناصّ الضمنيّ، لأنّه لا يُكتشف في النصّ إلا إذا امتلك المتلقّي قدراً كبيراً من الثقافة المتنوّعة .

تتفاعل نصوص نهج البلاغة مع التراث بشكل ضمنيّ . ولا يعنينا في هذه الدراسة المفهوم ونشأته وتعدّد مسمّياته . فقد أفردنا له تمهيداً حدّدنا فيه ذلك ، ونريد هنا تحديد أنواع التناصّ في خطب نهج البلاغة ومصادره . ويهمّنا كذلك معرفة أشكال التناصّ الضمنيّ مبتعدين عن تلك الإشكالات التي تشبّعت منها متون الكتب النقديّة الحديثة .

وسنلاحظ أنّ التناصّ الضمنيّ يحمل مضامين عدّة أبرزها - كما سنرى - أخذ العبرة والموعظة من التراث التاريخي . وتشتمل خطب نهج البلاغة على تناصّ دينيّ وآخر تاريخيّ لها مضامين أخلاقيّة وسياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة . وتتضمّن النصوص الخطابية أنواعاً من التناصّ

١ - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٨.

٢ - حسين منصور العمري، إشكاليّة التناصّ، ص ٣٢.

كالتنّاصّ الأجناسيّ<sup>١</sup> (Genre Intertextuality) والتنّاصّ المحوّر<sup>٢</sup> والتنّاصّ المجزوء<sup>٣</sup>. وسيعالج هذا الفصل مبحثين: يبحث الأول أشكال التنّاصّ الضمنيّ، ويبحث الثاني آليات تفاعله في النصّ.

## أ- أشكال التنّاصّ الضمنيّ في خطب " نهج البلاغة "

رسمت خطب نهج البلاغة لوحات فنيّة تصوّر الحياة الاجتماعيّة التي يعيشها الناس . وبيّنت الأوضاع النفسيّة والسياسيّة والاجتماعيّة في مجتمع مختلف الأمزجة ، تفاعلت كلّ هذه الصور في الخطب من خلال التنّاصّ الضمنيّ .

وتكوّن بناء الخطاب من اللغة والبلاغة ، لتكون لبنات مكملّة لسرد الخطبة . وقد يتشكّل بناء النصّ بتنّاصّ دينيّ أو تنّاصّ الشخصيات أو تنّاصّ تاريخي . وتوجد ضمن هذه الأشكال التنّاصيّة أشكال فرعيّة للتنّاصّ تفرّعت من التنّاصّات الرئيسيّة . فعلى سبيل المثال: التنّاصّ الديني شكل من أشكال التنّاصّ ، وتفرّع منه شكلين فرعيين هما: بنائي، ومعنوي .

### ١- التنّاصّ الديني

أشار بعض الباحثين إلى أنّ بعض النصوص تتفاعل مع التنّاصّ الديني كقول أحمد فرشوخ: "يستوعب الخطاب الديني جملة نصوص من حقل دينيّ يُحيل على القرآن والحديث"<sup>٤</sup>. فتحتاج معالجة الجانب الدينيّ في خطب نهج البلاغة إلى تحليل الاستدعاءات سواء كان الاستدعاء آيات قرآنيّة أم أحاديث نبويّة . ويجب أن يضع المتلقّي نصب عينيه الفترة الزمنية بين النصّ والتنّاصّ ، أهما متزامنان أم التنّاصّ يسبق النصّ أم التنّاصّ لاحق عنه ؟ فإذا استشهد الملقّي بنصّ سابق أو لاحق سمّي تنّاصّاً خارجيّاً<sup>٥</sup> . وإذا كان التنّاصّ معاصراً للنصّ سمّي تنّاصّاً داخليّاً . ونقل محمّد

<sup>١</sup> - التنّاصّ الأجناسي هو ذلك التداخل الذي يحصل بين الأجناس الأدبيّة المختلفة كتداخل الشعر مع فنّ القصّ والخطابة وفنّ السير مثلاً ، وكذلك التداخل الذي يحصل داخل الجنس الواحد على صعيد أدقّ كما يحصل في صيغة معيّنة أو شكل خاصّ لأنماط جنس أدبيّ كالتداخل بين الشعر العمودي والشعر الحرّ . ويضع جينيت هذا النوع من التداخل ضمن التعاليّ النصّي ويسمّيه علاقة التداخل التي تقرن النصّ بمختلف أنماط الخطاب التي ينتمي إليها وفي هذا الإطار تدخل الأجناس الأخرى . ويسمّى هذا النوع من التنّاصّ بالتفاعل النصّي العام؛ أحمد ناهم، التنّاصّ في شعر الرواد، ص ١١٥.

<sup>٢</sup> - انظر تعريف التنّاصّ المحوّر ص ٢٤.

<sup>٣</sup> - التنّاصّ الجزئي: هو أن يعمد المتكلّم إلى نصّ نثريّ أو شعريّ فيقتطع منه عبارات أو جملاً أو تراكيب جزئيّة غير مكتملة ويضعها في نصّه اللاحق؛ أحمد طعمه حليبي، التنّاصّ بين النظريّة والتطبيق، ص ١٧٨.

<sup>٤</sup> - أحمد فرشوخ، جماليّة النصّ الروائي، ص ١١٣.

<sup>٥</sup> - انظر تعريف التنّاصّ الخارجي ص ٢٦.

خير البقاعي عن ريفاتير أن التناص لا يكون سابقاً للنص فحسب، بل يكون لاحقاً له وذلك في قوله: "إن التناص أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده"<sup>١</sup>، وسبقه رولان بارت بهذا الرأي في قوله: "ولابد من إدراج النصوص اللاحقة فيما يُسمى بتناص النصوص، فمصادر نص من النصوص لا توجد سابقة عليه فحسب، بل لاحقة به كذلك"<sup>٢</sup>.

ويوجد شكلان من أشكال التناص القرآني الضمني هما: بنائي، ومعنوي. ونعني الأول استدعاء كلمتين قرآنيتين أو أكثر في الخطاب ضمناً، ونعني بالثاني ما أخذت شكلاً وجدانياً، ويستشفها المتلقي ضمناً من السياق، وقد تتضمن كلمة قرآنية واحدة. وسنركز على تحديد مواضع التناص القرآني الضمني بنوعيه مع توضيح مضمون التفاعل بين النصين الحاضر والغائب.

### - التناص القرآني الضمني البنائي

أسهب عليّ في مزاجية نصوصه بالمظهر الديني<sup>٣</sup>. ونعزي سبب ذلك إلى قربيه الشديد من رسول الله. فقد ذكر ابن هشام ذلك في قوله: "كان ممّا أنعم الله على عليّ بن أبي طالب أنّه كان في حجر رسول الله قبل الإسلام أي أنّه تربّى في بيت الرسول"<sup>٤</sup>. وسنلاحظ إبداع النهج في المزاجية بين نصوصه ونصوص القرآن ضمناً.

إنّ التناص بمصادره المختلفة يُعيد صياغة النصّ ليعطي دلالة غائبة عبّر عنها عاطف أحمد الدرابسة بالتجربة الجديدة في قوله: "التناص كآلية في القراءة ترى أنّ كلّ نصّ يقع في مفترق طرق نصوص عدّة، غير أنّه يُعيد دمجها في تضاعيف بنيته ليشكل تجربة أدبية جديدة ذات أبعاد دلالية تتسجم مع المعطيات الموضوعية للتجربة الجديدة"<sup>٥</sup>. وسنلاحظ كيف يؤدي تفاعل التناص والنصّ إلى ظهور مضامين خفية. فمن تلك النصوص قول عليّ حين استعرض مهام الإمام وسبل حكمه، وحذّر فيها من الركون إلى الجاهل في إشارة إلى حكم بني أمية<sup>٦</sup>: "...فأقسم بالله يا بني

<sup>١</sup> - محمد خير البقاعي، آفاق التناص، ص ١٣٤.

<sup>٢</sup> - رولان بارت، التحليل النصّي، ص ٣٥.

<sup>٣</sup> - انظر مصادر التناص أولاً: القرآن الكريم ص ٢٥، ٣٦.

<sup>٤</sup> - ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٥.

<sup>٥</sup> - عاطف أحمد الدرابسة، قراءة النصّ الشعري الجاهلي، ص ٣٢٩.

<sup>٦</sup> - بدأت خلافة بني أمية سنة إحدى وأربعين بمعاوية بن أبي سفيان أول ملوك الإسلام وانتهت سنة اثنتين وثلاثين ومائة بمقتل مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية، وتحولت الخلافة إلى بني العباس؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٢، ج ٦، ص ٦٢، ج ٧، ص ١٠١.

أُمِّيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ ، وَفِي دَارِ عَذُوكُمْ ...<sup>١</sup>، ثُمَّ دَعَا إِلَى اتِّبَاعِ صَفْوَةِ الْقَادَةِ قَائِلًا:

"... أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مَصْبَاحٍ وَاعْظِ مُنْعَظٌ ، وَامْتَاخُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدْرِ . عِبَادَ اللَّهِ ، لَا تَرْكُنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَتَّقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَيَقْرُبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ ! فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوَ إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجُوكُمْ ، وَلَا يَنْقُضُ بَرَأِيَهُ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ : الْإِبْلَاجُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ لِلْسُنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا . فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصَوُّيْحِ نَبْتِهِ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُتَكْرَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّأْهِيِ !"<sup>٢</sup>.

قَدَّمَ عَلِيٌّ دَعْوَةَ لَصْحَبِهِ لِلِاسْتِسْقَاءِ مِنَ الْمَعِينِ الصَّافِي الَّذِي تَخْلُو مِيَاهُهُ مِنَ الْكَدْرِ "وهي عين علومه"<sup>٣</sup>، ونهاهم عن الركون إلى الجهل واتباع الأهواء ، لأنَّ ذلك سيؤدِّي إلى مصير لا تُحمد عقباه كالإبادة والزوال ، فعَبَّرَ عنه بتناصٍّ ضمنيٍّ معنويٍّ في قوله: "بجرفٍ هارٍ" ، ويُحيلُ إلى قوله تعالى: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"<sup>٤</sup> ، ونلاحظ كذلك أنَّ التناصَّ في الخطبة "بجرفٍ هارٍ" لم يتغيَّر ألفاظه لما تحمله العبارة من قداسة دينية ويُسَمَّى الاجترار<sup>٥</sup>.

ونلاحظ التناصَّ الأجناسي واضحاً في نصّه الخطابي الذي وصف فيه خلق السماوات. فقد تفاعلت عدَّة آيات قرآنية ضمنية في مقطع واحد في قوله :

"ثُمَّ أَنْشَأَ — سُبْحَانَهُ — فَتَنَقَّ الْأَجْوَاءَ ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءَ ، فَأَجَازَ فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا نَبَّارُهُ ، مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ،

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٥.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٤٥.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ١٤٥.

<sup>٤</sup> - التوبة، ١٠٩/٩.

<sup>٥</sup> - الاجترار: تكرار للنص الغائب من دون تغيير بسبب قداسة الدينية، أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص ٥٠.



وَالزَّرْعَرَاعِ الْقَاصِفَةِ ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبُهَا ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ، وَأَعَصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ ، تَرْدُ أَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامُهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا ، وَعُلَاهُنَّ سَقْفًا مَحْقُوظًا ، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا ، بِغَيْرِ عَمْدٍ يَذْعُمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ النُّوَّاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ، وَقَمَرًا مُنِيرًا فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقَفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ <sup>١</sup> .

لم يقتصر النص على تناص قرآني واحد ، بل تعداه إلى أكثر من تناص حول قدرة الخالق في تزيين السماء بالنجوم . فقد أحال قوله: " ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ " إلى تناص القرآن " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ " <sup>٢</sup> ، وأحال قوله في خلق الشمس والقمر " وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ، وَقَمَرًا مُنِيرًا " إلى التناص القرآني من قوله تعالى: " تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا " <sup>٣</sup> .

ويلفتُ انتباه المتلقي في المقطع السابق الانتقال الإبداعي من عرض خلق إلهي إلى آخر بحرف العطف " ثُمَّ " الذي يفيد " الجمع والترتيب والمهلة " <sup>٤</sup> ، وسيطر انتشاره بشكل لافت ليس على الفقرة التي أمامنا فحسب ، بل على النص الخطابي كله ، ليتبين من خلاله المراحل المرتبة والمتسلسلة في الخلق والنشأة ، ويستعرض به أكبر قدر من عظمة قدرته الخلقية ، ويكون المتلقي بهذا العرض التفصيلي أكثر اطلاعًا وبيّنة بعظمة قدرة الله .

### - التناص القرآني المعنوي

شرح عليّ في خطب النهج بعض آيات القرآن الكريم وما تحتويه من قيم وتعاليم سماوية، ووصف القرآن أنه مفتاح لعلاج المشكلات في قوله: " ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَكِنْ يَنْطِقْ وَلَكِنْ

<sup>١</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٦٩.

<sup>٢</sup> - الحجر، ١٦/١٥.

<sup>٣</sup> - الفرقان، ٤٥ / ٦١.

<sup>٤</sup> - ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص ٤٧٤.



أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ . أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ <sup>١</sup> .  
وشرح محمد تقي مصباح النص في قوله: "ففي القرآن دواء لآلامكم والسبيل لحل مشكلاتكم وتنظيم  
أموركم ، وإن القرآن فيه شفاء لجميع الأمراض وبوجود القرآن تتلاشى الآلام والمتاعب..."<sup>٢</sup> .

وتوجد في المقطع إشارة نص قرآني غائب في قوله: " وَدَوَاءَ دَائِكُمْ " ، ويُحيل التناص  
ضمناً إلى قول القرآن: " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ..."<sup>٣</sup> .

ويغلب على معظم نصوص النهج التناص القرآني المعنوي ، فنجد في نص واحد تناصات  
معنوية عدة كالنص الذي تحدث عليّ فيه عن خلق الأرض والسموات وخلق آدم ، فنلمح آية  
التحول التناصي من آية إلى أخرى فيقول:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ ، وَلَا  
يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمُ ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ، الَّذِي  
لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلَا نَعَتْ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ " <sup>٤</sup> .

وموضع التناص القرآني المعنوي قول عليّ: " الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمُ " ويُحيل إلى قوله  
تعالى " لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" <sup>٥</sup> . وقال ابن أبي الحديد في  
شرحه: "واعلم أن نفي الإحاطة مذكور في الكتاب العزيز في مواضع ، منها قوله تعالى:  
"وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا..."<sup>٦</sup> . فابتدأ بوصف عجز المخلوق عن إدراك كنه الخالق وماهيته ، ثم انتقل  
إلى كيفية خلق الكون العظيم فقال:

" أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا ، وَلَا تَجَرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا ،  
وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا ، وَلَا هِمَامَةٍ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا . أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَامَ  
بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا ، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ، عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ،  
مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَأَنْتِهَائِهَا ، عَارِفًا بِقِرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا . ثُمَّ أَنْشَأَ — سُبْحَانَهُ — فَتَقَ  
الْأَجْوَاءَ ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ ، وَسَكَّنِكَ الْهَوَاءَ ، فَأَجَازَ فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ ،

١- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٣.

٢- محمد تقي مصباح اليزدي، تجلي القرآن في نهج البلاغة، ص ٢١.

٣- الإسراء، ٨٢ / ١٧.

٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٢.

٥- الأنعام، ١٠٣ / ٦.

٦- ابن أبي الحديد، م. م. س. ج ١، ص ٥٥؛ والآية من سورة طه، ١١٠ / ٢٠.

مُتْرَاكِماً زَخَّارُهُ ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ، وَالزَّرْعُ عَزَّعَ الْقَاصِفَةَ ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرْنَهَا إِلَى حَدِّهِ ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيْقٌ ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبُهَا ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ ، حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبِيدِ رُكَامَهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ...<sup>١</sup>

يُحِيلُ قَوْلُهُ: " ثُمَّ أَنْشَأَ — سُبْحَانَهُ — فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ " إِلَى تَنَاصُصٍ قُرْآنِيٍّ مَعْنَوِيٍّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"<sup>٢</sup>.

ونلاحظ أَنَّ النَصَّ الْخُطَابِيَّ وَصَفَ الْعِظَمَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَعَجَزَ الْمَخْلُوقَ وَعَدَمَ اسْتَطَاعَتَهُ بَلُوغَهَا وَمَعْرِفَةَ قَدْرِهَا. فَاسْتَفْتَحَ عَلَيَّ خُطَابِهِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى ضَعْفِهِ أَمَامَ خَالِقِهِ ، وَخَتَمَهُ بِبَيَانِ كَيْفِيَّةِ تَثْبِيتِ الْأَرْضِ بِالْجِبَالِ الرَّاسَخَاتِ فَيَقُولُ: "فَطَرَّ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ"<sup>٣</sup>، فِي النِّصِّ تَنَاصُصٌ قُرْآنِيٌّ مَعْنَوِيٌّ يُحِيلُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا"<sup>٤</sup>، وَيُشِيرُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: " وَقَوْلُهُ: وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ، مِنْ قَوْلِهِ: "وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا". وَالْمِيدَانُ: التَّحْرُكُ وَالتَّمَوُّجُ "<sup>٥</sup>. ثُمَّ يَنْتَقِلُ النِّصُّ إِلَى مَقْطَعٍ آخَرَ:

"... ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبُهَا، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبِيدِ رُكَامَهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ..."<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ص ٢٢.

<sup>٢</sup> - الْأَنْبِيَاءُ، ٢١ / ٣٠.

<sup>٣</sup> - ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ج ١، ص ٥٥.

<sup>٤</sup> - النِّبَا، ٧٨ / ٦ - ٧.

<sup>٥</sup> - ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ، م. س.، ج ١، ص ٥٥.

<sup>٦</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، م. س.، ص ٢٣.

وصف النص الإبداع الخلفي للسماء ، فأمر الله رياحها أن تثير موج البحار وترمي "بالزبد" فيرتفع في الهواء فتتشأ عن هذه العملية الكونية سبع سموات " فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ " ، وتداخل النص بالتناص القرآني في قوله تعالى: "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِعًا..."<sup>١</sup>. ثم يُعرج النص نفسه إلى قصة خلق آدم قائلاً:

" ... ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا ، تُرْبَةً سَنَّاها بِالماءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَعْضَاءٍ وَوُصُولٍ ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ ، لَوَقَّتْ مَعْدُودٍ ، وَأَجَلَ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِبِلُهَا ، وَفَكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْأَنْوَاقِ وَالْمَشَامِ ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلَفَةِ..."<sup>٢</sup>.

ولا زال التحول النصي يدور حول عظمة إبداع خلق الخالق وضعف المخلوق . فبعد التفصيل الوافي لعظمة نشأة الكون يتحول النص إلى بيان ضعف المخلوق . فقد خلق الله تربة الأرض ، وجمع طينتها الممتزجة بالماء ، فلاطها خلطاً وعجنأ إلى أن لزبت وصارت كتلة متلاحمة ، فتشكل منها طينة آدم . فقد ذكر ابن أبي الحديد أن آدم " بقي طيناً تشاهده الملائكة أربعين سنة ، ولا يعلمون ما المراد به ؟ " <sup>٣</sup> . تحيل كل هذه التناصات في النص إلى مدى ضعف المخلوق البشري وحقارته أمام جبار السماوات والأرض .

وتفاعلت مراحل خلق الآدمي مع الآيات القرآنية المختلفة كقوله تعالى: " فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ " <sup>٤</sup> ، وقوله: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " <sup>٥</sup> ، وقوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ " <sup>٦</sup> ، وقوله تعالى: " قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ

<sup>١</sup> - الرعد، ١٣ / ١٧.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٨٠.

<sup>٤</sup> - الصافات، ٣٧ / ١١.

<sup>٥</sup> - الحجر، ٢٦ / ١٥.

<sup>٦</sup> - الحجر، ٢٨ - ٢٩.

خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ، قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ<sup>١</sup> ، وقوله تعالى: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ " .<sup>٢</sup>

فقام النصّ بعرض الخلق الإلهي للسموات والأرض وخلق آدميين ، ثم يصل في نهايتها إلى بداية هبوط الأدمي على الأرض في قول علي:

" ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتُهُ ، وَحَزَنَرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَاعْتَرَاهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَبْرَارِ ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَاسْتَبَدَلَ بِالْجَدَلِ وَجَلّاً ، وَبِالْإغْتِرَارِ نَدَمًا . ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَاهُ كَلِمَةً رَّحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ ، فَأَهْبِطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ ، وَتَنَاسَلَ الذُّرِّيَّةُ " .<sup>٣</sup>

يُحِيلُ التَّنَاصُصَ الضَّمْنِيَّ الْمَعْنَوِيَّ فِي قَوْلِهِ: " ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً " إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا " ، وَيُحِيلُ قَوْلَهُ: " ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ " إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: " فَأَهْبِطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ " فَيُحِيلُ إِلَى التَّنَاصُصِ الْقُرْآنِيِّ الضَّمْنِيِّ: " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا... " .<sup>٤</sup> ثُمَّ يَتَحَوَّلُ الْخُطَابُ إِلَى مَقْطَعٍ جَدِيدٍ يَتَحَدَّثُ عَنْ اصْطِفَاءِ الرِّسْلِ قَائِلًا:

" وَأَصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْذَادَ مَعَهُ ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَاقْتَنَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيَذْكُرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْنَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ، وَيُنْثِرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُرَوْهُمْ الْآيَاتِ الْمَقْدَرَةِ مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ ، وَأَجَالَ تَقْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابَ تُهَرِّمُهُمْ ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُّرْسَلٍ ، أَوْ

١- الحجر، ١٥/٣٣-٣٤.

٢- الرحمن، ٥٥/١٤-١٥.

٣- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦.

٤- البقرة، ٢/٣٥.

٥- البقرة، ٢/٣٧.

٦- البقرة، ٢/٣٨.

كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةَ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ . مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ . عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ ... <sup>١</sup> .

وتفاعل التناص المعنوي في المقطع مع ثلاثة نصوص قرآنية الأول في قول علي : "وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ" ، ويحيل إلى التناص القرآني المعنوي في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ" <sup>٢</sup> ، وإلى قوله تعالى: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..." <sup>٣</sup> ، وكذلك قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" <sup>٤</sup> . والتناص الثاني في قوله: "وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ" فيحيل إلى الآية: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ..." <sup>٥</sup> . والتناص الثالث في قوله: "وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ" ويحيل التناص إلى قول الله تعالى: "وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ" <sup>٦</sup> ، وكذلك قول القرآن: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا" <sup>٧</sup> . وأما قوله: "مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ" ، فيحيل إلى قول الله تعالى: "...وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ..." <sup>٨</sup> . ونلاحظ أن المقطع احتوى على أكثر من تناص قرآني ضمنى معنوي أسميناه التناص القرآني الجزئي.

ويحث في خطاب آخر من نصوص علي بن أبي طالب على التقوى ، ويطالب بالاستعداد لاستقبال الموت مستشهداً بالآية القرآنية: "أُزِفَتِ الْأَرْفَةُ" <sup>٩</sup> ، وورث بشكل اجترار نصي دون تغيير في بنيتها في الخطاب الآتي:

"فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ ، وَمَعْقَلًا مَنِيعًا ذِرْوَتَهُ ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ . وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوَلِهِ . فَإِنَّ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦.

<sup>٢</sup> - آل عمران، ٣/ ٣٣.

<sup>٣</sup> - فاطر، ٣٥/ ٣٢.

<sup>٤</sup> - الأحزاب، ٣٣/ ٧.

<sup>٥</sup> - المائدة، ٥/ ٦٧.

<sup>٦</sup> - فاطر، ٣٥/ ٢٤.

<sup>٧</sup> - النحل، ١٦/ ٣٦.

<sup>٨</sup> - الصف، ٦١/ ٦.

<sup>٩</sup> - النجم، ٥٣/ ٥٧.

الْغَايَةِ الْقِيَامَةِ . وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ . وَقَبْلَ بُلُوغِ  
الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ . وَهَوْلِ الْمُطْلَعِ ، وَرَوَعَاتِ  
الْفَزَعِ . وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاحِ ، وَاسْتِكَافِ الْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ ،  
وَعَمِّ الضَّرِيحِ ، وَرَدَمِ الصَّقِيحِ .

فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنْ ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي  
قَرْنٍ ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا .  
وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَالِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا . وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ،  
وَأُخْرِجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا . فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى وَشَهْرٍ انْقَضَى . وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتْئًا ،  
وَسَمِينُهَا غَنًّا . فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورِ مُسْتَبْهَةِ عِظَامِ ، وَنَارِ شَدِيدِ كَلْبِهَا ،  
عَالٍ لَجْبِهَا ، سَاطِعٍ لَهَبِهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدِ خُمُودِهَا ، ذَاكَ  
وَقُودُهَا ، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمِّ قَرَارُهَا ، مُظْلِمَةِ أَقْطَارُهَا ، حَامِيَةِ قُدُورُهَا ، فَظِيْعَةِ  
أُمُورُهَا...<sup>١</sup>

يُحِيلُ النَّصَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَأْمُرُ عَلَى أَصْحَابِهِ بِبَعْضِ الْأَوَامِرِ مِنْ بَابِ النَّصْحِ  
وَالْمَوْعِظَةِ . فَقَدْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى فِي قَوْلِهِ : " فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ " ، لِأَنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقَ الْعُرْوَةِ " فَإِنَّ  
لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقَلًا مَنِيعًا نِزْوَتُهُ " وَيُوكِّدُ عَلَى أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بِالتَّقْوَى يَتَمَسَّكُ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ  
وَالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا انْفِصَامٌ وَلَا انْقِطَاعٌ .

وَيُفِيدُ النَّصَّ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَصِمَ بِالتَّقْوَى وَلَمْ يَتَمَسَّكْ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى ضَلَّ وَغَوَى وَهُوَ فِي  
النَّارِ ، فَدَعَا إِلَى الْاسْتِعْدَادِ الْكَامِلِ لِلْآخِرَةِ وَالتَّأَهُبِ لَهَا قَائِلًا : " وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ ، وَآمِهَدُوا  
لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ " . وَنَلَاظِ الْإِلْحَاحِ الشَّدِيدِ مِنْهُ بِتَهْيِئَةِ الْأَسْبَابِ وَالْمَقْدَمَاتِ  
الْنافِعَةِ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَوْتِ ، فَكُلُّ فَرْدٍ أَجَلٌ مُعَيَّنٌ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ فِي قَوْلِهِ : " وَبَادِرُوا الْمَوْتَ  
فِي غَمَرَاتِهِ . وَآمِهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ " وَيُحِيلُ إِلَى التَّنَاصُّ الْقِرَائِيِّ الْمَعْنَوِيِّ :  
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٤٩.

<sup>٢</sup> - الأعراف، ٣٤ / ٧.

## ٢- تناسّ الشخصيّات

يُعدّ حضور الشخصية في النصّ أحد أشكال التناسّ الضمنيّ . وحرص الباحثون على تحليل الشخصية في النصوص النثرية والشعرية . فقد ذكرت عزّة شبل محمّد " أنّ مصادر التناسّ تتعدّد إلى تناسّ مع القرآن الكريم والحديث النبويّ والشعر والمثّل وتناسّ الأعلام والتناسّ القائم على استحضار قصّة أو حادثة تاريخيّة والتناسّ مع المصطلحات كالعروض والنحو والمنطق "١، وأكّد لؤي حمزة عباس في كتابه سرد الأمثال على أهميّة الشخصية في النصوص في قوله: " تُعدّ الشخصية ركناً مهماً من أركان العمل السردّي وواحدًا من عناصره الأساسيّة تتجلّى عبر أفعالها وتتنصّل الأفكار وتتخلّق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصّة تكون مادة هذا العمل ... "٢ .

وأهمّ ما يكشف الشخصية في النصّ الوظيفة المنوطة بها ، فيقول سعيد بنكراد حول دور وظيفة الشخصية: "المواصفات المسندة إلى شخصيّة ما تقوم في إحالتها على حالة معيّنة ... وأيّة صفة بحكم نمط تشكّلها قابلة لأن تتحوّل إلى وظيفة بمجرد طرحها كعنصر محدّد لكيثونة شخصيّة ما... "٣. وبين منير سلطان دور استدعاء الشخصية في النصوص في قوله: " بعض الأعلام أسماء مشحونة بالأحداث ، والتاريخ ، والإنجازات . فنذكر أسماءها ونحن نقصد تاريخها ، وأثرها ، وقيمتها ، ودورها المتميّز في حياة المجتمع . أعلام في الدين ، وأعلام في الفنّ ، وأعلام في العلم أو السياسة أو الأدب ... ، وكلّ اسم بديل عن قصّته ودوره الذي قام به . ولا تقتصر الأعلام على الأشخاص ، بل تقفز السور إلى الحيوانات والبلدان والمواقع الحاسمة في حياة المجتمع والبشر وظواهر الطبيعة "٤ .

ومن يتتبّع الأدب يجد للشخصيّات دوراً مهماً في النصّ الأدبيّ ، ويؤكّد عبد الرحيم الكردي دور الشخصية في المقامات وكليلة ودمنة ومغامرات السندباد في قوله: "ويتمثّل ذلك في صورة شهرزاد وهي تتربّع كلّ ليلة أمام سرير شهريار، لتسمعه وتسمعنا معه صوتها هي لا صوت علاء الدين أو صوت السندباد أو أصوات التجار والبحارة والجنّ، وتظهر له ولنا وجهها هي لا وجوههم، ويتمثّل كذلك في المقامات في عيسى بن هشام، وفي راوي السير الشعبيّة كعنتر... وهذا الراوي

١- عزّة شبل محمّد، علم لغة النصّ، ص ٨٤.

٢- لؤي حمزة عباس، سرد الأمثال، ص ١٢٩.

٣- سعيد بنكراد، سيميولوجيّة الشخصيّات السرديّة، ص ١٩٦.

٤- منير سلطان، التضمين والتناسّ، ص ١٢٢.



الظاهر المسيطر لم يمت في القصة العربية في العصر الحاضر، بل اتخذ أشكالاً متعددة وقام بأدوار مختلفة، فمرة يتحدث عن نفسه بضمير المتكلم معبراً عن موقعه صراحة، ومرة أخرى يتحدث بضمير الغائب مبرزاً تفاصيل الأحداث ومحاولاً بقدر ما يستطيع ألا يكون حاجزاً بينهما وبين القارئ، ومرة يستخدم الفعل الماضي ليفرق بين زمان الأحداث وزمان القول، ومرة أخرى يستخدم الفعل المضارع المفرغ من الزمان لجعل قارئه يعيش الأحداث...<sup>١</sup>.

وتتحول الشخصية إلى محور مركزي داخل النص يصعب عزلها عنه سواء كان شعراً أم نثراً. ويطلق الباحثون على الشخصية ودورها المركزي اسم التناص المحور<sup>٢</sup>. وتتعدّد الشخصيات في النص، ليصبح خشبة مسرح تؤدي عليه عدّة شخصيات وظائف (Functions) مختلفة. ويطلق على تعدّد الشخصيات في النص التناص المجزوء<sup>٣</sup>. ووضع بعض الباحثين ثلاثة أشكال لظهور الشخصية في النص الروائي وهي: استدعاء بالاسم<sup>٤</sup>، واستدعاء بأقوال الشخصيات التاريخية<sup>٥</sup>، واستدعاء بالفعل<sup>٦</sup>. وسنشير إلى ذلك في أثناء معالجتنا لتناص الشخصيات في خطب نهج البلاغة.

تفاعل في خطب نهج البلاغة معظم أشكال التناص ومنها تداخل الشخصيات في النص الخطابي، لتؤدي وظائف عدّة كالشخصيات الدينية<sup>٧</sup> والشخصيات المعارضة لنهج علي بن أبي طالب<sup>٨</sup> والشخصيات المؤيدة<sup>٩</sup>. وتُستدعى أسماء الشخصيات في خطب نهج البلاغة باليتين: الأولى

<sup>١</sup> - عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص ٧٩.

<sup>٢</sup> - التناص المحور كأن يجعل الشاعر شخصية ما محوراً لشعره؛ علي بن سالم المانعي، التناص في الخطاب الشعري العماني المعاصر، ص ٥١.

<sup>٣</sup> - التناص المجزوء: يقصد به تجزؤ المحاور لتصبح عدّة تناصات في نص واحد كوجود شخصيات في نص واحد؛ علي بن سالم المانعي، م. ن.، ص ٥١.

<sup>٤</sup> - تناص الشخصية بالاسم: أي ذكر اسم الشخصية التاريخية في سياق السرد الروائي؛ محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، ص ١١٤.

<sup>٥</sup> - تناص الشخصية باستدعاء الأقوال: وهي الطريقة الشائعة فكثيراً ما عمد الروائيون إلى سرد أقوال الشخصيات التاريخية ولا سيما تلك الأقوال الشهيرة التي تحتل حيزاً كبيراً في ثقافة القراء؛ محمد رياض وتار، م. ن.، ص ١١٤.

<sup>٦</sup> - تناص باستدعاء الأفعال: أي ذكر الشخصية التاريخية من خلال فعل اشتهرت به؛ محمد رياض وتار، م. ن.، ص ١١٤.

<sup>٧</sup> - نقصد بالشخصيات الدينية كل من له وظيفة دينية كالأنبياء والأولياء، أو يُحيل إلى سيرة دينية كأبناء الأنبياء والأوصياء وأصحابهم الموالين لهم.

<sup>٨</sup> - نقصد بالشخصيات المعارضة كل من عارض الصراط المستقيم كالشيطان أو عارض خلافة علي بن أبي طالب كعواوية ابن أبي سفيان.

<sup>٩</sup> - نقصد بالشخصيات المؤيدة كل من أيد خلافة علي ومنهجه.

استدعاء صريح للاسم مثل: استدعاء أسماء الأنبياء كالنبي آدم والنبي سليمان بن داود<sup>١</sup> وكذلك أبوه النبي داود<sup>٢</sup> وعيسى وموسى ومحمد ، واستدعاء أسماء بعض أصحابه المخلصين له: كعمار بن ياسر<sup>٣</sup> وأخيه عقيل بن أبي طالب<sup>٤</sup> ، واستدعاء اللقب كذي الشهادتين<sup>٥</sup> . والثانية: استدعاء ضمني: كاستدعاء صفات الشخصية دون التصريح باسمها مثل قوله: " مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ لَا أَبَا لَكُمْ ... " <sup>٦</sup> . فقد ألقى علي خطاباً في الكوفة تضمن العبارة السابقة ، وعاتب فيه الناس عموماً دون التصريح باسم أحد من الحاضرين أو المعارضين له كخطابه الذي خص فيه طلحة والزبير قائلاً: " وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوْهُ . وَكَمَا هُمْ سَفَكُوهُ... " <sup>٧</sup> ، فلم يصرح باسم طلحة والزبير .

ولاحظنا بعد تتبع الخطب أن الشخصيات المتناصّة تنقسم إلى قسمين: الأولى شخصيات دينية تتّصف بصفات إيمانية كالأنبياء ، وشخصيات مؤيّدّة لمنهجها الفكري والسياسي والديني . وأمّا الثانية فشخصيات معارضة لمناهجها وخلافته . وسنتتبع تناصّ الشخصيات في هذا المبحث .

<sup>١</sup> - سليمان بن داود: نبيّ ذكر اسمه في القرآن وقد ملك بعد أبيه داود أمر بني إسرائيل وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح وآتاه مع ذلك النبوة، وفي سنة أربع من ملكه ابتدأ بناء بيت المقدس . وقيل في كيفية موته أنّه دخل المحراب يوماً فقام يصلي متكلّماً على عصاه فمات وكان جميع عمره فيما ذكر نيّفاً وخمسين سنة؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٣٤٦، ٣٥٨.

<sup>٢</sup> - داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمر بن ناب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . ذكر اسمه في القرآن الكريم ، واجتمعت عليه بنو إسرائيل فأنزل الله عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد ولأنه له ، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبّح؛ الطبري، م. ن.، ج ١، ص ٣٣٩، ٣٤١.

<sup>٣</sup> - عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن اللؤيم . قدم والده من اليمن إلى مكة وأقام فيها فلما جاء الإسلام أسلم عمار وأبوه وأخوه عبد الله ، وعذّب عمار بالنار وكان عمار يُعذّب من قبل قريش حتّى لا يدري ما يقول . عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة وقُتل في صفين؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٩-٤٢١، ٤٢٨.

<sup>٤</sup> - عقيل بن أبي طالب الهاشمي وهو أكبر إخوته وآخرهم موتاً ، كنيته أبو يزيد . شهد بدرًا ومُشركاً وأُخرج إليها مكرهاً فأُسر، ولم يكن له مال ففداه عمّه العباس . خرج عقيل مهاجراً في سنة ثمان ، وشهد مؤتة ، ثم رجع، فتمرّض مُدّة فلم يُسمع له بذكر في فتح مكة ولا حنين ولا الطائف . توفّي زمن معاوية ، وكان علامة بالنسب وأيام العرب؛ الذهبي، م. ن.، ج ٢، ص ٣٤١؛ الذهبي، م. ن.، ج ٣، ص ٣٦٨.

<sup>٥</sup> - ذو الشهادتين: هو جزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري الفقيه أبو عُمارة المدني . شهد أحدًا وما بعدها وكان من كبار جيش عليّ واستشهد معه يوم صفين سنة سبع وثلاثين (٣٧ / ٦٥٧)؛ الذهبي، م. ن.، ج ٣، ص ٢٤١.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧١.

<sup>٧</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ٥١.

## – استدعاء الشخصيات الدينية

تظهر الشخصية في تشكيل النص (Text Formation) بفعل أو وظيفة . فقد قارن سعيد بنكراد بين الشخصية والوظيفة في قوله: " الشخصية كيان متحول ولا يشكل سمة مميزة يمكن الاستناد إليها من أجل القيام محايثة لنص الحكاية ، فهي متغيرة من حيث الأسماء والهيئات وأشكال التجلي... أما الوظيفة فهي عنصر ثابت وقار ، ويعد في التحليل عنصراً مميزاً يمكن الاستناد إليه من أجل تقديم تحليل علمي دقيق يقود إلى تحديد ماهية الحكاية "١، ونستفيد من ذلك أن الوظيفة عنصر مكمل للشخصية. وأشار سعيد بنكراد إلى ذلك في قوله: " إن الوظيفة هي الخالقة للشخصية، وليس العكس"٢. وعلى أساس ذلك لاحظنا تفاعل الشخصيات في الخطب وسيطرتها في بعض المواقف على النص كله . فقد تشكلت تلك الشخصيات عبر وظائف متداخلة في عمق النص ، وأتى استدعاء الشخصيات متنوعاً في خطب نهج البلاغة .

وتحدث الشخصيات أثرًا إنتاجيًا في النصوص (Production text) . فتحل بعضها إلى تناص قرآني أو تناص تاريخي أو رمز ما أو صفة معينة. ولعل أكثر تلك الشخصيات تناصاً في نصوص النهج الأنبياء عموماً والنبي محمد خصوصاً . وترد الشخصية متفردة بشخص واحد ، أو منتشرة بوظائف عدة .

وتقوم بعض نصوص علي بن أبي طالب على تداخل بعض الشخصيات الدينية لتكون منطلقاً لبدء حقبة تاريخية معينة أو رمزاً لابتناء الخلق البشري من قبل الخالق . فيستدعي " آدم " أبا البشر مثلاً ، للدلالة على الزمن بعد كلمة "لن" في قوله :

" أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَعَجَّلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا"٣.

عدّ بعض الباحثين استدعاء شخصية النبي آدم رمزاً للزمن الماضي . فقد قال منير سلطان: "وتوظيف النبي آدم يُعطي للعمل الفني بُعداً زمنياً ، فحول النبي آدم قضايا في الدين وفي بداية الخلق وفي الجنة وفي الأرض ، فأدم هو الإنسان الذي عاش بين الجنة والأرض ، وهو الذي خلق

١- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، ص ٢٢.

٢- م. ن.، ص ٢٣.

٣- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٢٥٨.

من تراب ، وأخطأ الخطيئة الأولى وقتل ابنه أخاً له ، فأدم علمٌ مكتنزٌ بالأبعاد المتشابكة والمتاقضة<sup>١</sup> . فلاحظنا في النص السابق تصريحاً باسم آدم النبي الذي دلّ على بدء زمن خلق البشر . ولا يصريح باسمه في موضع آخر ، ليكون رمزاً لعظمة قدرة الله في الخلق فيقول :

"ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلَهَا ، وَعَذَّبَهَا وَسَبَّخَهَا ، تُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَعْضَاءٍ وَوُصُولٍ ، وَأَعْضَاءٍ وَقُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمَسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ ، لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَتَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِبِلُهَا"<sup>٢</sup> .

يُعدّ استدعاء آدم النبي رمزاً لعظمة قدرة الخلق الإلهية، لكنه ليس نهاية العظمة. ففي موضع آخر يصريح باسمه، لبيان الإبداع الإلهي في الخلق وتوضيح نزوة الإبداع فيقوله:

"ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالَمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ : "إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ " اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ . أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا . وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ ، وَطَيِّبُ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ . وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَتِ الْبُلُوعُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمَيِّزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَتَفِيًّا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِنْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ . فَاعْتَبَرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ، وَجَهَدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ..."<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> - منير سلطان، التضمين والتناص، ص ١٢٢.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ٢٥٣؛ والآية من سورة ص ٣٨ / ٧١ - ٧٤.

تفاعل في هذا المقطع عدة نصوص غائبة تُحيل كلها إلى تناص شخصيّة آدم وهي مرتبة كالآتي: الأول تناص قرآني صريح في قوله تعالى: " إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ " ، والثاني تناص قرآني ضمنّي في قول عليّ: "اعترضته الحميّة ، فافتخر على آدم بخلقه ، وتعصّب عليه لأصله" ، والثالث استدعاء شخصيّة النبيّ آدم في قول عليّ: "... أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ ... " ، والرابع استدعاء تاريخي لخلق آدم النبي في قول عليّ: " وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ " ، ويُعرف هذا التعدّد في النصوص الغائبة بالتناصّ الأجناسي .

وتتداخل نصوص عليّ والشخصيات بغرض أخذ العبرة والعظة. فيدلّ استدعاء النبيّ سليمان على ضعف المخلوق أمام الخالق وعدم استطاعته مقاومة الموت ودفعه عنه في قوله: " أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ . فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا ، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مَلَكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ . وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِنُ مُعْظَلَّةً ، وَرِثَتَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً . أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ . أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ . أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ . وَأَحْيَا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ . أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ ، وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ ...<sup>١</sup> .

يبدأ المقطع بالنصح والإرشاد والتحلي بصفة التقوى ، ثمّ التذكير بنعم الله التي أسبغها على عباده كنعمة اللباس الفاخر ونعمة المعاش ، فينتقل إلى التحدّث عن شخصيّة دينيّة عُرفت بملكها العظيم وبسط سيطرتها على الإنس والجنّ والطير والحيوان . فقد سُخِّرَ للنبيّ سليمان كلّ ذلك في تعبير القرآن: " وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ "² ، ويذكر ابن كثير أنّه أوتي " كلّ ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيش والجماعات من الجنّ والإنس والطيور والوحوش والشياطين والسارحات والعلوم...<sup>٣</sup> . فنستنتج أنّ موت هذا النبيّ العظيم عبرة للمتلقّي فلم يتمكّن من دفع الموت عن نفسه مع عظمة سلطانه ونبوته وتسخير الجنّ والإنس

١- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٣٥.

٢- النمل، ١٧/٢٧.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، مج ١، ج ١، ص ٤١١.

لأمره . فقد باغته الموت بعد استكمال المدة المحددة لعيشه في الدنيا بملك منبسط من الشرق إلى الغرب ، وقد وصف القرآن أن ملكه لا ينبغي لأحد ، وأشار ابن كثير إلى ذلك في قوله: "سأل من الله ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله "، فقال تعالى: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ "١.

ويكثر في المقطع أنواع مختلفة من التناصّ الأجناسي ، فبعد أن يفرغ النصّ من شخصيّة النبيّ سليمان ينتقل إلى تناصّ من نوع آخر وهو تناصّ الأمم والشعوب كاستدعاء العمالقة<sup>٢</sup> والفراعنة<sup>٣</sup> ، وأصحاب مدائن الرسّ<sup>٤</sup> . وتفاعلت الصورة الاستعارية ، لأخذ العبرة من الموت في قوله: "رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ نِبَالَ الْمَوْتِ " . فقد شرح ابن ميثم الاستعارة في قوله: " لفظ القسيّ والنبال استعارة لمرامي الأمراض وأسبابها التي هي نبال الموت... "١. ويؤكد عليّ في آخر النصّ على أخذ الموعظة من الأنبياء والأوصياء قائلاً : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ ، وَأَدْنَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدْنَى الْأَوْصِيَاءِ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِمْ "٢. فضلاً عن تفاعل تناصّ النبيّ موسى في النصّ الذي بيّن فيه أن الرسول سبب هداية الناس في قوله :

"بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمْ الْعُلْيَاءَ ، وَبِنَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ ، وَقَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ ، كَيْفَ يَرَاعِي النَّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتُهُ الصَّيْحَةُ؟ رِبْطُ جَنَانٍ لَمْ يُفَارِقْهُ

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٦٠٤.

٢- سورة ص، ٣٨ / ٣٥ - ٣٦.

٣- العمالقة: كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وأنهم ظهروا على بني إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا ثورتهم ، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه فبعث الله إليهم شمويل نبياً؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٣٣٣، ٣٣٤.

٤- الفراعنة: ولد لـ لاوذ بن سام بن نوح عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ولحق ولده بالشام ، فمنهم كانت العمالقة، ومن العماليق الفراعنة بمصر . وتعاقب الفراعنة على حكم مصر حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه ... ولم يكن من الفراعنة أشدّ غلظة ولا أقسى قلباً ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه يعذبهم فيجعلهم خدماً؛ الطبري، م. ن. ٠، ج١، ص٣٣٣، ١٥٢-٣٣٤.

٥- الرسّ في القرآن بئر . ويروى أنهم قوم كذبوا نبيهم ورسّوه في بئر أي دسّوه فيها، ويقال كان على الرسّ ألف مدينة فبعث الله إليهم نبياً يُقال له موسى وليس موسى بن عمران ، فدعاهم إلى الله والإيمان به فكذبوه وجحدوه وعصوا أمره . ويقال أنهم رهط جالوت قتلهم داود وسليمان لما منعوا الخراج وقُتل جالوت . وذكر ابن خلكان أن حنظلة بن صفوان نبيّ أهل الرسّ وكان في زمن الفترة بين عيسى والنبيّ محمد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣، ٤٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠١.

٦- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص٥٨٨.

٧- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص٢٣٦.



الْخَفْقَانُ . مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُعْتَرِينَ ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جَلْبَابُ الدِّينِ ، وَبَصَّرْتِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ . الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ ! عَزَبَ رَأْيِي أَمْرِيءَ تَخَلَّفَ عَنِّي ، مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرَيْتُهُ ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ ، أَشَقَّكَ مِنْ غَلَبَةِ الْجَهَالِ وَذُولِ الضَّلَالِ ! الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ !<sup>١</sup> .

تعالق التناص في النص السابق مع الصورة الاستعارية، فيشبهه رفعة الناس بركوب سنام الإبل في استعارة مكنية فيقول ابن أبي الحديد: "وتسمنتم العلياء: ركبتم سنامها، وهذه استعارة"<sup>٢</sup>.

وأتى موسى النبي متفرد الحضور في هذا النص بينما يشترك استدعاؤه مع مجموعة من الأنبياء في نص آخر. فقد ذكر علي في أحد النصوص الرسول محمد وموسى وداود وعيسى وذكر نفسه، وحث المتلقي إلى أخذ الموعظة والدروس الحسنة من الأنبياء. فقال واصفاً تهالك الإنسان على ملذات الدنيا :

" أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَارًا وَوَعْدًا ، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا"<sup>٣</sup> .

يخاطب علي شخصاً مجهولاً لم يصرح باسمه سوى ذكر بعض صفاته التي تدل على عدم ثقته بنفسه وربّه ، فوصفه بالانحطاط في التعامل مع الله وولعه الشديد بالدنيا التي يقدمها على ربّه وينشغل بها عنه " آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا" .

وتفاعل في النص شخصيات دينية منها: النبي محمد ، والنبي موسى ، والنبي داود . ورمزت كل شخصية إلى صفة معينة ، فالنبي محمد وسيلة اقتداء وتأس للمتقي والابتعاد عن حب ملذات الدنيا وزخارفها ، فيقول:

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٦.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥٩.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٠٥.



"وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسُوءَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا  
وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ اطَّرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ  
أُكْنُافُهَا ، وَقُطِمَ مِنْ رِضَاعِهَا ، وَزُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا <sup>١</sup>."

ورمز النبي موسى إلى الزهد والتخلي عن ملذات الدنيا . فقد وصف النصّ طبيعة الحياة  
المتواضعة التي يعيشها النبي موسى فيقول عليّ فيه:

"وَإِنْ شِئْتَ تَنَيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: " رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ  
خَيْرٍ فَقِيرٌ " ، وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خَبْرًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ  
خُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ <sup>٢</sup>."

ولا يُراد من وصف نحول جسد النبي موسى بن عمران بسبب نوعية الطعام الذي كان  
يتناوله الاقتداء بالأنبياء في طعامهم وملبسهم ، بل السير على نهجهم الديني والأخلاقي والامتنال  
بأوامرهم ، وبيان ذلك في بعض كلامه قائلًا:

" أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ ، أَلَا وَإِنْ  
إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ . أَلَا وَإِنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ  
عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ <sup>٣</sup>."

وتفاعلت شخصية النبي داود في النصّ لا لبيان تقشفه وقلة زاده ، بل للاقتداء بمنهجه  
الرسالي في الزهد والقناعة في قوله:

"وَإِنْ شِئْتَ تَلْتَمِسُ بِدَاوُودَ صَاحِبَ الْمَزَامِيرِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ  
بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا . وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا <sup>٤</sup>."

وفصل المقطع طبيعة الحياة المعيشية التي يعيشها النبي عيسى بن مريم . فوصف وسادته  
ولباسه وطعامه ، ولم يشغله عن ربّه زوجة أو ولد أو مال ، فقال عليّ :

"وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ  
الْخَشِنَ ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي

١- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٥.

٢- م. ن.، ص ٢٠٥.

٣- م. ن.، ص ٣٥٨.

٤- م. ن.، ص ٢٠٥.

الشَّتَاءَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تَنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ  
تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتَتُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، ذَابَتْهُ رِجْلَاهُ ،  
وَعَادِمُهُ يَدَاهُ ... <sup>١</sup> .

ويلاحظ أن تناسل الشخصيات الدينية يرمز إلى صفات أخلاقية كالتواضع والزهد والقناعة،  
وقد يُحيل استدعاء بعض الشخصيات الدينية إلى أخذ العبرة والموعظة . فيورد عليّ في إحدى  
الخطب التي يذمّ فيها إبليس ومن تبعه شخصيات من أولاد الأنبياء لم يذكر أسماءهم ، بل اكتفى  
بلفظ ولد إسماعيل<sup>٢</sup> وولد إسحاق<sup>٣</sup> وولد إسرائيل<sup>٤</sup> . وأمر بأخذ العبرة والموعظة ممّا جرى عليهم :

" فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالِ  
الْأَحْوَالِ ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ . تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ نَشْتَتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لِيَالِي  
كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رَيْفِ الْأَفَاقِ ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ ،  
وَحُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْخِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ ، وَتَكَدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرْكُوهُمْ عَالَةً  
مَسَاكِينَ إِخْوَانَ تَبَرٍ وَوَبَرٍ ، أَذَلَّ الْأُمَمَ دَارًا ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا ، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ  
دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا ، فَلْأَحْوَالِ مُضْطَرِبَّةٍ ،  
وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٍ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءٍ أَزَلْ ، وَإِطْبَاقٍ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتِ مَوْعُودَةٍ ،  
وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتِ مَشْنُونَةٍ . فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ... " <sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٥.

<sup>٢</sup> - ولد إسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً ، وأمه السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهم: نابت بن إسماعيل ، وقيدر  
ابن إسماعيل ، وأدبيل بن إسماعيل ، ومبسا بن إسماعيل ، ومسمع بن إسماعيل ، وداود بن إسماعيل ، وماس بن إسماعيل ،  
وأدد بن إسماعيل ، وطور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل ، ومن نابت وقيدر  
نشر الله العرب . كان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة ، ومات في مكة وثفن في الحجر عند قبر أمه هاجر؛  
الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٢٩.

<sup>٣</sup> - ولد إسحاق بن إبراهيم: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس فولدت له عيص بن إسحاق ويعقوب بن إسحاق  
ومن عيص أتى الروم بن عيص ، ومن ولد يعقوب بن إسحاق فكان عددهم اثني عشر رجلاً؛ الطبري، م. ن.، ج ١،  
ص ٢٣٠-٢٣١.

<sup>٤</sup> - إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . نكح ابنة خاله ليّا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس ، ثم توفيت فتزوج أختها  
راحيل بنت لبان فولدت له نبيّ الله يوسف بن يعقوب وبنيامين؛ الطبري، م. ن.، ج ١، ص ٢٣١.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٦٢.

يوجد في هذا المقطع استدعاءات تاريخية متفرقة الأزمنة . فبيداً باستدعاء شخصية ولد إسماعيل وإسحاق وإسرائيل ، ثم ينتقل إلى استدعاء زمن الأكاسرة فالقياصرة ، ثم يُحيلنا إلى حدث وأد البنات وعبادة الأصنام وقطيعة الرحم وأيام العرب في زمن الجاهلية ، فاعتبر بعث النبي محمد نعمة لهم ، لأنه منقذ البشرية في قوله: " فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا...". ويُعدّ المقطع تناصاً ذاتياً<sup>١</sup> يُحيل إلى نصوص أخرى ، فيُحيل قوله: "فانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا..." إلى قول آخر لعلّي في قوله: " بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٍ فِي حَيْرَةٍ ، خَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ... " <sup>٢</sup>.

ونذكر عليّ في نص آخر بعض أصحابه المخلصين، وأظهر الحسرة على فراقهم في قوله :  
 " أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ ،  
 وَأَدْنَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ . وَأَدْبَنْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا .  
 وَحَوَّنُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْثِقُوا . اللَّهُ أَنْتُمْ ! أَنْتَوَقَعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ ،  
 وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا ، وَأَزْمَعَ  
 التَّرَحَالَ عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا  
 يَفْنَى . مَا ضَرَّ إِيَّانَا الَّذِينَ سَفَكَتْ دِمَاؤَهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَلَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ ؟  
 يُسْبِغُونَ الْغُصَصَ ، وَيَشْرَبُونَ الرِّثْقَ . قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوْقَهُمْ أَجُورَهُمْ ، وَأَحْلَهُمْ  
 دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ . أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ  
 عَمَّارُ ؟ وَأَيْنَ ابْنُ النَّيْهَانِ ؟ وَأَيْنَ نُوَ الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ  
 تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ ؟ أَوَهُ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا  
 الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَاؤُا السُّنَّةَ ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ، دُعُوا  
 لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَتَّقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوا .

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ، فَمَنْ أَرَادَ  
 الرِّوَا حَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ <sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> - التناص الذاتي: عندما تدخل نصوص الكاتب الواحد في تفاعل مع بعضها؛ سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص ١٠٠.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ص ١٣٥.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. ن. ، ص ٢٣٦.

ملئ النص أشجاناً ولوعة وحسرة على أصحاب عليّ الذين وقفوا معه. وصرح بأسماء بعضهم<sup>١</sup> كعمّار ، وابن النّيهان<sup>٢</sup>، وذي الشّهاتين . ولم يذكر أسماء بعض أصحابه الآخرين واكتفى بقوله: "وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ". وذكر في المقطع صفة للشخصية المعادية له فقال: "وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ"<sup>٣</sup>. وتفاعلت الألفاظ الدالة على الحسرة والألم في النصّ كقوله: لله أنتم، الغصص ، الرنق ، أوه. فضلاً عن انتشار شكل من أشكال التناص كالتكرار اللفظي مثل أداة التنبيه "أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً" ، "أَلَا وَإِنِّي مُعْسَكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا". وتكرار لفظ "إخوان" في عدة مواضع: "مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا" ، "أَيْنَ إِخْوَانِي" ، "وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ" ، "أُوهِ عَلَى إِخْوَانِي" ، "أُوهِ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكُمُوهُ". وورد تكرار أداة الاستفهام "أَيْنَ" التي أوحى إلى معنيين: الأول معنى العبرة من الماضين فيقول: "أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ. وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ. أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ. وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ. أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَنِ الرِّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ..."<sup>٤</sup>، والثاني معنى الحسرة في قوله: "أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ النَّيَّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ..."

فبدأ النصّ الخطابي بأسلوب نداء لأهل الكوفة قائلاً: "أَيُّهَا النَّاسُ" ، فوصفهم بأنهم لايطيعونه في الوقت الحاليّ فقال: "وَأَذَبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا . وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْقُوا. لَهِ أَنْتُمْ! أَنْتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي بِطَأْ بِكُمْ الطَّرِيقَ ، وَبِرُسْدِكُمُ السَّبِيلَ؟" ، ثم ختم الخطاب بمقطع احتوى على أسلوب إغراء وأسلوب نداء وأسلوب تنبيه وأسلوب شرط في مقطع واحد وذلك في قوله: "الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي مُعْسَكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ، فَمَنْ أَرَادَ الرُّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ".

<sup>١</sup> تُعدّ هذه الأسماء النخبة المخلصة الذين ناصرهم ووقفوا بجانبه في حروبه ممثلين لأمره كعمّار بن ياسر من السابقين للإسلام وأبي الهيثم مالك بن النّيهان وذي الشّهاتين خزيمة بن ثابت قَبِلَ النَّبِيَّ شَهِادَتَهُ بِشَهِادَةِ رَجُلَيْنِ فِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ ، وَقَتَلُوا فِي صَفَيْنَ جَمِيعًا؛ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، شرح نهج البلاغة، ص ٢٣٦.

<sup>٢</sup> ابن النّيهان: أبو الهيثم مالك بن النّيهان بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ الْأَنْصَارِيِّ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، كَانَ يَكْرَهُ الْأَصْنَامَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ بِمَكَّةَ ، وَآخَى رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ . شَهِدَ بَدْرًا وَقُتِلَ بِصَفَيْنَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٢٩.

<sup>٣</sup> "وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ" أي أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى البغاة للتشفي منهم . فَقَدْ حُمِلَتْ رُؤُوسُهُمْ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى الْفَسَقَةِ لِلْبَشَارَةِ بِهَا . وَالْفَجْرَةُ هُنَا: أَمْرَاءُ الشَّامِ ، وَالرُّؤُوسُ: رُؤُوسُ أَصْحَابِهِ؛ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٩١؛ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، م. س.، ص ٢٣٦.

<sup>٤</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، م. س.، ص ٢٣٥.

وتتفاعل شخصية عليّ في نصوص النهج . فقد ورد الاسم مصرّحاً به في بعض الخطب ، ولم يُصرّح به في خطب أخرى . فلم يُصرّح باسمه في نصّه الذي ألقاه بعد وفاة النبي محمّد<sup>١</sup> ، بل اكتفى بلفظ " ابن أبي طالب " في قوله :

"أَيُّهَا النَّاسُ، شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ السُّمْنَاةِ، وَضَعُوا تَبِجَانَ الْمُفَاخَرَةِ . أَلْفَحْ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَاخَ ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ ، وَلَقَمَةٌ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا ، وَمُجْتَبَى الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِنِّاعِهَا كَالزَّرَارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ . فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا : جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتِي ، وَاللَّهُ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَنِي أُمِّهِ ، بَلِ انْدَمَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطِرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرُشِيَةِ فِي الطُّوِيِّ الْبَعِيدَةِ"<sup>٢</sup>.

تأطّرت (Frames) بنية السرد في المقطع السابق بالاستعارة . فشبه الفتنة بالبحر الجارف في قول عباس الموسوي: " وقد شبه الفتنة بالبحر المتلاطم الهائج الذي تتدافع فيه الأمواج فتقضي على من أراد أن يستمرّ في الإبحار منفرداً ضعيفاً "<sup>٣</sup>. وورث الصورة الاستعارية لبيان مدى المعاناة والحسرة التي يعيشها عليّ من انتشار الفتن والمحن حتى بلغ حدّ الاتهام والافتراء عليه ، فإن طالب بحقوقه " يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ " ، وإن لم يطالب بحقوقه خوف الفتنة فإنهم يتهمونه بالجبن والخوف " وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ " . وتتوّعت أشكال الاستدعاءات كالاتي: الأول صور استعارية متعدّدة القرائن في قوله : " أَمْوَاجَ الْفِتَنِ " ، " تَبِجَانَ الْمُفَاخَرَةِ " ، " مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ " ، والثاني تناصّ المثل "بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتِي" ، والثالث تناصّ شخصية المُلقّي بلفظ "ابن أبي طالب".

وأكد الباحثون الحداثيون على إمكانية حضور المؤلّف داخل نصّه كقول محمّد خير البقاعي: " ولا يتعلّق الأمر بأنّ المؤلّف لا يستطيع التبدّي في النصّ - في نصّه هو - ولكن إن حصل ذلك فعلى اعتبار أنّه ضيف ... إنّهُ يصير إن صحّ التعبير مؤلّفاً ، ليست حياته مصدر

<sup>١</sup> - حينما بايعت الناس أبا بكر قدم أبو سفيان دار عليّ قائلاً : ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً! وقال : يا أبا الحسن ابسط يدك حتّى أبايك . فأبى عليّ وقال له: إنّك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً ، لا حاجة لنا في نصحك . فقال أبو سفيان لعليّ والعباس: أنتما الأذلان ... فخطب عليّ الخطبة مبيناً قلة مبالته بحتفه وشدة وطأته في ميدان القتال؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٧٣.

<sup>٢</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٨.

<sup>٣</sup> - عباس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٧.

حكاياته ، ولكنها حكاية تنافس عمله ...<sup>١</sup> . وتشير شخصية علي بن أبي طالب في النص الخطابي إلى رمز وظيفي كقوله: "والله لا ين أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه" فيرمز حضور الاسم هنا إلى التحلي بالشجاعة والبطولة.

ويحث المقطع على ردع الصدع ومواصلة طريق السلام في قوله: "شُقُوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا تِيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَاكَ " . ولم يصرح باسمه في نص آخر فيقول:

" مَا أَنْتُمْ لِي بِبَقَّةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفَقَّرُ إِلَيْكُمْ . مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا ، فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ . لَيْبَسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعْضُونَ ، لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ . غَلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَذِلُونَ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لِأُظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ ، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ ...<sup>٢</sup> "

وموضع تناص الشخصية قوله: " قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ " ، يرمز به إلى الشجاعة والقوة ومقاومة العدو . ووصف قومه بالإبل المتفرقة عن راعيها كلما أتاها من جانب نفرت عنه إلى جانب آخر . ويصرح باسمه "علي" في نص آخر فيقول:

" وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِذْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّهِ ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ ، وَقَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ ، فَعَلَيَّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا ، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا<sup>٣</sup> . "

ويجمع علي في موضع آخر لقب النبي محمد واسم خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ، ويقتصر بذكر اسمه بلفظ " أنا " في قوله :

<sup>١</sup> - محمد خير البقاعي، آفاق التناص، ص ١٩.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٦.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ٥٣.

<sup>٤</sup> - خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وهي سيدة نساء العالمين في زمانها وأول من آمن بالرسول وصنقه قبل كل أحد . كانت تنفق عليه من مالها ويتجر هو عليه السلام لها ، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة . وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة . أمها فاطمة بنت زائدة العامرية ، تزوجها النبي وعمره خمس وعشرون سنة وكانت أسن منه



"أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بَكَلَالِ الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ<sup>١</sup> . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ ، وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ . وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْتَلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً ، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا نَالُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ<sup>٢</sup> .

وتدل كل شخصية في النص على أبعاد تناسية عبر تيفين ساميول عنها بقوله: "إن إحياء شخصية روائية يعني أولاً أن نمنحها أبعاداً فيصبح الاسم في هذه الحال ذا أبعاد جوهرية فيكون تناساً ..."<sup>٣</sup>. فقد أحوالت شخصية علي في النص إلى أبعاد متنوعة تستشف من خلال السياق. فدل لفظ "أنا" في المقطع على صفة الثقة بالنفس في قوله: "أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بَكَلَالِ الْعَرَبِ" وفي قوله كذلك: "وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ" ، ودلت على القوة في قوله: "وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ" ، ودلت على التفاخر بتربية الرسول له في قوله: "وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ" والتفاخر بملازمة الرسول في غار حراء في قوله: "وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي" ، ويفتخر بأول المصلين مع الرسول وخديجة بنت خويلد في قوله: "وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ

بخمس عشرة سنة . وقد ماتت بعد أبي طالب بثلاثة أيام وذلك في رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٦-٥٧، ٦٠.

<sup>١</sup> ربيعة ومضر: قبيلتان كبيرتان من قبائل العرب . وتعرف أنساب العرب على ست طبقات فأولها: شُعب ، وقبيلة ، وعمار ، وبطن ، وفخذ ، وفصيصة ... فمضر شُعب ، وربيع شُعب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمار ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيصة . وفي قوله تعالى: "وجعلناكم شعوباً وقبائل" ، يريد أهل اليمن وربيع ومضر ، وكانت ربيعة قبل انتشارها وتفرقها يسكنون بطن ذات عرق وهو الحد بين نجد وتهامة ، فلما كثرت انبسطت تطلب المياه والمنازل؛ أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي، الأنساب، ج١، ص ١٠٠-١٠٢، ١٧٦؛ والآية من سورة الحجرات، ٤٩/١٣.

<sup>٢</sup> محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٤.

<sup>٣</sup> تيفين ساميول، التناسل ذاكرة الأدب، ص ٦٧.



وَحَدِيجَةً وَأَنَا ثَالِثُهُمَا " ودلت كل هذه الأبعاد التناسيية إلى ضرورة العدول عن معاداته وعدم رفض أوامره ، لأنه كان صاحب رسول الله . فقد كان يتبعه كاتباع ولد الناقة لأمه في قوله : " وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ " .

وخلاصة القول في استدعاء اسمه أن تناص شخصيية الملقى تعددت أشكالها في النصوص ، فورد الاسم في بعضها بلفظ " علي " ، ولفظ " بابن أبي طالب " في أخرى ، ولفظ " أنا " تارة أخرى . وورد تناص اسمه بأبعاد متنوعة كالفخر والثقة بالنفس والشجاعة . واستدعى علي أسماء بعض أفراد أسرته كابنه الحسن والحسين في قوله :

" فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعَرَفِ الضَّيِّعِ ، يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِیضَةِ الْغَنَمِ ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَتَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَةٌ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ يَقُولُ : " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " <sup>١</sup> .

ذكر المقطع اسم الحسين - أي ولديه الحسن <sup>٢</sup> والحسين <sup>٣</sup> - لتصوير منظر البيعة ونتائجها . فقد أدى زحف الناس إليه إلى دهس ولديه وشق عطفه .

ويلاحظ شكل آخر من استدعاء الشخصييات الدينيية في نصوص النهج . فلا يذكر علي اسم الشخصيية ، بل صفاتها كصفات ملك الموت دون التصريح باسم عزرائيل فيقول :

" هَلْ تُحْسُ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنَزِلًا ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا ؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . أَلَيْجَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ؟ أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ " <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٥؛ والآية من سورة القصص، ٢٨ / ٨٣ .

<sup>٢</sup> - الحسن بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله وسبطه . ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وكان يشبه جدّه رسول الله . وفي النصف من جمادى الأول سلم الأمر إلى معاوية سنة إحدى وأربعين ومات سنة تسع وأربعين ( ٤٩ / ٦٦٩ ) ، وعاش سبعة وأربعين سنة؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٤٩، ٤٦٥ - ٤٦٦ .

<sup>٣</sup> - الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته في الدنيا وسيد شباب أهل الجنة أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب . أمه فاطمة بنت رسول الله محمد . مولده في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وقتل يوم العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ( ٦١ / ٦٨٠ )؛ الذهبي، م. ن.، ج ٣، ص ٤٦٨، ٤٨٩ .

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٥٨ .

ووصف عليّ الملائكة عامّة في موضع آخر فقال: " مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعَتْهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ "¹. وذكرت صفات الملائكة في النصّين على شكلين: الأوّل استخدام ضمير المفرد الغائب كاستدعاء صفات ملك الموت خصوصاً، والثاني استخدام ضمير الجمع الغائب كاستدعاء صفات الملائكة عموماً. ويسمّي الحدائثيون استدعاء الصفات "الوظيفة"². ويلاحظ استدعاء الوظيفة في استدعاء أصحاب الرسول محمد. فقد وصف عليّ أصحاب رسول الله بأنهم أدّوا واجبهم وامتنّوا لأمر نبيهم ورحلوا عن الدنيا إلى دار الثواب التي أعدّها الله لهم، فذكر عدداً متنوعاً من الضمائر فقال:

" أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ . فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَإِنْ وَلَا مُقَصِّرٍ ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ ، إِمَامًا مَنِ اتَّقَى، وَبَصَرَ مَنْ اهْتَدَى . وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ مِمَّا طَوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالَفَ عَلَيْهَا ، وَلَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرِيءٍ نَفْسُهُ ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا . وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهُ عَنْكُمْ رَأْيَكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَالْحَقَنِي بَيْنَ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللَّهِ مِيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قَدَمًا عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ. أَمَّا وَاللَّهِ، لَيْسَلَطُنَّ عَلَيْكُمْ غَلَامُ تَقِيفِ الذِّيَالِ الْمِيَالِ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيَذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِلَيْهِ أَبَا وَدَحَةَ "³.

استدعى النصّ مجموعة من صفات الشخصيات باستعمال الضمير. وتوجد أربعة أشكال للضمائر في النصّ: الأوّل ضمير المفرد الغائب وتمثّل في صفة النبيّ محمد، والثاني: ضمير جمع المخاطب وتمثّل في أصحابه، والثالث: ضمير المتكلّم لعليّ بن أبي طالب، وأما الرابع: ضمير جمع الغائب وتمثّل في أصحاب النبيّ. ونلاحظ مقارنة بين صفتين متضادتين رئيسيتين في النصّ هما: صفة التخاذل والدّعة في أصحابه، وصفة القوّة والعزيمة والهمة العالية في أصحاب رسول الله.

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥١.

²- الوظيفة: أفعال الشخصية التي تتداخل مع النصّ الحاضر، ويلخص الحمداني تعريف الوظيفة بقوله: " ونعني بالوظيفة: عمَلٌ شَخْصِيَّةٌ مَا "، وهذا العمل يتفاعل مع النصّ ويؤدّي إلى استنتاج التناص. فالشخصية لم تعد تحدّد بصفاتها وخصائصها الذاتية، بل بالأعمال التي تقوم بها ونوعية هذه الأعمال؛ حميد الحمداني، بنية النصّ السردّي، ص ٢٤، ٢٥.

³- محمد عبده، م. س.، ص ١٦٣.

ويلاحظ في بعض النصوص استدعاء صفات الخالق وصفات المخلوق. كالنص الذي بين فيه عليّ قدرة الله وانفراده بالعظمة وضعف المخلوق وعجزه مقابل قوة الخالق وقدرته، فيقول:

" كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ . غَنَى كُلُّ فَقِيرٍ . وَعَزُ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَقْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نَطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ . وَمَنْ مَاتَ فَالْيَهُ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرْ عَنْكَ . بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ . لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحْشَةٍ ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ . وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ... " <sup>١</sup>

يبين في افتتاحية النص السابق صفات الخالق والمخلوق وما بينهما من تقابل في قوة الخالق وضعف المخلوق . وينتقل بعدها إلى صفات الملائكة، فيقول:

" مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ . لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يَضْمُنُوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يَخْلُقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، وَلَمْ يَنْشَعِبْهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ . وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَاسْتِجْمَاعُ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةُ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةُ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لِحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ... ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيهَا رَغْبَتٌ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شِئْتَ إِلَيْهِ اسْتَأْقُوا . أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعْشَى بَصَرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ . فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِبَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ . قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَلَكِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، حَيْثُ مَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُ مَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَنْعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ . وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِرَّةِ - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ... " <sup>٢</sup>

تتداخل الاستدعاءات الوصفية في المقطع وتتفاعل بعضها ببعض لتوضح ضعف المخلوق أمام الخالق . فيصف المقطع غطرسته وإعراضه وتمرده ورفضه الامتثال لأوامر السماء في قوله:

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥١.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٥١.

"فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيمَا رَغَبْتَ رَغَبُوا " ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى وَصْفِ تَفَكُّرِ الْمُعْرِضِ فِي عَمَلِهِ لَحْظَةً اِحْتِضَارَهُ فَيَقُولُ:

"اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْقَوْتِ . فَفَتَّرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ . ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجًا . فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بَبْصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرِهِ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرِهِ . وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا ، أَغْمَضَ فِيهَا مَطَالِبَهَا ، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُسْتَبْهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا ، تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَنَّوْنَ بِهَا " <sup>١</sup> .

ويسترسل علي في وصف مشهد الاحتضار قائلاً :

" فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ . فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ ، يُرَدِّدُ طَرَفُهُ بِالنَّظَرِ فِي وَجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ الْأَسْنَنِهِمْ ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ التَّيَاطُبَ بِهِ ، فَقُبِضَ بَبْصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعَدُ بَاكِيًا ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا " .

ثم يذكر بعض الأمكنة كالقبر والجنة والنار ، ويصف حالة المخلوق في المكانين فيقول:

"ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخْطٍ فِي الْأَرْضِ ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ ... فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَنَابَهُمْ بِجَوَارِهِ ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النَّزَالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ ، وَلَا تَتَوَبَّهُمُ الْأَفْرَاحُ ، وَلَا تَتَأَلَّهُمُ الْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِي بِالْأَقْدَامِ ، وَالْبَسَهُمُ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ ، وَمَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أَطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يُفَادِي أَسِيرُهَا ، وَلَا تُقْصَمُ كُبُولُهَا . لَا مُدَّةٌ لِلدَّارِ فَتَقْنَى ، وَلَا أَجَلٌ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى " <sup>٢</sup> .

ويُخْتَمُ النِّصُّ بِصِفَاتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا فَقَالَ:

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥١.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٥١.

"قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَاهَا عَنْهُ  
اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ،  
وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا.. بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا،  
وَتَصَحَّحَ لِأَمْتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا، وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا ... " <sup>١</sup> .

وخلاصة القول في النص الأخير أنه لم يصرِّح بلفظ الجلالة ، ولم يصرِّح باسم المخلوق  
البشري والملائكة والأمكنة والأزمنة ، واكتفى بذكر صفاتها . فقد وصف الله بالعزيم والقوي  
والسميع والعليم والرازق في قوله: " وَعَزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ " ، " مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ " ،  
" وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ " ، " وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ " ، ووصف المخلوق بالفقير والذليل والضعيف  
المتهالك على الدنيا في قوله: " كُلُّ فَقِيرٍ " ، " وَعَزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ " ، " وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ " ، " قَدْ خَرَقَتْ  
الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ " .

ووصف الملائكة بأنهم لا يتناسلون ولا يتوالدون كالنفس في قوله: " لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ،  
وَلَمْ يُضْمَنْتُوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ " ، ووصف رفعة منزلة الملائكة عند الله في قوله:  
" وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَاسْتَجْمَاعُ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ " ، ولا يغفلون عن عبادة  
ولا تجرهم الأهواء والشهوات في قوله: " وَكَثْرَةُ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةُ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ " ، ووصفهم  
بالتواضع وعدم التباهي بكثرة عبادتهم ، وشعورهم بالتقصير في العبادة في قوله: " لَوْ عَايَنُوا كُنَّةَ  
مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ " .

ووصف الأزمنة كلحظة الاحتضار وانتقال الروح من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة  
" وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ " ، وتحدث عن الأمكنة كهروب أهل المحتضر عن مكان الاحتضار  
مثل " بَيْنَ أَهْلِهِ " ، " أَوْحَسُوا مِنْ جَانِبِهِ " ، " وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ " ، ووصف النص مكان سكن أهل  
الجنة وأهل النار .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥١.

## - استدعاء الشخصيات المعارضة

إن أكثر شخصية معارضة شيوعاً في خطب نهج البلاغة شخصية " معاوية " ويليها شخصية " عمرو بن العاص " <sup>١</sup> . فقد لقبه عليّ بابن النابغة <sup>٢</sup> في بعض خطبه كالنص الآتي :

" ... أُولَئِكَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجَفَاءَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةِ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي ، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ . إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ ، وَلَا سُخْطً فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيْ الْمَوْتِ . قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ ، وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَاجَ ، وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَبْتُمْ ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ . وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ " <sup>٣</sup> .

بدأ النصّ بلفظ يفيد التعجب في قوله: "عجباً" ، وانتهى بأسلوب تعجب في قوله: "وأقرب بقوم من الجهل بالله" ، وقدّر سعيد بن هبة الله الراوندي أسلوب التعجب في قوله: "تعجب أي ما أقربهم من الجهل بالله" <sup>٤</sup> ، فالنصّ قائم على التعجب الإنكاري . فقد بين الملقى للمتلقين تعجبه من اتباع أناس - وصفهم بالطغاة الجفاة - لمعاوية ولا يأخذون على ذلك أجراً " فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ " ، ويؤفر عليّ لأصحابه عطاء وفيراً " وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ " مقابل إجابة دعوته فلا يجيبونه . ويتمنى عليّ من الأعمى ملاحظة هذا العجب " لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ " ، ويطلب من النائم الاستيقاظ من سباته العميق " أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ " مستعملاً حرف " لو " <sup>٥</sup> الذي يفيد عدم إمكانية تحقق ملاحظة الأعمى واستيقاظ النائم . ورمز بالأعمى والنائم قومه من أهل الكوفة الذين أصيبوا بالعمى والنوم العميق كناية عن غفلتهم لما يحاك ضدّهم .

<sup>١</sup> - عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن غنم بن فهر بن مالك بن النضر بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . كنيته أبو عبد الله . أسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة . بعثه رسول الله على سرية إلى الشام يدعو أحوال أبيه إلى الإسلام ، وفي سنة اثنتي عشرة بعثه الخليفة الأول أبو بكر مع جماعة إلى الشام وفتح الله عليه الشام . شهد صفين مع معاوية ، ثم ولاء معاوية مصر فلم يزل بها أميراً إلى أن مات يوم عيد الفطر من سنة ثلاث وأربعين (٤٣ / ٦٦٣) ؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج٧، ص ٢١٢-٢١٥ .

<sup>٢</sup> - ابن النابغة: هو عمرو بن العاص وأمه النابغة ، امرأة من عنزة؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣١٠ .

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٣١ .

<sup>٤</sup> - سعيد بن هبة الله الراوندي، منهاج البراعة، ج٢، ص ١٨٦ .

<sup>٥</sup> - لو للتمني كأنك تقول ليت؛ ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص ٣٥١؛ محمد عبده، م. س.، ص ٢٣٢ .



ويُحيل تناصّ الشخصية إلى شخصيتين معارضتين هما: القائد معاوية بن أبي سفيان ، والمؤدّب عمرو ابن العاص ، لإظهار التعجّب والاستنكار من رفض أهل الكوفة أوامر قائدهم الذي أفنى عمره من أجلهم ، وأوضح عبّاس الموسوي العلّة من الاستنكار في قوله: "استنكر توبيخاً لهم لما يقدّمه لهم وما يخدمهم به وهم لا يقابلون ذلك إلا بالابتعاد عنه والتمرد على أمره على عكس معاوية ومسيرته في اتّباعه ..."<sup>١</sup>.

وترد شخصيّة " ابن النابغة " وحدها من غير معاوية في خطبة أخرى فيقول عليّ:  
 " عَجَبًا لَابْنِ النَّابِغَةِ ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً ، وَأَنِّي أَمْرٌ تَلْعَابَةٌ ،  
 أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا . أَمَا — وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ — إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ،  
 وَيَعِدُّ فَيُخْلِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَأَمْرٍ هُوَ. مَا لَمْ نَأْخُذْ  
 السُّيُوفَ مَأْخِذَهَا... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ... "<sup>٢</sup>.

ويتعجّب عليّ في هذا النصّ كذلك، ولكنّ تعجّبه ليس من غفلة قومه، بل من تصرّيات عمرو بن العاص ضده. فقد ادّعى عليه ما لا يليق بقائد مثله، فوصفه بكثرة المزاح واللّعب والتحرّش بالنساء، ليخرجه من صفة الورع، وأكد عبّاس أنّ هذا الافتراء باطل في قوله: " والزعم مبنيّ على الباطل ولا أساس فيه من الحقّ يزعم كذباً وزوراً إنّ فيّ دعابة مزاحاً وإنّي أضاحك الناس مما هو خارج عن حدّ الاعتدال وأعيش في حالة لاهية من اللّعب ومداعبة النساء ومن كان هذا شأنه لا يصلح للخلافة"<sup>٣</sup>، وقابل عليّ هذه الصفات والافتراءات المزيفة من قبل عمرو بن العاص بصفات سيّئة لعمرو بن العاص. فجعل الشخصية المستدعاة رمزاً لنشر الدعايات المضلّة، واستنكر عليّ المواقف المعادية له فضلاً عمّا يقدّمه للأمة وما يتحلّى به من صفات الخليفة الصالح. فقد وصف نفسه في الخطاب بالورع والتقوى فقال: "أما والله إنّني ليمنعني من اللّعب ذكر الموت..."، فلا ينبغي لخليفة المسلمين اللّعب لأنّه يذهب الورع .

وقد لا يُصرّح باسم الشخصيات المعارضة في بعض الأحيان استصغاراً لقدره أو تحقيراً له بتعبير عبّاس الموسوي: "تحقيراً له وتذكيراً بخسّته ودنائه..."<sup>٤</sup>، كالمقطع السابق في قوله: "ابن

<sup>١</sup> - عبّاس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٦٨.

<sup>٢</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١١٠.

<sup>٣</sup> - عبّاس الموسوي، م. س.، ج ١، ص ٥١١.

<sup>٤</sup> - عبّاس الموسوي، م. س.، ج ٣، ص ١٦٩.



النابعة ". وقد لا يصرح بالاسم حفاظاً على وحدة المسلمين وجبّ الفتنة والنزاع بينهم كقول ناصر مكارم الشيرازي: "حذرًا من شق صفوف المسلمين"<sup>١</sup>، وعبر عن ذلك ابن أبي الحديد بقوله فقال: "وإن نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم..."<sup>٢</sup>، فلم يذكر شخصية عثمان بن عفان، واكتفى بلفظ "غيري" في خطابه الآتي:

"لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللَّهِ لَأَسْلَمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ..."<sup>٣</sup>.

لم يصرح عليّ في هذا المقطع باسم أو لقب للشخصية المعارضة، بل اكتفى بكلمة "غيري" وأقسم أنه لن يشاجر على الخلافة في عهد عثمان، وذكر محمد عبده ذلك في قوله: "يقسم بالله ليسلمن الأمر في الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضارّ بالمسلمين وحافظاً لهم من الفتنة..."<sup>٤</sup>.

وخلاصة القول إنّ تفاعل تناصّ الشخصيات في النصّ يُعدّ رمزاً يُحيل القارئ إلى وظيفة ما، ويقول رولان بارت في مقاله نظرية النصّ: "كل نصّ هو تناصّ والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصيّة على الفهم بطريقة أو بأخرى إذ نتعرّف نصوص الثقافة السابقة والحالية: فكل نصّ ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة..."<sup>٥</sup>. ويُعدّ تفاعل الشخصية في النصوص إنتاجية جديدة تعتمد على الثقافة العامة. فقد بيّن حميد الحمداني دور الشخصية في النصّ فقال: "...لأنّ القارئ نفسه يستطيع أن يتدخل برصيده الثقافيّ وتصوراته القبليّة ليقدم صورة مغايرة عمّا يراه الآخرون عن الشخصية الحكائيّة ، وهذا ما عبّر عنه فليب هامون عندما رأى أنّ الشخصية في الحكّي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر ممّا هي تركيب يقوم به النصّ. وقال رولان بارت معرفاً الشخصية الحكائيّة بأنّها: نتاج عمل تأليفيّ"<sup>٦</sup>. وأرى من الضروريّ بعد معالجة تناصّ الشخصيات في خطب النهج معالجة التناصّ التاريخيّ لما يُشكّل من حضور لافت في النصوص الخطابية.

<sup>١</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٢٧.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢٨٨.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٩٥.

<sup>٤</sup> - م. ن.، ص ٩٥.

<sup>٥</sup> - محمد خير البقاعي، آفاق التناصية، ص ٤٢.

<sup>٦</sup> - حميد الحمداني، بنية النصّ السردي، ص ٥٠.

### ٣ - التناص التاريخي

إنَّ أهمَّ ما يستوقفنا في نصوص عليّ بن أبي طالب التناص مع أحداث ووقائع تراثية قديمة ومنها الوقائع التاريخية التي حدثت قبل عصر النصّ أو في حينه أو ستحدث مستقبلاً. وسنقوم بتتبّع التناص التاريخي وتحديد فترته الزمنية كاستدعاء تاريخ الأزمنة الغابرة (Time Recall) في قوله:

"... فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، أَوْ لِنَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ، الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مَلِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مَدَنَتَهُ، رَمَتْهُ قِسِي الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ. وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً، وَرِثَتَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً. أَيْنَ الْعِمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعِمَالِقَةِ. أَيْنَ الْفَرَاعْنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعْنَةِ. أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرِّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ. وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ، وَهَزَمُوا الْأَلُوفَ، وَعَسَكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَنُوا الْمَدَائِنَ..."<sup>١</sup>

يجتمع في النصّ مجموعة من الوقائع التاريخية بفترات زمنية مختلفة. فقد تساءل النصّ عن أولئك الطغاة الذين حكموا الأرض بالظلم والتقتيل والتشريد أمثال العمالة الذين يقول عباس الموسوي في شرح العمالة بأنهم "أولاد عاد وحمود"<sup>٢</sup> وكانوا يظلمون بني إسرائيل. وتساءل عن الفراعنة الذين عرقهم ابن أبي الحديد في شرحه بأنهم "جمع فرعون وهم ملوك مصر"<sup>٣</sup>، وتساءل أخيراً عن أصحاب مدائن الرّسّ، وطلب عليّ من المتلقّي أخذ العبرة من الحوادث التاريخية القديمة.

وأتى التناص التاريخي بسياق الاستفهام بغرض التقرير في شرح عباس الموسوي للاستفهام: "استفهم في الخطبة تقريراً"<sup>٤</sup>، واستعمل أداة الاستفهام "أين" لثلاث فئات من الأقوام البائدة الذين أبادهم ظلمهم وغفلتهم، وبقي ذكرهم في التاريخ عبرة وموعظة لمن لا يعتبر في قول عليّ: "وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً". فيُحيل التناص التاريخي إلى أخذ الحيلة والحذر من خلال استدعاء تناصين تاريخيين: حدث مملكة سليمان بن داود العادلة، وحدث مملكة الظالمين من العمالة والفراعنة وأصحاب مدائن الرّسّ. فقد أتى كلا المملكتين أمر القاهرة الجبار.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٣٥.

<sup>٢</sup> - عباس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٩.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٨١.

<sup>٤</sup> - عباس الموسوي، م. س.، ج ٣، ص ١٨٨.

ويشكل التناصّ الخارجيّ سمة بارزة في الخطب . فلا يفرغ النصّ من حدث تاريخيّ سابق لعصر النصّ الخطابيّ بآلاف السنين إلا ويتداخل حدث آخر في الخطاب نفسه كما رأينا في النصّ السابق . فقد ورد في النصّ عصور متنوعة كعصر النبيّ سليمان وعصر الفراعنة وعصر العمالة . ويرد تاريخ الأمم السالفة في النصوص للعبرة والموعظة غالبًا كقوله:

" ... وَاتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ . وَارْقُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفُضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ <sup>١</sup> .

ويلاحظ التناصّ الداخليّ في النصوص كذلك . فيرد في نصّ من النصوص حدث تاريخيّ متزامن مع عصر النصّ الخطابيّ كقوله :

" ... وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لَيْسَتَكْمُلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ، حَتَّى إِذَا اخْلُوقَ الْأَجَلُ، وَاسْتَرَّاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَسْأَلُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ. وَلَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَغْظِمُوا بِذَلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ. حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعْظَمِهِمْ . حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ. وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ. قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سَنَةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ <sup>٢</sup> .

أرى من الضروريّ لدى تتبّع مثل هذه الأنواع من التناصّ أن يتّسم المُتنبّع بشموليّة الثقافة التاريخيّة ، ليسنّى له سهولة البحث عن الأحداث الداخليّة والخارجيّة . فمحاولة رصدها ليس يسيرًا على المتلقّي ، وتتفاوت تجلياتها في نتاج الأدب (Literature) عامّة بين ظاهريّ وباطنيّ ، فيدعو إلى طول التأمّل في النصّ الأدبيّ ومحاولة استدعاء التراث للكشف عن مواطن تداخل النصوص بعضها ببعض . واشترط محمّد مفتاح على القارئ التمتع بثقافة واسعة ليتمكن من كشف مواطن التناصّ في قوله: " يتّضح أنّ التناصّ ظاهرة لغويّة معقّدة تستعصي على الضبط والتقنين إذ تعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقّي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح" <sup>٣</sup> ، فنلاحظ في النصّ السابق مثلاً أنّه بدأ بالحديث عن غفلة بعض الأقوام والسعي نحو نشر الفتن بين المسلمين في قوله: " وَاسْتَرَّاحَ

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٤.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٩٢.

<sup>٣</sup> - محمّد مفتاح، انفتاح النصّ الروائي، ص ١٣١.

قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ" ومفاجأة الحنف لهم بعد مدة من البلاء في قوله: " حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَإِرْدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ " ، وورود تناصين تاريخيين: الأول تناص قرآني ضمني يُحيل إلى حدث تاريخي في قوله: " حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ " ، ويُحيل إلى قول القرآن " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " <sup>١</sup> . ويشير النص القرآني إلى حادثة الردة التي أعقبت وفاة النبي محمد <sup>٢</sup> . والثاني تناص تاريخي باستدعاء لفظ " آل فرعون " التي دلّت على ممارسة الفراعنة لأشكال البطش والجور وسفك الدماء ، فمارسها قوم بعد وفاة النبي في قوله: " قَدْ مَارُوا فِي الْحَيَرَةِ ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ " .

ومن أساليب التناص التاريخي في نهج البلاغة التلميح <sup>٣</sup> ، وهو أحد أشكال التناص كتناخل القصة والنص الديني في خطبته التي وصف فيها ربّه حتى كأنه يراه:

"...فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلُهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمَرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيَقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُوَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرَأْنَا فَقَرَأْنَا ، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ... " <sup>٤</sup> .

تمازجت قصة معصية آدم ونزوله الأرض في النص ، وأحال التناص التاريخي إلى تناص قرآني في قوله تعالى: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ، فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ "

<sup>١</sup> - آل عمران، ٣ / ١٤٤ .

<sup>٢</sup> - بعد وفاة النبي محمد تنبأ جماعة من العرب ، وارتدت جماعة ، ووضعوا التيجان على رؤوسهم ، وامتنع قوم من دفع الزكاة؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٧ .

<sup>٣</sup> - التلميح: كالإشارة إلى حدث أو اسم أو قصة مشهورة من دون أن يتم شرح هذا الاسم داخل متن النص؛ أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص ٩٩ .

<sup>٤</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٢٩ .

إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ، قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>١</sup>. وقد يتفاعل التناص التاريخي في نص آخر بذكر لفظ "آثار الأولين" دون تفصيل بقصة أو حدث تاريخي كقوله:

"... أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُرَدَجَرٌ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبَصِيرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ. أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ. وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِي لَا يَبْقَوْنَ. أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى، فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَآخَرٌ يُعْزِي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ. وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي"<sup>٢</sup>.

وتتحدث بعض النصوص الخطابية حول قضايا تاريخية متوقعة الحدوث في المستقبل . كتوقع يوم النهروان<sup>٣</sup> . فقد حذر علي قومه من عصيان أمره فتصير الأمر إلى ما لا يُحمد عقباه وفي تعبير محمد عبده أن علياً حذر من: " اللجاج في العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين بعضكم في أثناء هذا النهر وبعضكم بأهضام هذا الغائط ..."<sup>٤</sup> وذلك في المقطع الآتي :

" فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَغَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ . قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ الدَّارُ ، وَاخْتَبَلْتُكُمْ الْمَقْدَارُ ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُتَابِعِينَ ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخَفَاءِ الْهَامِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ، وَلَمْ أَتِ — لَا أَبَا لَكُمْ — بُجْرًا، وَلَا أَرَنْتُ لَكُمْ ضَرًّا"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - البقرة، ٢/ ٣٥ - ٣٨.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٩.

<sup>٣</sup> - وقعة النهروان: بعد انتهاء صفين انصرف علي إلى الكوفة وصارت الخوارج إلى قرية يُقال لها حروراء بينها وبين الكوفة نصف فرسخ ورئيسهم عبدالله بن وهب الراسبي وابن الكوا وشبث بن ربعي ، فجعلوا يقولون: لا حكم إلا لله ، فخرج إليهم علي فناشدهم الله بالرجوع عن أمرهم فلم يستجيبوا له فالتحمت الحرب بينهم مقدار ساعتين من النهار فقتلوا من عند آخرهم ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة ، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة ، وعرفت بوقعة النهروان وكانت سنة تسع وثلاثين من الهجرة؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٢، ١٣٤.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٦٩.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٦٩.

فضلاً عن هذا النوع فإننا نجد نوعاً آخر من التناص التاريخي. فقد يرد حدث النهروان فصفين، ثم يتوقع أحداثاً تاريخية ستحدث للمسلمين مستقبلاً في ظل حكومة بني أمية كقوله:

"أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ... أَلَا وَإِنَّ أَخَوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ ، مُظْلِمَةٌ ... وَإِنَّمُ اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ ... لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ ... ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ ، بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسَفًا ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفُ ... "١.

أشار عليّ في المقطع إلى انتهاء وقعة النهروان في قوله: "فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ" ، ويقول محمد عبده في شرحه لهذه العبارة: "شقتها وقلعتها تمثيل لتغلبه عليها ، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج"٢، وتحولت وقعة النهروان إلى شخص يثير الفتن بين الناس ، فاقطع عليّ عينه لإخماد نار الفتنة وقتل الحرب ، وقال ابن أبي الحديد: "كأنه جعل للفتنة عيناً محدقة يهابها الناس فأقدم هو عليها ففقاً عينها فسكنت بعد حركتها وهيجانها . وهذا من باب الاستعارة ... "٣، وتوقع أياماً شديدة على الإسلام من بعده في ظل حكومة الأمويين فقال: "وَإِنَّمُ اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي" ، وألمح بعدها إلى قدوم شخصية قيادية تهزم المستكبرين ، واعتبر ظهورها فرجاً للناس في قوله: "ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ ، بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسَفًا" ، ولم يفصح المقطع عن اسم هذه الشخصية التاريخية واكتفى بذكر وظيفتها وما ستقوم به من منجزات للأمة الإسلامية .

وحذر عليّ قومه في نص آخر من قدوم زمن الحجاج بن يوسف الثقفي في إحدى خطبه التي بين فيها ظلم الحجاج واستبداده في قوله الذي يصرح باسم الشهرة لهذه الشخصية خلافاً للمقطع السابق:

١- محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ص ١٣٣.

٢- م. ن. ، ص ١٣٣.

٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٣٣.

٤- الحجاج بن يوسف الثقفي (٧١٣/٩٥) توفي في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً ، وكان ظالماً جباراً ، حاصر ابن الزبير بالكعبة ، ورمها بالمنجنيق ، وصار والياً على العراق والمشرق كله عشرين سنة؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٨٢.



"... أما والله ، لَيْسَلَطَنْ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ تَقِيفُ الذِّئَالُ الْمَيْالُ . يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيَذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيَّهَ أَبَا وَذَحَةَ !"<sup>١</sup>.

وموضع التناصّر التاريخي عبارة " لَيْسَلَطَنْ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ تَقِيفُ " ويقصد به الحجاج بن يوسف الثقفي في شرح ابن أبي الحديد: " وغلام تقيف المشار إليه هو الحجاج بن يوسف. والذئال: النائه، وأصله من "ذال" أي تبخر، وجرّ نيله على الأرض . والميال: الظالم . ويأكل خضرتكم : يستأصل أموالكم . ويذيب شحمتكم مثله ؛ وكلتا اللفظتين استعارة<sup>٢</sup>. فلم يفصل تاريخ الحجاج تفصيلاً دقيقاً ، ولكنه يورده أكثر دقة وتفصيلاً في نص آخر فيقول:

"... وَلَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَى بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَأْيَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ . فَإِذَا فَغَرَتْ فَاعِرَتُهُ ، وَاسْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَتَقَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ ، عَضَّتِ الْفَتَّةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتْ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا . وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحَهَا ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوْحَهَا . فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عَقَدَتْ رَأْيَاتُ الْفَتَنِ الْمُعْضِلَةَ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ . هَذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ ، وَيَمَرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ "<sup>٣</sup>.

فصل النصّ الفتن والثورات ضدّ الحكّام تفصيلاً دقيقاً ، وعرض حدثاً تاريخياً تداخل ضمنياً في النصّ الحاضر . فقد حذر من ظهور شخصية في الشام تنشر الفتن فتقوم الثورات المتلاحقة ضدها . وعبر عن الشخصية بلفظ "ضليل" ويحيل إلى أحد الاثنين: معاوية أو الحجاج ، ورجّح ابن أبي الحديد أن تكون هذه الشخصية هي شخصية عبد الملك بن مروان<sup>٤</sup> في قوله: "... الكثير الضلال ، كالشريب والفسيق ونحوهما . وهذا كناية عن عبد الملك بن مروان ، لأنّ هذه الصفات والأمارات فيه أتمّ منها في غيره ، لأنّه قام بالشام حين دعا إلى نفسه ، وهو معنى نعيه ، وفحصت

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٦٣.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١٩٠.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٤١.

<sup>٤</sup> - عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة ، وجدّه جميعاً طريدا رسول الله ، وكانت البيعة له بالشام في اليوم الذي توفي فيه مروان وذلك في شهر رمضان سنة ست وخمسين . نُقِشت في أيامه الدراهم والذنانير العربية . توفي للنصف من شوال سنة ست وثمانين (٧٠٥ / ٨٦) وكانت مدّة ولايته إحدى وعشرين سنة من يومه الذي بويع فيه بالشام؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨ ، ١٩٦.



راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه إلى العراق وقتل مصعباً وتارة لما استخلف الأمراء على الكوفة كبشر بن مروان<sup>١</sup> أخيه وغيره ، حتى انتهى الأمر إلى الحجاج وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك وتقل وطأته ، وحينئذ صعب الأمر جداً وتفاقت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن محمد الأشعث<sup>٢</sup> فلما كمل أمر عبد الملك وهو معنى "أينع زرعه" هلك ، وعقدت رايات الفتن المعضلة من بعده كحروب أولاده مع بني المهلب وكحروبهم مع زيد بن علي<sup>٣</sup> وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر<sup>٤</sup> وخالد القسري<sup>٥</sup> وعمر بن هبيرة<sup>٦</sup> وغيرهم. وما جرى فيها من الظلم واستئصال

<sup>١</sup> - بشر بن مروان بن الحكم أخو عبد الملك بن مروان ولي الكوفة زمن أبيه وتوفي في زمانه ولما توفي بشر بن مروان كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وهو بالمدينة بوفاته فأقبل في اثني عشر ركاباً على النجائب وولي الكوفة من بعده، كان بشر سمحاً جواداً ، وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلابي يوم مرج راهط ، وكان سبب موت بشر قرحة في يمينه فما أمسى حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ، ثم مات بالبصرة سنة أربع وسبعين (٧١٢ / ٩٤)، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٢، ج ٦، ص ٣٨٢.

<sup>٢</sup> - عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي: خلع عبد الملك بن مروان ، وفي سنة ثلاث وثمانين هـ هزم ابن الأشعث في وقعة دير الجماجم على يد مجموعة من القراء أمثال عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه. كما ولاه الحجاج سجستان فخرج عليه وقاتل الحجاج مدة طويلة ، ثم انهزم ولجأ إلى أرتبيل ملك الترك فغدر به أرتبيل وسلمه إلى الحجاج وذلك بعد وقعة مسكن التي دارت بينه وبين الحجاج وهزم فيها ابن الأشعث وقتل سنة خمس وثمانين من الهجرة . ويذكر ابن كثير أنه قتل سنة أربع وثمانين (٧٠٣ / ٨٤)، وحز رأسه وأمر الحجاج أن يُطاف برأسه العراق والشام ومصر ، ثم دفن رأسه بمصر وجثته بالرخخ وهي مدينة من نواحي كابل؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٥٨؛ أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي، الأساب، ج ١، ص ٤٣٤؛ ابن كثير، م. س.، مج ٢، ج ٦، ص ٤٢٢.

<sup>٣</sup> - زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان ذا علم وجلالة وصلاح ، عاش نبياً وأربعين سنة ، وقُتل في الثاني من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة (٧٢٢ / ٧٣٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٦٣.

<sup>٤</sup> - يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي أمير العراقيين وخراسان لهشام بن عبد الملك، ثم أقره الوليد بن يزيد، وكان جباراً. ولي اليمن سنة ست ومائة، فما زال عليها حتى جاء التقليد بولاية العراق فاستخلف ابنه الصلت وسار إلى العراق. وضع خالد القسري تحت العذاب حتى بعث يزيد بن خالد القسري مولاه أبا الأسد ودخل السجن وخلّصه منه. ضربت عنق يوسف بن عمر سنة سبع وعشرين ومائة (٧٢٧ / ٧٤٤) وعاش بذلك أزيد من ستين سنة؛ الذهبي، م. ن.، ج ٤، ص ٥٩٧-٥٩٨.

<sup>٥</sup> - هو أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري أمير العراقيين لهشام . وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم لسليمان وعذبه يوسف بن عمر الثقفي وسجنه بضعة عشر شهراً حتى قُتل في المحرم سنة ست وعشرين ومائة (٧٢٦ / ٧٤٣)؛ الذهبي، م. ن.، ج ٤، ص ٥٨٥، ٥٩٠.

<sup>٦</sup> - عمر بن هبيرة الفزاري ولّاه يزيد بن عبد الملك العراق وأضيفت إليه خراسان ، وفي سنة سبع وتسعين غزا ابن هبيرة في البحر أرض الروم وقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير الأندلسي وقدم برأسه على سليمان بن حبيب الفهري ، وفي سنة مائة شخص إلى الجزيرة عاملاً لعمر بن عبد العزيز . عزله هشام بن عبد الملك عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق سنة

الأموال وذهاب النفوس . وقد قيل : إنه كنى عن معاوية وما حدث في أيامه من الفتن وما حدث بعده من فتنة يزيد<sup>١</sup> وعبيد الله بن زياد<sup>٢</sup> وواقعة الحسين، والأول أرجح، لأن معاوية في أيام أمير المؤمنين كان قد نعق بالشام ودعاهم إلى نفسه والكلام يدل على إنسان ينعق فيما بعد ألا تراه يقول: لكأنني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام!<sup>٣</sup> فيحيل التناص التاريخي إلى مدى تأزم الأحداث واشتداد الأمر على المسلمين في قوله: "عَصَتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا".

ويظهر التفاعل التناصي بالأمم والحضارات القديمة "كقوم عاد" الذين ذكرهم القرآن في قوله: "فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُوَّةِ أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لَنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ"<sup>٤</sup>. فقد تفاعل تاريخ قوم عاد في أحد النصوص التي ذم فيها الدنيا وطالب بعدم الركون إليها أو الاطمئنان لها فقال:

"أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا ، وَأَبْقَى أَثَارًا ، وَأَبْعَدَ آمَالًا ، وَأَعَدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْنَفَ جُنُودًا . تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ آثَارٍ . ثُمَّ ظَنَعُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً . بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ ، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعُضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَفَرَتْهُمْ لِلْمَنَاحِرِ ، وَوَطَّنَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمُ رَيْبَ الْمُنُونِ . فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَتَكَرَّهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا ، حِينَ ظَنَعُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ . هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعَقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ . أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ أَمْ عَلَيْهَا

خمس ومائة وولى ذلك كله خالد القسري؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٧١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٦، ٥٩٣؛ الطبري م. ن.، ج ٦، ص ٢٢.

<sup>١</sup> يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني ملوك بني أمية ، أمه ميسون بنت بحدل الكلبي ، ملك في مستهل رجب سنة ستين للهجرة وتوفي سنة أربع وستين (٦٤ / ٦٨٣) للهجرة ، ودفن بدمشق؛ البعقوبي، تاريخ البعقوبي، ج ٢، ص ١٦٨، ١٧٦.

<sup>٢</sup> عبيد الله بن زياد بن أبيه أمير العراق يكنى أبو حفص ، ولي البصرة سنة خمس وخمسين من الهجرة وله اثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان فكان أول عربي يتولى شؤونها ، أمه مرجانة من بنات ملوك الفرس، وقد جرت لعبيد الله خطوب وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين بن علي بن أبي طالب، قُتل ابن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين (٦٧ / ٦٨٦)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٦٣٩، ٦٤٢.

<sup>٣</sup> ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٦٩.

<sup>٤</sup> فصلك، ٤١ / ١٥ - ١٦.

تَحْرِصُونَ ؟ فَبَسَّتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَنْهَمَهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ، فَأَعْلَمُوا — وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ — بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا . وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّقِيحِ أَجْنَانٌ ...<sup>١</sup>.

ويُحيل التناصُّ التاريخيَّ في قول عليّ: "وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً" إلى قول القرآن الكريم " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً"<sup>٢</sup>.

ومن أشكال التناصُّ التاريخيَّ المستقبليَّ الإيحاء التحذيريَّ لما ستؤول إليه الأمور مستقبلاً. فقد حذر عليّ الناس من حوادث مستقبلية شبيهة بأصحاب قصة أيادي سبأ في قوله:

" ... أَتْلُوا عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعْظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحْتَكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِيَ عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أُرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَأَ ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ..."<sup>٣</sup>.

يُعدُّ الحدث التاريخيَّ مضرب المثل العربيَّ فيقول الميداني: "ذهبوا أيادي سبأ ، وتفرَّقوا أيدي سبأ أي تفرَّقوا تفرقاً لا اجتماع لهم معه ..."<sup>٤</sup>، وأحال تناصُّ قصة سبأ التاريخية إلى تناصُّ قرآنيَّ في قوله تعالى: " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ "<sup>٥</sup> ، ويقول الطبري حول هذه الآية: " لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بيّنة ، وحجة واضحة ، على أنه لا ربَّ لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها ..."<sup>٦</sup>، فقابلوا تلك النعم بالإعراض والجحود فأَتَاهُمْ غَضَبُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "...فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ..."<sup>٧</sup> فتفرَّقوا وصاروا مضرب المثل عبر التاريخ . فأحدث التناصُّ التاريخيَّ أثراً تفسيريّاً (Interpretation) في النصِّ ، ففسَّر مدى التفرُّق الحاصل في الأمة الإسلامية .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥٧.

<sup>٢</sup> - فصّلت، ١٥ / ٤١.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٣٧.

<sup>٤</sup> - الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٠١.

<sup>٥</sup> - سبأ، ١٥ / ٣٤.

<sup>٦</sup> - الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ٩٢.

<sup>٧</sup> - سبأ، ١٦ / ٣٤.

ومن أشكال التناص التاريخي وصف المدن والعواصم القديمة . فقد وصف عليّ الطبيعة الجغرافية لمكة حين أمر الله ببناء هيكلها، واتخذها موعظة وعبرة ودرس قيم لكل متفكر في مشيئة الرب في قوله:

" أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَصُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا . ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوَعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدْرًا ، وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشْنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمَثَةٍ ، وَعُيُونٍ وَشَلَّةٍ ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ<sup>١</sup> .

وأحال التناص التاريخي إلى آية قرآنية وصفت وعورة مكة في قوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل: " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ "، فوصف النبي إبراهيم وادي مكة بأرض جرداء خالية من الزرع<sup>٢</sup>، ويحيل التناص التاريخي في النص إلى بداية نشأة البيت الحرام<sup>٣</sup> ووصف مقره الوعر في قوله: " ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوَعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا " .

ونستنتج أن التناص التاريخي تفاعل في نصوص النهج بأشكال ثلاثة: تناص تاريخي يحكي زمن الأمم الماضية، وتناص تاريخي يحكي زمنه مع قومه، وتناص تاريخي يصور الزمن القادم . وبقي أن نتعرف في ختام هذا الباب على آليات التفاعل النصي في التناص الضمني .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٨.

<sup>٢</sup> - إبراهيم، ٣٧ / ١٤.

<sup>٣</sup> - أوحى الله إلى نبيه إبراهيم أن يأتي مكة وليس يومئذ بيت ، فذهب بهاجر وابنها إلى مكة فوضعهما ، فقالت له هاجر : إلى من تركتنا ها هنا؟ قال: أكلكما إلى الله فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال : نعم ، قالت : إذا لا يضيّعنا . ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال: " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ... "؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ١٨٧-١٨٨؛ والآية من سورة إبراهيم، ٣٧ / ١٤.

<sup>٤</sup> - أمر الله تعالى نبيه إبراهيم أن يبني الكعبة ، ويرفع قواعدها ، ويؤذن في الناس بالحج ، ويريهم مناسكهم ، فبنى إبراهيم وإسماعيل القواعد حتى انتهى. وقال القرآن: " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ... "؛ الطبري؛ م. س.، ج ١، ص ١٨٤؛ والآية من سورة البقرة، ١٢٧ / ٢.

## ب- آليات التفاعل النصي في التناص الضمني

إنَّ للتناصَّ الضمنيَّ آلياتَ متنوعة تتفاعل في النصِّ الحاضر. وسنقوم بدراسة أربعة من تلك الآليات وستكون متسلسلة كالآتي: التكرار، والتمطيط بالقلب، والتناصَّ الداخلي المعاصر للنصِّ، والرمز .

### ١- التكرار<sup>١</sup>

ونقصد بالتكرار استخدام كلمة في نصٍّ واحد أكثر من مرة ، ويكون للكلمة دلالة تناصَّ ضمني . ويُعدَّ التكرار من أهمَّ آليات التناصَّ عند الباحثين . فقد عبَّر محمد مفتاح أنَّ هذه الآلية "تقوم على مستوى الأصوات والكلمات والصيغ متجلياً في التراكم أو في التباين ..."<sup>٢</sup>، وأمَّا أحمد ناهم فلم يُقصر معنى التكرار على المفردة ، بل تعدَّاه إلى تكرار المعاني فقال: "قد يتجاوز التكرار الصيغ اللغوية ليكون تكراراً في المعاني المتمثلة، ولكن بصيغ مختلفة..."<sup>٣</sup>. ويمكن من خلال ذلك اكتشاف نماذج لغوية متنوعة في الخطب كتكرار "حمد" في قوله:

" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي . حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدَ لَكَ ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَنْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجِبُ عَنْكَ ، وَلَا يُقْصِرُ دُونَكَ . حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ: حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَتَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَتَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ "٤.

نلاحظ في النصِّ تكرار لفظ "حمد" بشكلين: "الحمد"، و"حمداً" ، وتفاعل النصِّ مع نصِّ قرآنيٍّ من سورة البقرة " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ... "° وذلك في

١- انظر تعريف التكرار ص ٢٦.

٢- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص ١٢٦.

٣- أحمد ناهم، التناصُّ في شعر الرواد، ص ٨٦.

٤- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٤.

°- البقرة، ٢/ ٢٥٥.

قول علي: " لا تَأْخُذْ سِنَةً وَلَا نَوْمًا "، وتفاعل تناص قرآني من سورة الرحمن " يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ "¹ وذلك في قول علي: " وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ".

وبدل تكرار لفظ "الحمد" على ضرورة ديمومة الشكر واستمراره ويؤكد قوله " حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَّةً " أي مواصلة العبد للحمد والشكر على كل النعم معلومة كانت أم مجهولة وأهمها أنه قَبِيحٌ لا يترك عبادته ولا يكلهم إلى غيره ، ولا يغفل عنهم حتى بمقدار "السنة"² . وتحيل كلمة "الحمد" إلى تناص قرآني ضمنى في قوله تعالى : " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "³، أي الدعوة إلى الإكثار من حمده وشكره .

ويحت علي في النص نفسه على الإكثار من حمد الله تعالى مبيّنًا عجز المخلوق من إحصاء نعم الله وإحسانه في قوله:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِثْلَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يَذْرُكُهُ بَعْدَ الْهِمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلَا نَعَتْ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ "⁴.

تفاعل التناص القرآني: "وَأَنَّا كُنتُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ "⁵. فمهما أحصى العبد النعم الإلهية فلن يصل إلى الرقم الدقيق لنعمه تعالى، ولن يَبْلُغَ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ مِثْلَهُ ووصف نعمه وذلك في قوله: " لَا يَبْلُغُ مِثْلَهُ الْقَائِلُونَ " ، وعرف ابن أبي الحديد "المدحة" فقال: "والمدحة: هيئة المدح، كالركبة هيئة الركوب، والجلسة هيئة الجلوس... "⁶.

ويكرر لفظ " عباد الله " في النص الذي حذر فيه من يوم يحول الطفل الصغير إلى كهل كبير مستدعيًا النص القرآني: " فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا "⁷، وذلك في قوله :

¹- الرحمن، ٥٥ / ٤١.

²- "لا تأخذه سنة ولا نوم" أي لا يأخذه نعاس ولا نوم . وتأويله: أنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٤، ص ٣٨٩٣؛ والآية من سورة البقرة، ٢ / ٢٥٥.

³- الفاتحة، ١ / ٢.

⁴- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٢.

⁵- إبراهيم، ١٤ / ٣٤.

⁶- ابن أبي الحديد، م. س.، ج ١، ص ٥٣.

⁷- المزمل، ٧٣ / ١٧.



"عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طَرِيقَهُ ، فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ! فَتَزَوُّوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ . قَدْ ذَلَّلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَأَمَرْتُمْ بِالظُّعْنِ ، وَحَنَنْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبَ وَقُوفٍ ، لَا يَذْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ ، أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا مَنْ خَلَقَ لِلْآخِرَةِ ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلَّبُهُ ، وَتَبَقَى عَلَيْهِ تَبَعُهُ وَحِسَابُهُ ! عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ ، وَلَا فِيَمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ . عِبَادَ اللَّهِ ، احْذَرُوا يَوْمًا تَقْصُصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ . اْعَلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَعَيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحِفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرْكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ ذُو رِتَاجٍ ، وَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ "¹.

افتتح عليّ كلامه في هذا المقطع بالتنبيه بقوله: "اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ" مكرراً لفظ "عباد الله" أكثر من ثلاث مرات وأكثر من خمس مرات في الخطاب كله ، ليؤكد على أهمية الأخذ بتبنياته . فقد حذر المتقين من يوم القيامة الذي من صفاته - كما هو ظاهر في النص - أنه يجعل الطفل كهلاً على سبيل المجاز لا الحقيقة في قوله: "وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ" ، لبيان شدة الموقف وهيبته.

## ٢- التمطيط بالقلب²

يعدّ التمطيط بالقلب آلية من آليات التناصّ، ويطلق عليها الباحثون اسم "...امتصاص النصّ المغيب من خلال انزياح نسبيّ عن صيغته الأصلية..."³، ويسميه بعضهم "التمطيط بالقلب أي يعمل على إعادة تقليب أوضاع كلمات مختارة بصورة مختلفة لإنتاج معنى ما . وقد يحصل هذا الأمر على صعيد جذر كلمة أو كلمات في النصّ"⁴ من دون اختلال في معناه أو بنيته العامة .

وتلاحظ هذه الآلية في نصّ عليّ الخطابيّ الذي يُذكر المتلقّي فيه بالضلال الذي كان يعيشه قبل بعث النبيّ محمّد . فقد مثّل بعثه للبشريّة بالنور الساطع والسبيل إلى الهداية ، فوصف محمّد

¹- محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٢.

²- انظر تعريف التمطيط بالقلب ص ٢٦.

³- أحمد فرشوخ، جماليّة النصّ الروائي، ص ١١٤.

⁴- أحمد ناهم، التناصّ في شعر الرواد، ص ٧٩.



عبده الناس أنهم " في ظلام حالك وهو ظلام الشرك والضلال فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا . والضمير لمحمد والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته<sup>١</sup> ، ويتفاعل تناصّ ضمنيّ مقلوب في قوله :

" بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ ، وَتَسَمَّيْتُمْ الْعُلَيَّاءَ ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ ، وَفَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ ، كَيْفَ يَرَاعِي النُّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ ؟ رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ . مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِیْهُونَ . الْيَوْمَ أَنْطَقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ ! عَزَبَ رَأْيِي أَمْرِيءَ تَخَلَّفَ عَنِّي ، مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرَيْتُهُ ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ ، أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجَهَّالِ وَدَوَلِ الضَّلَالِ ! الْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، مَنْ وَثِقَ بِمَا لَمْ يَظْمَأْ ! " <sup>٢</sup>.

لم يكسر عليّ حاجز القداسة في النصّ الديني ، بل أعاده بأسلوبه . فأورد النصّ القرآنيّ الضمّنيّ في قوله: " لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ " ، أمّا النصّ القرآنيّ الغائب قوله تعالى: "فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى" <sup>٣</sup> فلم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل أوجس خيفة من غلبة الجهّال وانتشار دول الضلال في تعبير عليّ بن أبي طالب وأوضح محمد عبده ذلك فقال: " يتأسى بموسى إذ رموه بالخيفة ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون . فإنه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من نبيّ الله موسى ، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى: " فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى " . وأفضل تبرئة لنبيّ الله من الشكّ في أمره "٤ ، فنلاحظ التغيّر الذي حدث للتناصّ القرآنيّ بدخول حرف " لم " في النصّ الحاضر ، فقلب معنى النصّ القرآنيّ الغائب ليتوافق مع مضمون النصّ الخطابيّ (Text Meaning). ويطلق بعض الباحثين على هذه الآلية اسمًا آخر كأحمد ناهم الذي يسميه الاجترار<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٦.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٣٧.

<sup>٣</sup> - طه، ٦٧ / ٢٠.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٧؛ والآية من سورة طه، ٦٧ / ٢٠.

<sup>٥</sup> - انظر تعريف الاجترار ص ٨٩.

### ٣-التناص الداخلي المعاصر للنص الحاضر<sup>١</sup>

وهو دخول نص غائب لكاتب آخر عاصره صاحب النص الحاضر كالتناص الداخلي لزوجته فاطمة الزهراء<sup>٢</sup> . فقد عاصرها علي فترة من الزمن وذلك في قول علي:

"فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَّةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءٍ أَزَلٍ ، وَإِطْبَاقٍ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتِ مَوْعُودَةٍ ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ . فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا... "٣ .

وتوافق هذا الخطاب مع خطاب فاطمة الزهراء للعرب وذلك في خطابها الذي ألقته أمام المسلمين بعد وفاة أبيها رسول الله فقالت:

"... وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مَذْقَةَ الشَّارِبِ وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ ، وَقَبْسَةَ الْعَجْلَانِ ، وَمَوْطِئِ الْأَقْدَامِ ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ ، أَذْلَةً خَاشِعِينَ ، تَخَافُونَ أَنْ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، فَأَنْقَذَكُمْ اللَّهُ بِرَسُولِهِ بَعْدَ اللَّتَا وَالَّتِي... "٤ .

استعرضت الزهراء الأوضاع المعيشية المتردية التي عاشها العرب قبل البعثة ، فخلصهم الله تعالى من تلك الحياة السيئة التي ملؤها الخوف من الفرس والروم "تَخَافُونَ أَنْ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ" ، فبعث إليهم نبيه محمداً منقذ البشرية فحول تلك الحياة المريرة إلى حياة آمنة في قولها: "...وَأَنْتُمْ فِي بُلْهَنِيَّةٍ وَادِعُونَ آمِنُونَ..." ، فتشابه وصف علي لأحوال العرب المضطربة في الجاهلية مع وصف زوجته فاطمة الزهراء.

<sup>١</sup> - انظر تعريفه ص ٢٦.

<sup>٢</sup> - فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكنيتها أم الحسين . مولدها قبل المبعث بقليل ، وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة من سنة اثنتين بعد بدر ، ودخل بها بعد وقعة أحد ، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً ولم تكلوم وزينب ، وكانت صابرة دينة خيرة قانعة شاكرة لله . توفيت بعد وفاة أبيها بسبعين يوماً؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٦١، ٦٧.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٢.

<sup>٤</sup> - أحمد بن أبي طاهر طيفور، بلاغات النساء، ص ٣١.

ويتشابه استدعاء عليٍّ للمظاهر الاجتماعية (Social Recall) التي عاشها العرب في الجاهلية مع نصِّ غائب ألقاه جعفر بن أبي طالب<sup>١</sup> أمام ملك الحبشة<sup>٢</sup> حين أمرهم الرسول بالهجرة إليه<sup>٣</sup>، فبين جعفر في خطابه بعض مظاهر الحياة فقال للنجاشي:

"كُنَّا قَوْمًا، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مَنَا الضَّعِيفُ . فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا..."<sup>٤</sup>.

تشابه مضمون نصِّ عليٍّ بن أبي طالب مع مضمون نصِّ جعفر الطيار ، فأطلقا عليه تناصًّا داخليًّا لتوافق النصين مضمونًا ، وتزامنها زمانًا. ويُسمَّى أحمد ناهم هذه الآلية التناصُّ المرحلي<sup>٥</sup>.

#### ٤-الرمز<sup>٦</sup>

من الملاحظ أنَّ بعض الأسماء في النصوص الخطابية لها دلالات رمزية كاسم (محمَّد) ، أو لفظ (الشيطان) . وسنعرض المعاني التي يرمز إليها اسم (محمَّد النبي) كشخصية دينية ، ولفظ (الشيطان) الذي يُحيل إلى شخصية معارضة لعليٍّ .

<sup>١</sup> - أبو عبد الله ابن عمِّ النبي وهو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أخو عليٍّ ابن أبي طالب . هاجر الهجرتين وسرَّ رسول الله بقدمه من الحبشة وحزن لوفاته. فقد أقره رسول الله على جيش مؤتة فاستشهد ، فعاش بضعةً وثلاثين سنة؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٣٦، ٣٣٩.

<sup>٢</sup> - ملك الحبشة: هو أصحمة النجاشي كان ممَّن حسن إسلامه ولم يُهاجر ولا له رواية . وقد توفي في حياة النبي محمد عليه السلام فصلَّى عليه بالناس صلاة الغائب ، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ولم يكن عنده من يصلِّي عليه من المسلمين . قالت أم سلمة زوجة النبي محمد: لما نزلت أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لانؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه؛ الذهبي، م. ن.، ج٢، ص٤٣٠-٤٣١.

<sup>٣</sup> - لما رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب قال لهم: " ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنَّه يُحسن الجوار" فخرجوا وفيهم جعفر بن أبي طالب ، فأرسلت قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي يسألوه أن يبعث إليهم بمن صار إليه من أصحاب رسول الله، فأرسل النجاشي إلى جعفر فخطب هذه الخطبة؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج٢، ١٩-٢٠.

<sup>٤</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ٣٨٥.

<sup>٥</sup> - التناصُّ المرحلي: وهو التناصُّ الحاصل بين نصوص جيل واحد ومرحلة زمنية واحدة؛ أحمد ناهم، التناصُّ في شعر الرواد، ص٦٦.

<sup>٦</sup> - انظر تعريف الرمز ص٢٦.

تطراً على معنى الشخصية بعض التحولات كشخصية " النبي محمد " في النصوص . فقد لاحظنا عليها تغييرات مختلفة في المعنى كقوله:

٥ - ١ - "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ. مُنِخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدْرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْقُونَ دِمَاعَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامَ فِيكُمْ مَنْصُوبَةً، وَالْآثَامَ بِكُمْ مَعْصُوبَةً فَظَنَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَيَّعْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرَبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى اخْذِ الْكُظْمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ. وَلَمْ يُبَايَعْ حَتَّى شَرِطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى النِّيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْمُبَايَعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَأَعَدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَهَا ظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، وَاسْتَشْعَرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى لِلنَّصْرِ"<sup>١</sup>.

٥ - ٢ - "... فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً ، وَلَا وَحْيًا . فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ . يَسُوقُهُمْ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَغَهُمْ مَنَاجَتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَاطْمَأْنَنْتْ صِفَاتُهُمْ . أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَائِيرِهَا ، مَا عَجَزْتُ ، وَلَا جَبَنْتُ ، وَإِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا، فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ. مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ، وَلَأَقَاتِلَنَّهُمْ مَقْتُونِينَ ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ!"<sup>٢</sup>.

٥ - ٣ - " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ ، وَإِنَّ الْمُبْدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ مِنَ الْمُهْلَكَاتِ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا ، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مَلُومَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا. وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ . إِنْ هُوَ لَا قَدْ تَمَالَوْا عَلَى سَخَطَةِ إِمَارَتِي، وَسَاصِبِرُوا مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُّوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٥٦.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٤٤.

هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه ، فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها . ولكم علينا العمل بكتاب الله وسيرة رسوله ، والقيام بحقه ، والنّش لسنته <sup>١</sup> .

٥ - ٤ - " حتّى بعث الله محمّداً ، شهيداً وبشيراً ونذيراً خير البريّة طِفْلاً ، وأنجبها كهلاً ، أظهر المطهرين شيمه ، وأجود المستمطرين ديمه . فما احلّولت لكم الدنيا في لذتها ، ولا تمكّنتم من رضاع أخلافها إلا من بعد ما صادقتموها جائلاً خطامها ، قلقاً وضيقها . قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخصود ، وحلالها بعيداً غير موجود وصادقتموها والله ظلاً ممّوداً إلى أجل معذود . فالأرض لكم شاعرة ، وأيديكم فيها مبسوطة ، وأيدي القادة عنكم مكفوفة ، وسيوفكم عليهم مسلّطة ، وسيوفهم عنكم مقبوضة . ألا إن لكلّ دم ثائراً ، وكلّ حقّ طالباً ، وإنّ الثائر في دماننا كالحاكم في حقّ نفسه . وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ، ولا يقوته من هرب . فأقسم بالله يا بني أمية عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم . ألا وإنّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرقه . ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعي التذكير وقيله ... <sup>٢</sup> .

٥ - ٥ - " الحمد لله النّاشر في الخلق فضله ، والباسط فيهم بالجود يده ، نحمّده في جميع أموره ، ونستعينه على رعاية حقوقه ، ونشهد أن لا إله غيره ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، أرسله بأمره صادقاً ، وبذكره ناطقاً ، فأدى أميناً ، ومضى رشيداً ، وخلف فينا راية الحق ، من تقدّمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لزمها لحق ، دليلها مكيب الكلام ، بطيء القيام ، سريع إذا قام ، فإذا أنتم أنتم له رقبكم ، وأشرتم إليه بأصابعكم ، جاءه الموت فذهب به ، فلبثتم بعده ما شاء الله حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ نشركم ، فلا تطمعوا في غير مقبل ، ولا تياسوا من مذبّر ، فإنّ المذبّر عسى أن تزلّ به إحدى قائمته ، وتثبت الأخرى ، فترجعاً حتّى تثبتا جميعاً . ألا إنّ مثل آل محمّد ، كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم ، فكانكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع ، وأتاكم ما كنتم تأملون <sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٠.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٤٤.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ١٣٩.

٥-٦- "بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ  
الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَرْزَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِّنَ  
الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِّنَ الْجَهْلِ . فَبَالَغَ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى  
الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ"<sup>١</sup>.

٥-٧- "وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي  
غَمْرَةٍ ، وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةُ الْحَيْنِ ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ  
الرَّيْنِ"<sup>٢</sup>.

٥-٨- "أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ، وَأُسْتَعِينُهُ عَلَى وَطَائِفِ حُقُوقِهِ ، عَزِيزَ  
الْجُنْدِ ، عَظِيمَ الْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ  
أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنْ دِينِهِ ، لَا يَنْتَبِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالتَّمَّاسُ لِإِطْفَاءِ  
نُورِهِ"<sup>٣</sup>.

ينتج عن تناسُّ شخصية النبي محمد دلالات متنوعة في نصوص نهج البلاغة ، فيُعدُّ اسمه  
أكثر حضوراً عن بقية شخصيات الأنبياء . فقد حوّل الأدباء شخصية محمد النبي رمزاً في  
قصائدهم الشعرية . فقد أشار علي عشرين زائداً أن اسم النبي محمد له دلالة في "قصائد شعرائنا  
المحدثين وأكثر هذه الدلالات شيوعاً هي استخدامها رمزاً شاملاً للإنسان العربي سواء في انتصاره  
أو في عذابه ، فقصيدة "في المغرب العربي" للسيّاب يصوّر الشاعر من خلال شخصية محمد عليه  
السلام انطفاء مجد الإنسان العربي المعاصر بصورة مؤذنة :

كمؤذنة تردّد فوقها اسم الله

وخط اسم له فيها،

وكان محمد نقشاً على آجرة خضراء

يزهو في أعاليها

فأمسى تأكل الغبراء

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٥.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٧٩.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ج ١٣، ص ٧٦.

والنيران، من معناه،

... وتنزف منه، دون دم،

جراحٌ دونما ألم

فقد مات<sup>١</sup>.

ورد اسم النبي محمد في بعض الخطب على أنه رمز لصفة الإخلاص في العمل الرسالي ، فمن خلال تناص محمد النبي الذي وُصف بالأمين في قول علي " فَأَدَّى أَمِيناً " تتضح صفة التفاني في العمل بإخلاص وأمانة . وبرزت هذه الصفة من خلال تناص شخصية النبي محمد في المقطع (٤).

ينبّه المقطع (٤) بني أمية إلى ضرورة الإخلاص في الحكم باستدعاء صفات متعددة في مقطع واحد ، فرمز بالنبي أنه خيرهم طفلاً وأنجبهم كهلاً. وتحيل هذه الصفات إلى صفة الإخلاص الحاضرة ضمنياً في تناص محمد ، وأن يكون بنو أمية أمناء للرسالة الإلهية ، فيهددهم بزوال ملكهم إذا بقوا على منهجهم التعسفي ، فيقسم قائلًا: " فَأَقْسِمُ بِاللّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَذُوكُمْ !".

ودعا المقطع (٥) إلى التمسك بمنهج النبي الذي سار عليه في قول: " وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ " ، ثم يُحيل المقطع المتلقي إلى ضرورة الاقتداء بأهل بيته الذين لم تخرج صفاتهم عن صفات النبي محمد " أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ " فتتحوّل شخصية محمد إلى صفة الهادي والمرشد .

ويرمز بشخصية النبي محمد في المقطع (١) و(٢) إلى المصلح لأحوال العرب المتردية في

قوله:

"وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ . مُنِخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُسْنٍ ، وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ " فبعد أن كانوا أذلاء حولهم إلى أعزاء ، وبعد تلك المعيشة الاجتماعية التي ملأها قطيعة الرحم تحولت حياتهم بجهوده الإصلاحية المثمرة إلى

<sup>١</sup> - علي عسري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص ٧٨؛ والأبيات الشعرية من ديوان بدر شاكر السياب، ج ١، ص ٣٩٥.



حياة ملوها المحبة والترابط والإخاء " فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ . يَسُوقُهُمْ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنَاجِزَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَاطْمَأَنَّتْ صِفَاتُهُمْ " .

ويقوم المقطع (٨) بتحويل شخصية محمد إلى رمز بطولي يدعو الأبطال المرابطين إلى الاقتداء برمز البطولة والإباء . فقد تفاعلت الشخصية في النص لتكون ملهمة الأبطال ، تشد على عزمهم لمواصلة المسيرة الجهادية ضد الاستكبار القرشي وذلك في قول علي : " وَقَاهِرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ ، لَا يَنْتَبِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالنِّمَاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ " . فلم يذعن النبي محمد إلى مطالب الظالمين ومحاولات المستكبرين من قريش ولم يقبل المساومة والإغراء بالأموال والقصور<sup>١</sup> . فتحيل الشخصية إلى رمز الإباء والصمود أمام صناديد قريش في قول علي : " لَا يَنْتَبِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالنِّمَاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ " .

ونلاحظ تفاعل الفعل " بعث " وتناسخ شخصية محمد النبي معاً . فقد ورد الفعل " بعث " كالاتي : " بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ " ، " بَعَثَ مُحَمَّدًا ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا " ، " بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا " ، " بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا " ، " بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَالًّا " ، " ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضُرُّونَ فِي غَمْرَةٍ " .

ونستنتج الدلالة الإيحائية من استدعاء الفعل " بَعَثَ " من سياق الكلام . فقد أتى بعد الفعل "بعث" تذييل يفسر دلالة البعث . فالأولى (١) لينذر العالم كافة ، والثاني ليخرجهم من الجهل والظلمة إلى النور ، والثالثة في (٣) كذلك فقد نُعت النبي بالهادي للبشرية ، ونُعت بثلاث صفات في (٤) ، أما (٥) و (٦) فإنَّ علَّة بعثه هي إرشاد الناس وإخراجهم من الضلال والحيرة والتخبط .

وورث شخصية الشيطان في نصوص نهج البلاغة . فقد رمزت إلى الشخصية الظالمة المستبدة فيقول ناصر مكارم الشيرازي : " والمراد بحزب الشيطان - في الخطبة - أولئك الذين

<sup>١</sup> - اجتمع عليّ قريش يسامون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له : " يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنُعذرك فإياك ، وإنا لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ؛ لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفترقت الجماعة ... فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سؤدناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رتيّاً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي - فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطبّ حتى نبرئك منه ، أو نُعذرك فإياك . فقال رسول الله : ما بي ما تقولون ، وما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً...؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

تسلطوا على بيت مال المسلمين إبان حكومة عثمان وتولوا بعض المناصب الخطيرة...<sup>١</sup>، كخطاب علي الذي ألقاه حين بلغه خبر الناكثين<sup>٢</sup> ببيعته مستدعيًا الشيطان فيها:

"ألا وإن الشيطان قد نمر حزبه واستجلب جلبه . ليعود الجور إلى أوطانه . ويرجع الباطل إلى نصابه . والله ما أنكروا علي مكرًا ، ولا جعلوا بيني وبينهم نصيفًا وإنهم ليطلبون حقًا هم تركوه . ودما هم سفكوه . فلئن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه ، ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا عندهم . وإن أعظم حجتهم لعلی أنفسهم يرتضعون أمّا قد فطمت ، ويحيون بدعة قد أميتت يا خيبة الداعي ! من دعا وإلام أجيب وإنني لراض بحجة الله عليهم ، وعلمه فيهم . فإن أبوا أعطيتهم حد السيف . وكفى به شافيًا من الباطل ، وناصرًا للحق . ومن العجب بعثهم إلي أن ابرز للطعان . وأن اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب ، وإنني لعلی يقين من ربي . وغير شبهة من ديني"<sup>٣</sup>.

يصور النص الشيطان قائدًا لجيش كبير أقبل لنشر الفساد والجور ، فينتقل إلى حدث تاريخي يُحيل إلى وقعة حرب الجمل التي كان سببها الشيطان ويؤكد قول عباس الموسوي: "الشيطان قائد كل فرقة ضالة وهو الدافع لكل حزب منحرف إلى الانحراف وما كانت معركة إلا والشيطان وراء الفرقة المعتدية الظالمة"<sup>٤</sup>. فقد أعد الشيطان العدة وحشد الجنود ليضل الناس. ويبين علي في نص آخر استهزاء الناس للشيطان فأجاب دعوتهم في قوله :

"اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكًا ، واتخذهم له أشراكًا ، فباض وفرخ في صنورهم ، ودب وترج في حجورهم ، فنظر بأعينهم ونطق بالسننهم ، فركب بهم

<sup>١</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٣.

<sup>٢</sup> - الناكثون: تعبير أطلق على طلحة والزبير ومن تبعهما بعدما بايعا عليًا ونكثا البيعة ، وذلك لما استخلف علي بن أبي طالب سنة خمس وثلاثين بايعه المهاجرون والأنصار وفي مقدمة المبايعين طلحة والزبير ولكنهما نكثا البيعة. فقد أتاه طلحة والزبير فقالا: إنا نريد العمرة فأذن لنا في الخروج . فقال علي : والله ما أرادا العمرة ، ولكنهما أرادا الغدرة . وقدم القوم البصرة وعامل علي عليها عثمان بن حنيف فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه ، وانتفوا إلى بيت المال وأخذوا ما فيه . فلما أتى عليًا الخبر سار إلى البصرة سنة ست وثلاثين وكانت وقعة الجمل بموضع يقال له الخريبة في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٢٥-١٢٦.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٥١.

<sup>٤</sup> - عباس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٨٩.

الزَّلَّ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ ، فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرَكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ <sup>١</sup> .

فأصبحت صدور الناس مرتعاً للشيطان عندما طلبوا معونته ، فباض وفرخ في صدورهم ويقول ابن أبي الحديد: " استعارة للوسوسة والإغواء، ومراده طول مكثه " <sup>٢</sup> . فيُحيل المقطع إلى صورة استعارية لطائر وضع أعشاشه واستوطن المكان دون رحيل أو انتقال. فللشيطان صورتان رئيسيتان: قائد جيش يحث حزبه على نشر الفتنة وزعزعة الصف الإسلامي ، وشريك مع جماعة يسيرهم نحو الباطل فهو ضالّ مُضِلّ .

لاحظنا تعدّد معاني تناصّ شخصيّة النبيّ محمدّ في النصوص الخطابية ودلالاتها الرمزيّة، فضلاً عن تفاعل التناصّ الذاتي <sup>٣</sup> في مقاطع عدّة كتفاعل المقطع (٣) مع (٥) ، ولاحظنا دلالة الفعل "بعث" في الخطب ، واتّضح من معالجة خطب النهج دلالة لفظ "الشيطان" في الخطب.

وخلاصة القول أنّ التناصّات الضمنيّة لها ثلاثة أشكال: التناصّ الديني ، وتناصّ الشخصيات، والتناصّ التاريخي . وتفرّع من هذه الأشكال أقسام متنوّعة فانقسم التناصّ الديني إلى بنائي، ومعنوي . وانقسم تناصّ الشخصيات إلى شخصيات دينيّة كالأنبياء والصحابة ، وشخصيات معارضة ، ثمّ عالجنا الشكل الثالث من التناصّات الضمنيّة تحت عنوان: التناصّ التاريخي ، واتّضح من معالجة الفصل الثاني آليات التفاعل النصّي في التناصّ الضمني ، وسنتعرّف على دلالات التناصّ ودواعيه في خطب النهج في الباب الثاني.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٩.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٧٣.

<sup>٣</sup> - التناصّ الذاتي وهو أن تدخل نصوص الكاتب الواحد فيتفاعل مع بعضها؛ سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، ص ١٠٠.

## الباب الثاني

### دلالات التناصّ في خطب " نهج البلاغة "

الفصل الأول: دواعي التناصّ في خطب " نهج البلاغة "

الفصل الثاني: تفاعل الصور البيانيّة بالتناصّ في خطب " نهج البلاغة "

يُعالج الباب الثاني دلالات التناصّ في خطب النهج في مبحثين: يُعالج الأول دواعي التناصّ في خطب نهج البلاغة، وأمّا الثاني فيعالج تفاعل الصورة البيانية بالتناصّ في خطب نهج البلاغة. وانحصرت دواعي التناصّ في خطب النهج في: الداعي الفكريّ والذي من خلاله سنبيّن سبب بعث الرسل، ودلالة النبيّ آدم في النصّ، فضلاً عن بيان دور تكرار حرف النفي " لا "، وسنلاحظ دور تناصّ المثل في استنتاج الداعي الفكريّ من النصّ الحاضر. فضلاً عن أثر التناصّ القرآنيّ ودوره الواضح في إبراز الداعي الفكريّ في النصّ.

أمّا الداعي السياسيّ فيُلاحظ شيوعه في خطب النهج، لتأزّم الأوضاع السياسيّة في تلك الفترة والصراعات الداخليّة بين الأطراف المختلفة. ويُستنتج الداعي السياسيّ من خلال تفاعل النصّ بالتناصّ التاريخيّ تارةً وبتناصّ المثل تارةً أخرى، فضلاً عن تفاعل النصّ بالتناصّ القرآنيّ والتناصّ الشعريّ .

ويُلاحظ تفاعل النصّ بالتناصّ القرآنيّ لإظهار دور المرأة الاجتماعيّ، فضلاً عن حسن معاملة الناس ونبذ الأحقاد والعصبيّة. فمن خلال تفاعل التناصّ القرآنيّ بالنصّ يظهر الداعي الاجتماعيّ. كما لتناصّ المثل العربيّ دور واضح في إبراز الداعي الاجتماعيّ كذلك. كما يُلاحظ دور التناصّ التاريخيّ في كشف المظاهر الاجتماعيّة المتردّية في المجتمع المسلم . فقد دعا إلى أخذ العبرة والموعظة من الأمم السالفة . أمّا الداعي الأخلاقيّ فمن خلال تفاعل النصّ بالتناصّ القرآنيّ وتناصّ المثل العربيّ نستنتج صفة التواضع والنفاق والصدق والجّد والمثابرة.

ولشخصيّات الأنبياء دور في إبراز الداعي الأخلاقيّ. فمن شخصيّة النبيّ موسى سنكتشف صفة التواضع، ومن شخصيّة النبيّ عيسى سنكتشف صفة الزهد، ومن شخصيّة النبيّ محمّد سنكتشف صفة الفناعة.

أمّا المبحث الثاني من هذا الباب فيُعالج تفاعل الصورة البيانية بالتناصّ في خطب النهج وذلك من خلال التشبيه، والاستعارة، والكناية . وسنوضّح دور التشبيه في توضيح المعنى وتعميقه من خلال تفاعله بالتناصّ القرآنيّ والتناصّ التاريخيّ ومن خلال التشبيه بالإبل والحية. وسيُتضح ما وراء النصّ من دلالات خفيّة بتفاعل الاستعارة مع التناصّ القرآنيّ والتناصّ التاريخيّ في لفظ " الفتنة "، واستعارة لوازم الناقة، واستعارة لفظ " النعيق " . فضلاً عن بيان دور الكناية في توضيح المعنى من خلال تفاعلها مع التناصّ التاريخيّ.

## الفصل الأول : دواعي التناصّ في خطب " نهج البلاغة "

تحدث الباحثون حول وعي المُلقّي وإدراكه للتناصّ وأطلقوا عليه مصطلح القصديّة وقسموه إلى قسمين: قصديّ، وغير قصديّ . وبين أحمد محمد قنّور دلالة كلّ واحد منهما قائلاً: "غير القصديّ هو الاعتباريّ غير مقصود وغير واضح غالباً كأنه شيء لازم للنصّ. أمّا القصديّ فيعني فيه المُبدع ما يفعل حين يدخل في معارضة أو حين ينقل صورة أو تعبيراً أو موقفاً ونحو ذلك من المعطيات الثقافيّة بأيّ شكل من الأشكال"<sup>١</sup>. ولا يهمنّا معرفة مدى وعي عليّ وقصده من الاستشهاد ولا إثبات قصديّة التناصّ أو عدمه، بل معرفة المقصود من التناصّ في خطب النهج، وسنعالجه في هذا الباب تحت عنوان دلالات التناصّ في خطب نهج البلاغة وذلك في فصلين: الأول دواعي التناصّ في خطب نهج البلاغة، والثاني تفاعل الصور البيانيّة بالتناصّ في خطب نهج البلاغة .

تتداخل النصوص الخارجيّة بخطب نهج البلاغة فينتج عنه تناصّ في الشعر أو الرواية أو غيرها من الآثار التراثيّة ، فلا يقتصر التناصّ على الشعر دون النثر ، ويؤكد محمود المصفار أنّ التناصّ يرد في الشعر والنثر في قوله: " لا فرق عند كريستيفا بين الخطاب الشعريّ والخطاب الروائيّ لأنّ الشعر مثله مثل الرواية حوار بين خطابين أي بين نصّ أصليّ ونصّ أجنبيّ آخر..."<sup>٢</sup>، ويرى رولان بارت أنّ التناصّ يمكن أن يكون في كلّ نصّ مقروء حتّى لو كانت صحف الأخبار اليومية في قوله: " وإنّي لأتوقّ سلطان الصياغات وانقلاب الأصول والمرح الذي يأتي بنصّ سابق من نصّ لاحق... وهذه هي خاصّة النصّ المتداخل إنّها استحالة العيش خارج النصّ اللامتّاهي . ولا فرق في ذلك أن يكون هذا النصّ هو بروسست ، أو الجريدة اليومية ، أو شاشة الرائي . فالكتاب يبدع المعنى والمعنى يبدع الحياة"<sup>٣</sup>.

وتعدّ نصوص النهج كباقي النصوص النثرية أو الشعرية يتفاعل فيها التناصّ بأنواعه المختلفة وأشكاله المتنوّعة . وتمّ تحديد مواضع التناصّ وبيان أهمّ أشكاله وبقي الكشف عن سرّ التناصّ في كلّ مقطع من مقاطع النصّ ، وسنقوم بمعالجته في هذا الفصل تحت مسمّى دواعي التناصّ في خطب نهج البلاغة .

لقد استنتجت جوليا كريستيفا عمليّتين أساسيتين لإنتاج النصّ ذكرهما محمود المصفار في كتابه التناصّ بين الرؤية والإجراء هما: "النصّ الظاهر الذي يتجسّد على الورق ويظهر للعيان.

<sup>١</sup> - أحمد محمد قنّور، اللسانيّات وآفاق الدرس اللغوي، ص ١٢٧.

<sup>٢</sup> - محمود المصفار، التناصّ بين الرؤية والإجراء، ص ٣٥.

<sup>٣</sup> - رولان بارت، لذة النصّ، ص ٦٦.



ولا يمكن قراءة النصّ قراءة صحيحة إلا إذا عدنا به إلى أصل نشأته... ثم القيام بوصف توليد الدلالة وإنتاج المعنى ، وليس النصّ ظاهرة لغوية فقط أي ليس هو المعنى القائم في مدونة لغوية، بل هو ما يتوالد عنه وينسل منه ويتصل به من دلالات متعدّدة من جهة أخرى ... والنصّ الباطن هو تلك العملية التي تؤدي إلى ولادة النصّ الظاهر لذا هو مرتبط بمفهوم التدلال أو توليد الدلالة...<sup>١</sup> ، وسنقوم من خلال النصّ الظاهر بكشف دواعي التناصّ الخفية وتحديد دلالاته الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية . وسنعمد على بعض المصادر والمراجع التي شرحت خطب نهج البلاغة لتأكيد الداعي من التناصّ .

عرفنا أنّ التناصّ عملية صنع علاقات تراوحيّة بين النصوص وكما عبّر أحمد محمد قنّور هي "قيام علاقة تفاعلية بين نصّ سابق ونصّ حاضر لإنتاج نصّ لاحق"<sup>٢</sup> ، فلا تكتمل دلالات النصّ إلا إذا ترابطت الجمل والمقاطع بعضها ببعض ، فيستنتج القارئ من خلالها الداعي من التناصّ في النصّ الحاضر . وأبرز دواعي التناصّ في خطب نهج البلاغة ( الفكرية ، السياسية ، الاجتماعية ، الأخلاقية ) ، وسنقوم بتفصيلها تباعاً .

### أولاً: الداعي الفكري

يلاحظ في النصّ الخطابيّ الأول الذي تدرّج في وصف عظمة الخالق تناصّان: الأول "فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ" ، والثاني "... وَلَمْ يَخُلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ" ، ويحيل الأول إلى تناصّ قرآنيّ في قوله تعالى: " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا"<sup>٣</sup> ، ويحيل الثاني إلى تناصّ قرآنيّ في قوله تعالى: " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"<sup>٤</sup> . ويدعو التناصّان إلى التأمل والتفكير في سبب بعث الرسل . فالداعي من التناصّين فكريّ . فقد ورد التناصّان في المقطع الآتي:

" فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِنْ مِثْلِ مَا فَطَرْتَهُ، وَيَذْكُرُوهُمْ مَنْسِيٍّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُنْذِرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْقُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَاشٍ تُحْيِيهِمْ، وَأَجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَخُلِ اللَّهُ

<sup>١</sup> - محمود المصفار، التناصّ بين الرؤية والإجراء، ص ٣٧.

<sup>٢</sup> - أحمد محمد قنّور، اللسانيّات وآفاق الدرس اللغوي، ص ١٢٤.

<sup>٣</sup> - سورة النحل، ١٦ / ٣٦.

<sup>٤</sup> - سورة فاطر، ٣٥ / ٢٤.

سُبْحَانَهُ خَلَقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِهِ. عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ<sup>١</sup>.

أشار المقطع إلى سبب بعث الرسل في قوله: "... وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءُهُ ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ... عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ" . وقال ابن ميثم أن الآية الكريمة: " إشارة إلى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل أمة منهم من نبي مرسل يجذبهم إلى جناب عزته، كما قال تعالى: "وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ" وكتاب منزل يدعوهم إلى عبادته ويذكرهم منسي عهد ويتلى عليهم فيه أخبار الماضين والعبر اللاحقة للأولين<sup>٢</sup>.

ووضَّح المقطع الدور الذي يقوم به الرسل كالنقَّار والتأمل في عظمة خلق السماء والأرض كقوله: " مِنْ سَقَفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ " ، وتذكر ما سيلقيه الإنسان في الحياة الدنيوية في قوله: " وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ ، وَآجَالَ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابَ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثَ تَتَّبَعُ عَلَيْهِمْ"، والتعريف بالرسول الذي يأتي من بعده في قوله: " مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِهِ " ، ونسق التناصين يُحيل إلى الدعوة إلى التفكير .

واتَّفَقَ النصُّ مع التناصِ القرآني في المقطع الذي يليه في بيان الداعي الفكري في قوله:

"وَأَسْتَأْذِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدَبِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ ، اعْتَرَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ ، وَأَسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلَاصَالِ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ ، وَأَسْتَتَمَمَا لِلْبَلِيَّةِ ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ ، فَقَالَ: إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ"<sup>٣</sup>.

يذكر المقطع حادثة سجود الملائكة للنبي آدم تعظيمًا للقدرة الإلهية، ووردت ثلاث شخصيات (مخلوقات) كل واحدة تمثل دلالة معينة، فتدل الملائكة على الامتثال والطاعة، ويدل آدم

<sup>١</sup> محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٧.

<sup>٢</sup> ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ١٢٧؛ والآية من سورة فاطر، ٣٥ / ٢٤.

<sup>٣</sup> محمد عبده، م. س.، ص ٢٥؛ والآية من سورة الأعراف، ٧ / ١٥.

المخلوق الضعيف على التفكير والتأمل في عظمة الخلق البشري ، ويدلّ إبليس على المتكبر والعاصي للأوامر . ويؤكد ذلك حبيب الله الخوئي في قوله: " وينبغي التنبيه على أمور مهمة مفيدة لزيادة البصيرة في المقام الأول: أنه سبحانه ذكر قصة آدم وكيفية خلقته ومعاملة إبليس معه في مواقع كثيرة من القرآن الكريم وفي ذلك أسرار كثيرة منها الإشارة إلى كمال قدرته وعظمته... ومنها تذكير الخلق بما أنعم به على أبيهم آدم حيث فضله على ملائكة السماء...ومنها تحذير الخلق عن مكائد الشيطان..."<sup>١</sup>.

وتتفاعل معظم الخطب مع خطابات أخرى تفاعلاً متجانساً ، فوظيفة كل مؤلف التأليف بين الخطابات الموروثة لإنتاج إبداع جديد ، ويؤكد ذلك قول جوليا كريستيفا: " لأنّ وظيفة تلفظ المؤلف تتمثل في إلصاق خطابه بقراءاته ومحفل كلامه بمحفل كلام الآخرين " <sup>٢</sup> ، فضلاً عن ذلك فإنّ الحرف واللفظ لهما تأثير واضح على تركيب النصّ (Composition text) . ويؤكد رولان بارت حقيقة عدم تكشف المعاني مستقلة إلا إذا اتحدت كلماتها بعضها ببعض في قوله: "يمكن للجملة - كما نعلم - أن توصف وصفاً لسانياً يذهب بها إلى عدة مستويات... ونلاحظ أنّ هذه المستويات تدخل في علاقة تراتبية... فيجب أن ندرك أنّ أيّ مستوى منها لا يستطيع أن ينتج المعنى بمفرده . فكلّ وحدة تنتمي إلى مستوى معين لن يصبح لها معنى إلا إذا استطاعت أن تندمج في مستوى أعلى. فالصوت وإن كان يوصف بذاته وصفاً كاملاً فإنه لا يعني شيئاً على الإطلاق وهو لن يشارك في المعنى إلا إذا اندمج في الكلمة . وإنّ الكلمة نفسها لملزمة أن تندمج في الجملة " <sup>٣</sup> ، وهذا ملاحظ في نصوص نهج البلاغة . فلا يكشف غموض التفاعل النصّي إلا بتمازج الحروف مع الجمل . ففي الخطبة التي تميّزت بالابتداء بحمد الله والثناء عليه تمازج التماس مع تكرار حرف النفي "لا" في قوله:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُخْدَتِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَاقِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَسَاعِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ ، لَا فَرَقَ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ . الْأَحَدُ لَا يَتَأَوَّلُ عَدَدَ ، وَالْخَالِقُ لَا يَمَعْنَى حَرَكَةً وَنَصَبَ ، وَالسَّمِيعُ لَا بِأَدَاةٍ ، وَالْبَصِيرُ لَا بِفَرِيقِ آلَةٍ ، وَالشَّاهِدُ لَا بِمُمَاسَةٍ ، وَالْبَائِنُ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرُ لَا بِرُؤْيَاةٍ ، وَالْبَاطِنُ

<sup>١</sup> - حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ١، ص ٥٣.

<sup>٢</sup> - جوليا كريستيفا، علم النص، ص ٣٠.

<sup>٣</sup> - رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ص ٣٤.

لَا بِلَاطَافَةٍ بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ <sup>١</sup>.

وموضع التناصّ القرآنيّ في كلمتي (الظاهر) و (الباطن) ، وتُحيل إلى قول القرآن: "وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" <sup>٢</sup>، ودعا المقطع إلى التفكّر في الله في قوله: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْكَائِهِ ، وَبِاسْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ". فقد نهى عن الوقوع في الشبهة ، ودعا إلى التفكّر في خلقه للتوصل إلى وجوده فقال ابن ميثم في شرح المقطع: " فقد حمد الله تعالى باعتبارات من أوصافه ، وفي الفصل أبحاث من العلم الإلهي: الأول الإشارة إلى وجوده تعالى الواجب ، وللناس في إثباته طريقان: أحدهما: إثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود، وأمّا الطريقة الثانية: فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبائعها وإمكانها وتكرّرها وقبولها للتغيّر والتركيب على مبادئها . ثمّ على المبدئ الأول - جلّت عظمتُه - وهي طريق الطبيعيين وهي التي أشار إليها بقوله: الدَّالُّ عَلَى وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ... " <sup>٣</sup>.

وردّ المقطع على بعض المتكلمين الذين شبهوا الله بالإنسان وقال ابن ميثم في شرحه للمقطع بأنّ الله " لا مثل له ولا شبيهه وإليه الإشارة بقوله: وَبِاسْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَا شَبِيهَ لَهُ ، وأراد اشتباههم في الحاجة إلى المؤثّر والمدبّر وتقدير هذه الطريق أن تقول: إن كان تعالى غنيّاً عن المؤثّر فلا شبيه له في الحاجة إليه... وقيل: أراد اشتباههم في الجسميّة " <sup>٤</sup>. فأثنى المقطع لرفع الشبهة عن أذهان المتفكّرين في الله بأنّه ظاهر لكنّه لا يرى ويؤكد ابن أبي الحديد في شرحه للمقطع فيقول: " أَنَّهُ الظَّاهِرُ لَا بَرُؤِيَّةٍ ، وَالْبَاطِنُ لَا بِلَاطَافَةٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ الظَّاهِرَ مِنَ الْأَجْسَامِ مَا كَانَ مَرْتَبًا بِالْبَصَرِ... " <sup>٥</sup>.

ويظهر حرف النفي "لا" في المقطع كلّهُ، فبلغت ثلاثة عشر حرفاً "لا" لتتفي تشبيه الخالق وتجسيمه. ونلاحظ في موضع آخر تفاعل المثل في الخطاب لتوضيح إشكاليّة علميّة في قوله:

"... وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلَقًا الطَّائِفُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ... وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْقُحُهَا مَدَامِعُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ ، وَأَنَّ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٩٤.

<sup>٢</sup> - الحديد، ٥٧ / ٣.

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٥١٣.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، م. ن.، ص ٥١٤.

<sup>٥</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩. ص ١٠٣.

أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ  
بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ ! تَخَالُ قَصَبَهُ مَذَارِي مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أُنبِتَ عَلَيْهَا مِنْ  
عَجِيبِ دَارَاتِهِ ، وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْعِقْيَانِ ، وَفَلَذَ الزَّبَرَجَدِ <sup>١</sup> .

دعا المقطع إلى التفكير في خلق الطاووس . فقد عالج علي قضية علمية من خلال طائر  
الطاووس محاولاً إبطالها بالإثباتات الدامغة والشواهد المقنعة . فذكر ابن أبي الحديد أن العرب  
كانت " تزعم أن الغراب لا يسفد ومن أمثالهم أخفى من سفاذ الغراب فيزعمون أن اللقاح من  
مطاعمة الذكر والأنثى منهما وهو لا يؤيد هذا الرأي، بل أتى بالمثل ليبطله ويبطل مزاعم الناس أن  
الطاووس تدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه...<sup>٢</sup> " ويوحي حرف " لو " إلى امتناع تحقق ذلك .

وأثبت المقطع ضعف العقل عن إدراك عظمة القدرة الإلهية ، فقال ابن ميثم في شرح  
المقطع: " لقد عجز العقل عن وصف الطاووس وتنوع ألوان ريشه " وأراد العجز عن وصف علل  
هذه الألوان واختلافها واختصاص كل من مواضعها بلون غير الآخر ، وعلل هيئاتها وسائر ما  
عدده . فإن أقل جزء منه مما يتحير الأوهام في درك علته وتقصير الألسن عن وصفه ... ويؤيده  
تنزيهه لله تعالى باعتبار قهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الذي جلاه وأظهره للعيون فأدركته  
محدوداً ملوناً ومؤلفاً مكوناً وأعجز الألسن عن تلخيص وصفه وتأدية نعمته<sup>٣</sup> . فأتى الداعي من  
تناص المثل فكرياً .

ويُحيل تناص المثل في نص آخر إلى معنى "الضعيف لا حراك به وعزيز ذل" <sup>٤</sup>، في قوله:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ ، مَانِحٌ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَقَاضٍ ،  
وَكَاشِفٌ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَأَزَلٌ . أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ ، وَأَوْمِنُ  
بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا ، أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَوَقَّتَ لَكُمْ  
الْأَجَالَ ، وَالنِّسْكَمُ الرِّيَاسَ ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ ، وَأَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ ، وَأَرْصَدَ لَكُمْ  
الْجَزَاءَ ، وَأَثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ ، وَالرَّفْدِ الرَّوَافِغِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ ، فَأَحْصَاكُمْ  
عَدَدًا ، وَوَضَعَ لَكُمْ مَدَدًا ، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُحْتَبَرُونَ فِيهَا ،

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢١٢ .

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٨٠ .

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٥٥١ .

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٠١ .

وَمَحَاسِبُونَ عَلَيْهَا . فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ مَشْرِبُهَا ، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ مَنَظَرُهَا ، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَضُوءٌ أَفَلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا ، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْنَمِهَا ، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنَكِ الْمَضْجَعِ ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ ، وَمُعَايِنَةِ الْمَحَلِّ ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ ، وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقُبُ السَّلْفَ ...<sup>١</sup>

يدعو المثل " قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا " إلى التفكير في الدنيا وعدم الاغترار بجمال منظرها والاستعداد للموت " لَا تَقْلُعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا " ، وأكد ابن ميثم أن المقطع يركز على " التنفير عن الدنيا بذكر معائبها وما تؤول إليها ونكر لها أوصافاً: الأول: كونها " رنق مشربها " . وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من الهموم والأحزان والأعراض والأمراض<sup>٢</sup> . فأتى الداعي من تناص المثل فكرياً كذلك . ويتفاعل تناصان قرآنيان صريحان في نص آخر لداعٍ فكري في قوله :

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ، وَجَلَّالِ كِبَرِيَّائِهِ ، مَا حَيَّرَ مُقَلِّ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْقَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ . وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا ، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أَغْلَقَ عَنْكُمْ ثُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ ، لَا يَلِئُمُهُ الْعَطَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحَبَاءُ ، وَلَا يَسْتَفِدُّهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِيه صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَجْزُرُهُ هَبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تَوَلَّاهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا يُجْنُهُ الْبُطُونُ عَنْ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنْ الْبُطُونِ ، قَرُبَ فَنَائِي ، وَعَلَا فَدْنَا ، وَظَهَرَ فَبِطْنٍ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ ، وَدَانَ وَلَمْ يُدْنِ ، لَمْ يُدِنِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ ، وَلَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ . أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ ، فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ، تَوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاوِلِ الْحَرَرِ ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ " ، وَتُظْلَمُ لَهُ الْأَقْطَارُ ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكُ كُلُّ لَهْجَةٍ<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٠٠.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٣١٨.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٧٠.



تلاحم تناصان قرآنيان صريحان: الأول قوله: "وَمَعَاقِلِ الْحَرَزِ ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ " ، وتحيل العبارة إلى قوله تعالى: " وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ " ، والآخر في قوله: " وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ " ، وتحيل إلى قوله تعالى: " يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " . وتداخل التناص القرآني الضمني في قوله: " لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا " ، ويحيل إلى قوله تعالى: " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ " ، فأتى التناص القرآني لداعٍ فكري . فقد دعا إلى التفكير في هذا الخلق العظيم من كون شاسع ومخلوقات مختلفة. وقال حبيب الله الخوئي أن المقطع نبّه "المخاطبين على عدم كونه تعالى في خلقهم وإيجادهم لاعبًا ولا عابثًا فقال: " واعلموا عباد الله أنه لم نخلقكم عبثًا تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ، وإنما خلقهم للمعرفة والعبودية ... " .<sup>٤</sup>

ولم يقتصر أسلوب الخطاب على الإقناع بالأدلة العلمية والشواهد المقنعة ، بل اتبعت بعض النصوص أسلوب الإقناع بعرض الشبهات على القرآن والسنة والراسخين في العلم وعدم الخوض في إشكالات وهمية في قوله:

" فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ فَاتَتْ بِهِ وَاسْتَضِيءَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ وَأُيُومَةِ الْهُدَى أَثَرُهُ ، فَكُلَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ...وَأَعْلَمَ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ...فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا...الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَنَلَهُ ، وَلَا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ...فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّبْيِيرِ نَاطِقَةً ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةً . فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاخُمِ حَقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَبَوِّعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: " تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ " .

<sup>١</sup> - إبراهيم، ١٤ / ٤٢ .

<sup>٢</sup> - النبا، ٧٨ / ١٨ .

<sup>٣</sup> - المؤمنون، ٢٣ / ١١٥ .

<sup>٤</sup> - حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ١٢، ص ١٧٣ .

<sup>٥</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١١٩ .



حَثَّ المَقْطَع على ضرورة إحالة الإشكالات إلى الله تعالى في قوله: "فَكُلِّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ " ، فلو احتار العلماء في شئ أحالوه إلى الله كذلك فقال عباس الموسوي : "فهؤلاء الراسخون في العلم المتعمقون فيه إذا وصلوا إلى الأبواب الموصدة ولم يقدروا على فتحها لمعرفة لم يذهبوا بعيداً بل عادوا بها إلى الله وآمنوا بها على إجمالها وأوكلوا معرفتها لله فمدحهم الله بأنهم الراسخون في العلم "١، وهذا يدل على محدودية العقل البشري. فمهما بلغ من علم فإن تفكيره يصل إلى حد معين فيقف عاجزاً وهذا الحد هو وصف الله إذ يعجز كل عقل عن وصف الله تعالى .

وتفاعل في النص ثلاث تناصات قرآنية ، فتحليل عبارة: "الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ" إلى قوله تعالى: "... أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينَةٌ فَيَسْتَبِغُونَ مَا نَسَبَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ..."٢. وتحليل عبارة: "ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ" إلى قوله تعالى: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"٣. وورد تناص صريح في آخر النص يحيل إلى قوله تعالى: "تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ"٤.

ويعتمد النص الأول في شروح نهج البلاغة على التسلسل المنطقي في الإقناع ، فيدعو إلى التفكير في خلق الكون في قوله :

"فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ. أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِّيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ"٥.

اعتمد المَقْطَع أسلوب التدرج في بيان عظمة الخلق، فدعا إلى التفكير والتأمل في الخلق الإلهي. وأوضح عباس الموسوي ذلك في قوله: "بعد أن انتهى من نفي الصفات السلبية لله ثني بها ذكر الصفات الثبوتية ، فلعظيم قدرته التي لا تُحدَّ خلق الخلائق كلها وابتدعها من اللاشيء . وإنما قال لها كوني فكانت وهذا من قوله تعالى: "الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ"٦.

١- عباس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٦٤.

٢- آل عمران، ٧/٣.

٣- البقرة، ١١٧/٢.

٤- الشعراء، ٩٧-٩٨/٢٦.

٥- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص٢١.

٦- عباس الموسوي، م.س.، ج١، ص١٧؛ والآية من سورة الإسراء، ١٧/٥١.

وأشار ناصر مكارم الشيرازي إلى أن التدرّج في بيان كيفية خلق الكون أُريد به لفت انتباه المتلقين إلى ضرورة حمد الله على هاتين النعمتين " الرياح والجبال " لدورهما العظيم في استقرار الأرض وثباتها في قوله: " فإنّ هذه الصخور ( الجبال ) إنّما تُوتد الأرض وتحول دون فقدانها لاستقرارها ، وناهيك عما تقدّم فإنّ الجبال تُعدّ من أهمّ مصادر الحياة الجوفية للإنسان ، لأنّ كافّة العيون والأنهار إنّما تتبع من مصادر الجبال الجوفية وتلك التي على سطح الأرض . ويتّضح ممّا ذكرنا سابقاً بشأن الدور الحيوي الذي تلعبه الرياح والجبال في حياة الإنسان وسائر الكائنات الحية ، علّة تأكيد الإمام على هذين الأمرين بُعيد الإشارة إلى الخلق والخلقة".<sup>١</sup>

ويؤكد عبد الله شبر على أهمية توتد الأرض بالجبال فيقول: " وإطلاق الأوتاد عليها إمّا على الاستعارة ، والمقصود من جعلها كالأوتاد في الأرض أن يُهتدى بها على طرقها ، فلا يزيغ جهاتها المشتبهة بأهلها ولا تميل بهم عن مقاصدهم ، أو لأنّ الأرض كرة وهذه الجبال جارية مجرى خشوبات وتصير راسيات في وجهها ، فلو لم يكن هذه الجبال حتّى كانت الأرض كرة حقيقة خالية عنها ، لكانت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب ، لأنّ الجرم البسيط المستدير يجب تحركه على نفسه، أما إذا حصلت هذه الجبال على سطحها وكلّ منها يتوجّه بطبيعته وتقله العظيم نحو مركز العالم فإنه يجري مجرى الوند الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة ".<sup>٢</sup> فدلّ التناصّ القرآنيّ في المقطع على الداعي الفكريّ وذلك في قوله تعالى: "الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ"<sup>٣</sup> ، وقوله تعالى: "وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا"<sup>٤</sup>.

ويتّضح في افتتاح الخطاب الذي أثبت حقيقة عجز العقل البشري وعدم قدرته شكر الله وإحصاء نعمه كلّها والوصول إلى غاية رضاه ، وعجزه عن إدراك الله . فقال محمّد عبده: "فهمم النظائر وأصحاب الفكر وإن علت وبعدت فإنّها لا تردكه تعالى ولا تحيط به علماً"<sup>٥</sup>، وتفاعل حرف النفي " لا " الذي تكرر سبع مرّات للتأكيد على عظمة الخلق وضعف المخلوق :

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِثْلَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهَمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنِ ، الَّذِي

<sup>١</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٨.

<sup>٢</sup> - عبد الله شبر، نخبة الشرحين، ج ١، ص ٢٨.

<sup>٣</sup> - الإسراء، ٥١ / ١٧.

<sup>٤</sup> - النبا، ٧٨ / ٧.

<sup>٥</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢١.

لَيْسَ لَصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ .  
فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ <sup>١</sup>.

ونستخلص مما تقدّم أنّ الخطبة الأولى قامت على مجموعة من التناصّات الدينيّة بداعٍ فكريّ مثل:

- ١- " فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ " تحيل إلى قول القرآن: " الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " <sup>٢</sup>.
- ٢- " وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ " تحيل إلى قوله: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ " <sup>٣</sup>.
- ٣- " وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ " تحيل إلى قوله تعالى: " وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا " <sup>٤</sup>.

وتفاعلت هذه التناصّات كلّها لداعٍ فكريّ ، وتمازجت مع الحرف " لو " تارة ، والحرف " لا " أخرى ، ولفظ " الحمد " فقرّبت المعنى وأكدت أهميّة التفكير .

### ثانيًا: الداعي السياسي

لا يخلو أدب من قضيّة سياسيّة، وأكّد حسين منصور العمري ذلك في قوله "فكلّ أدب مهما بدا لاهيّا عن السياسة لا مباليا بهومومها هو في جوهره ذو مضمون وبُعدٍ سياسيّ وذلك تقريبا قدر لا فكاك منه... وإذ نراجع ببعض التعمّق التراث الإنساني في مختلف مراحل تطوره ونموّه منذ فجر الإنسانية حتّى الآن نجد أنّه كان دائما يعبر عن الوضع السياسي في عصره" <sup>٥</sup>. فيضمّن كلّ مبدع نصّه بتناصّ سياسيّ يؤرّخ به واقعة أو نظام حكم أو غيرها من القضايا السياسيّة على مرّ التاريخ.

وبين صادق عيسى الخضور سبب استدعاء التناصّ التاريخيّ السياسي في الأدب في قوله: "فكلّما كانت تجارب الحاضر متشّحة بالمعاناة كان ذلك أدعى إلى العودة إلى الماضي فالاستغراق في مرارة الحاضر سبب منطقيّ يوجّه الشعراء وغيرهم من أفراد المجتمع نحو الاستئناس بتجارب الماضي المعبرة عن النجاح في تجاوز المعاناة..." <sup>٦</sup>. ويُعدّ الداعي السياسي من أبرز الدواعي ظهورًا في خطب نهج البلاغة. فقد تفاعلت قضايا سياسيّة متنوّعة داخل نصوص النهج، ولعلّ

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢١.

<sup>٢</sup> - الإسراء، ١٧ / ٥١.

<sup>٣</sup> - الأعراف، ٧ / ٥٧.

<sup>٤</sup> - النبأ، ٧٨ / ٧.

<sup>٥</sup> - حسين منصور العمري، إشكاليّة التناصّ، ص ١٤٩.

<sup>٦</sup> - صادق عيسى الخضور، التواصل بالتراث، ص ٢٣.

السبب في بروزها الصراعات بين مختلف التيارات المعارضة لمنهج عليّ السياسي . ومن تلك القضايا ما كان معاصراً للنصّ ومنها ما سبق عصر النصّ . وسنقوم بتحديدّها وبيان دواعيها السياسيّة . ونبدأ بالمقطع الآتي لتوضيح الداعي السياسيّ:

" عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ ... قَدْ خَلَعَ سَرَائِلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ ، إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَقَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى ... وَآخِرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أُشْرَاكَ مِنْ حِبَالِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤْمِنُ مِنَ الْعِظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ ، يَقُولُ: أَقْفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ ، وَيَقُولُ: أَعْتَزَلُ الْبِدْعَ ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ، فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَّوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ! " فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ " و "أَنَّى تُؤَفِّكُونَ" وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ، فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيَّكُمْ؟ وَهُمْ أَرْمَةُ الْحَقِّ ، وَالسِّنَةُ الصَّدَقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ... "¹.

تفاعل التناصّ القرآنيّ بداعٍ أخلاقيّ في قول عليّ: " فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ " ، ويحيل إلى قوله تعالى: "وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ، إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ"²، ويحيل قول عليّ: "فَأَنَّى تُؤَفِّكُونَ" إلى التناصّ القرآنيّ الضمنيّ في قوله تعالى: "...ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤَفِّكُونَ"³، وقال الطبري عن الآية الثانية: " وهذا تنبيه من الله جلّ ثناؤه لهؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجّته عليهم وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام في عبادتهم إيّاه"⁴، ويدلّ التناصّ على التحذير من بني أميّة في قوله آخر النصّ: "حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ... "⁵. فأتى الداعي من التناصّ سياسياً. ونلاحظ التناصّ القرآنيّ بداعٍ سياسيّ في قوله:

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١١٢.

²- سورة التكويد، ٨١ / ٢٥ - ٢٧.

³- سورة الأنعام، ٦ / ٩٥.

⁴- الطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ٣٢٥.

⁵- محمد عبده، م. س.، ص ١١٥.

"مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا بَيْنَ يَجْمَعُكُمْ ، وَلَا حَمِيَّةَ تَحْمِسُكُمْ؟! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا ، فَلَاتَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَى ، وَتَتَأَقَّلْتُمْ تَتَأَقَّلَ النَّضْوُ الْأَنْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَلِّبٌ ضَعِيفٌ "كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ"<sup>١</sup> .

صوّر المقطع حالة الناس في مشهدين: مشهد سوقهم إلى المعركة ، ومشهد سوقهم إلى الحساب . فقد أوضح التناصّ القرآنيّ ذلك من خلال كلمة " يُسَاقُونَ " ، وقال ابن ميثم في شرحه للمقطع: " لقد أكثر عليّ من ذمّ المتقاعدين والمتناقلين عن القتال ووصفهم بعدّة صفات تدل على التوبيخ والزجر والنفور من تتأقلهم . إذ أردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيههم بمن يُساق إلى الموت وهو ينظر في تتأقله واضطرابه وضعفه عن الحركة إلى ما يُساق إليه لشدة خوفه . كل ذلك ذمّ وتوبيخ يستثير به طباعهم كما هو عليه من التناقل عن ندائه والنقصير في إجابة دعائه"<sup>٢</sup> ، ويتضمّن التناصّ غرض الذمّ والتوبيخ لتثاقلهم عن القتال في سبيل الله ، فالداعي منه سياسيّ . ونلاحظ الداعي السياسيّ في تناصّ المثل كذلك في قوله:

" أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوْمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتْ الْوُثْقَى ، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا! "<sup>٣</sup> .

بيّن عليّ في النصّ عيوب جيشه في صفّين ، فيريد أن يداوي بهم جرح الإسلام ولكنهم الداء الذي يُعاني منه . وورد تناصّ المثل في المقطع ليبينّ الوضع السياسيّ المُعاش ، وذكر الراوندي سبب ورود المثل في النصّ في قوله: " ضرب المثل المعروف في أكثر أصحابه الذين يميلون إلى الشاميين ... فقال : أنا "كناقش الشوكة" أي مثل رجل مستخرج شوكة من رجله بشوكة ولا يخفى عليه أنّ مثل الشوكة يكون مع جنسها..."<sup>٤</sup> ، وقال الميداني في شرح المثل: " لا تنقش

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧١؛ والآية من سورة الأنفال، ٨ / ٦ .

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥١ .

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س. ، ص ١٦٦ .

<sup>٤</sup> - سعيد بن هبة الله الراوندي، منهاج البراعة، ج ٢، ص ٣١ .

الشوكة بمثلها فإن ضلعها معها <sup>١</sup>. وأوضح محمد الغروي الغرض من المثل فقال: " والغرض من التمثيل به هنا يُعرف من قبله ، حيث قال عليّ: أريد أن أدلّوكم بكم وأنتم دائي فأصحابه يزدون في علته بدل أن يرفعوها ؛ لأنّ حادثة التحكيم لم تحدث إلا من قبلهم فكيف يعمل في رفعها بسبب هؤلاء وهم قد أوجدوها؟ فحالهم وحال الإمام ك معالجة إخراج الشوكة بشوكة أخرى لا تزيدها إلا ولو جاً <sup>٢</sup>. ووصف عليّ الوضع السياسيّ في البصرة في قوله:

"وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعًا ، قِيَامًا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، فَأَحْسَنَهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا ، وَلِنَفْسِهِ مَتَسَعًا. مِنْهُ فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ... فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ وَلَا حِسَّ وَسَيِّئَتِلَى أَهْلِكَ بِالمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ <sup>٣</sup>.

يصف عليّ وضعًا سياسيًا متوقعًا في البصرة في قوله: " فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ ... " ، وتفاعل في النصّ تناصّ قرآنيّ في لفظ " الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ " ويحيل إلى قوله تعالى: "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ <sup>٤</sup>. وإلى قوله كذلك: " أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ، قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ <sup>٥</sup>. وورد تناصّ قرآنيّ آخر في لفظ : " وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ " ويحيل إلى قوله تعالى: "يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ... <sup>٦</sup>.

وابتدأ المقطع بوصف مشهد أحوال الناس يوم القيامة وانتهى بالحديث عن جيش يغزو البصرة، وبين ابن أبي الحديد المراد بالجيش في قوله: " وكنتى بهذا الجيش عن جذب وطاعون يصيب أهلها حتى يُبيدهم. والموت الأحمر كناية عن الوباء والجوع <sup>٧</sup>. وذكر ابن ميثم بعض تلك الفتن التي ستحدث مستقبلاً في قوله: " أنه نَبّه على ما سيقع بعده من الفتن ويخصّ منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم... <sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> - الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٣٩.

<sup>٢</sup> - محمد الغروي، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص ٣٦٣.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤١.

<sup>٤</sup> - التّغابن، ٩/ ٦٤.

<sup>٥</sup> - الواقعة، ٥٦/ ٤٨ - ٥٠.

<sup>٦</sup> - المزمل، ٧٣/ ١٤.

<sup>٧</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٧٢.

<sup>٨</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤١١.



وتتفاعل الأجناس الأدبية فيما بينها لينتج عنهما معنى خاصاً للنصّ كتفاعل الشعر مع الخطبة. فقد تفاعل الشعر مع الخطبة التي بينت عدم مبايعة عليّ بعد وفاة النبيّ في قوله:

"... وَطَفَقْتُ أُرْتَتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بَيْدِ جَذَاءَ ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ ،  
يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْذَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ . فَرَأَيْتُ  
أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا ، أَرَى تُرَاثِي  
نَهْبًا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدَلَى بِهَا إِلَى فَلَانٍ بَعْدَهُ<sup>١</sup> . ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعَشَى :  
شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرٍ<sup>٢</sup> .

إنّ البيت الشعريّ تناصّ صريحٌ يُحيل إلى دأعٍ تاريخيٍّ سياسيٍّ. فقد رأى عليّ "الصبر على هاتا أحجى" ويقصد بأحجى كما ذكرها الأزهرى بأنها تعنى "العقل"<sup>٣</sup>، ومعنى ذلك أنّ الصبر على عدم مبايعته قرار حكيم وعاقل وفيه استقرار للمسلمين كراحة حيّان<sup>٤</sup> من مشقة السفر. فقد ذكر ابن ميثم قصة حيّان قائلاً: "كان حيّان صاحب الحصن في اليمامة، وكان سيّداً مطاعاً يصله كسرى في كلّ سنة وكان في نعمة ورفاهيته مصوناً من وعثاء السفر لأنّه ما كان يسافر أبداً، وكان الأعشى ينادمه وأراد: ما أبعد ما بين يومي على كور المطيّة...وبين يومي منادماً حيّان أخى جابر وادعاً فأراني نعمة وخفض... وأما غرض التمثيل بالبيت...فأراد بذلك أنّ القوم لمّا فازوا بمقاصدهم، ورجعوا بمطالبهم فظفروا بها وهو في أثناء ذلك كلّه...كان بين حالهم وحاله بُعدٌ بعيد وافتراق شديد فاستشهد بهذا البيت...وأنّ حالهم استلزم حصول المطالب والرفاهية كيوم حيّان، وحاله استلزم المتاعب كيومه على الناقة مسافراً..."<sup>٥</sup>، وتماسك (Coherent) النصّان معاً للدلالة على الحدث السياسيّ. فقد تبدّل الوضع وانصرفت الأمور إلى غير طريقها، فحاله اليوم غير حاله مع رسول الله. فتقاطع نصّ وآخر<sup>٦</sup> يحقق الوصول إلى دواعي التناصّ. فقد انكشف الداعي السياسيّ من خلال التناصّ الشعريّ.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٢.

<sup>٢</sup> - الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص ١٨٥.

<sup>٣</sup> - الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١، ٧٤١.

<sup>٤</sup> - انظر قصة حيّان مع الأعشى ص ٦٣ - ٦٤.

<sup>٥</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ١٥٧.

<sup>٦</sup> - تقاطع النصوص هو: أسلوب لتشكيل فضاء النصّ والممارسة النصيّة من وجهة نظر جوليا كريستيفا القائلة بتقاطع نصّين أو أكثر داخل النصّ الواحد، أو هو احتواء نصّ من نصّ آخر وتفاعليّة نصوصيّة ثمّ تبادل متفاعل؛ مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربيّ السيميائي، ص ١٨٨.



وتفاعل البيت الشعري والنص الذي يمدح قبيلة بني فراس بن غنم<sup>١</sup>، فتوالدت من البيت الشعري قصة تاريخية في قوله :

" اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُونِي ، وَسَمَّيْتُهُمْ وَسَمُّونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ .  
هَذَاكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ"<sup>٢</sup>.

ورد التناص الشعري لداعٍ سياسي. فقد قارن عليّ بين شجاعة فراس بن غنم وجبن أهل الكوفة وطالبهم بالتحلي بالشجاعة كبني فراس بن غنم. وقال صادق الموسوي عن قبيلة بني فراس: "وهم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حيّ مشهور بالشجاعة. منهم علقمة بن فراس وهو (جذل الطعان) ومنهم ربيعة بن مكرم، حامي الظعن حيّاً وميتاً..."<sup>٣</sup>. وكما هو معلوم أنّ كلّ قائد يسعى للارتقاء بجيشه إلى أحسن العدة والعتاد فيكون مستعدّاً للنزال، ولكنّ قيادة عليّ تفتقر لجيش يمتلك الاستعداد للقتال، فتمنّى أن يمتلك جيشاً من قبيلة بني فراس كما عبّر عبّاس الموسوي في قوله: "تمنّى أن يكون له بدلهم ألف فارس من بني فراس بن غنم يستجيبون له إذا ناداهم"<sup>٤</sup>.

ونستنتج من ذلك الفرق المعنوي بين التناص الشعري في هذا المقطع والتناص الشعري في المقطع السابق . فبين الأول مدى الحسرة التي تكمن في صدر عليّ بن أبي طالب من عدم تنصيبه أميراً للمؤمنين ، ورأى من العقل والحكمة التريث والصبر على تبدل مسار القضايا السياسية خلافاً للمتوقع ، وتمنّى عليّ في الثاني جيشاً قوياً كقوة قبيلة بني فراس بن غنم المشهورة بالشجاعة .

وسبق المقطع الذي مدح فيه بني فراس مقطع احتوى بيتاً شعرياً ووقعة تاريخية قادها بسر ابن أبي أرطاة في اليمن بأمر من معاوية بن أبي سفيان في قوله :

"مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ، تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ

<sup>١</sup> - انظر ص ٦١.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٥٥.

<sup>٣</sup> - صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة، ص ٢٨٣.

<sup>٤</sup> - عبّاس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠٩.

<sup>٥</sup> - انظر تعريف بسر بن أرطاة ص ٦٠.

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضَرٍ - مِنْ ذَا الْإِنَاءِ - قَلِيلٍ  
 أَنْبَيْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيِّدَ الْوَنِّ مِنْكُمْ  
 بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ،  
 وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَانِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَابِهِمْ  
 فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ ، فَلَوْ أَتَيْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ<sup>١</sup>.

رمزت شخصية بسر بن أرطاة إلى البطش والجور وسفك الدماء . ويتكرر الرمز  
 بالشخصيات في أكثر من نص<sup>٢</sup> ، فتحدث في نص آخر عن (أخو غامد)<sup>٣</sup> ووقعة الأنبار فقال:

" أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ  
 لِبَاسُ التَّقْوَى... أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا  
 وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ  
 دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ حَتَّى شَنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ.

وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خِيَلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ،  
 وَأَزَالَ خِيَلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ  
 الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَنْتَرِغُ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَانِدَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا  
 بِالْإِسْتِرْحَامِ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرَيْنَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَمٌ ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ تَمٌّ، فَلَوْ أَنَّ  
 امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا.

فَيَا عَجَبًا ! عَجَبًا - وَاللَّهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ لَهُمُ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ  
 الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٥٤.

<sup>٢</sup> - أخو غامد هو سفيان بن عوف الأزدي من بني غامد وهي قبيلة من اليمن. وجهه معاوية بن أبي سفيان سنة تسع وثلاثين  
 في ستة آلاف رجل وأمره أن يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها ، فأتى إليها وحمل ما كان في الأنبار من الأموال  
 ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر عليًا فسرّح سعيد بن قيس أثر القوم فخرج في طلبهم فلم يلحقهم فرجع. وفي سنة خمسين من  
 الهجرة غزا ابن عوف أرض الروم مع بسر بن أرطاة؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٨٥؛ محمد عبده، م. س.،  
 ص ٥٧.

<sup>٣</sup> - الأنبار مدينة على الفرات في غربي بغداد ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ، ثم جدّها أبو العباس السفّاح أول  
 خلفاء بني العبّاس وبنى بها قصورًا وأقام بها إلى أن مات . فتحت الأنبار أيام الخليفة الأول أبي بكر سنة اثنتي عشرة من  
 الهجرة على يد خالد بن الوليد؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧-٢٥٨.

تَعْرُونَ ، وَيَعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ! فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ أَمَهْلُنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةُ الْقَرِّ... فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَفْرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ! يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعَقُولُ رِبَاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُم... لَقَدْ مَلَأْتُ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُونِي نَغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُكُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخَذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. اللَّهُ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مَرَأَسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغَتْ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذُرْفْتُ عَلَى السَّيْتَيْنِ! وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ! <sup>١</sup>.

تفاعل في الخطاب تناصّات عدّة مشكّلة بنية خطابية الداعي منها بيان قضية سياسية. فقد أشار إلى حادثة سطو سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار. وانتهى الخطاب بتناصّين: الأول تاريخي، والثاني مثل عربي. فقد افتتح عليّ النصّ بقوله: " فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ " بغرض تشويق المتلقّي واستثارة دافعيّته للجهاد في سبيل الله مؤكّداً أنّ الجهاد " لباس التقوى " ، ويحيل إلى الآية: " وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ " <sup>٢</sup>. وأنهى عليّ النصّ بالمثل الذي دلّ على عدم استجابة أهل الكوفة لدعوة الجهاد فقال: " لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ " <sup>٣</sup>. وقال الغروي في شرح المثل: " جاء من باب المبالغة في عدم تحقيق الأهداف السامية عند تركهم طاعة الإمام من أمرهم جهاد العدو " <sup>٤</sup>.

وبرأ عليّ نفسه من اتّهام قريش له فقال: " حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ "، ووجّه التّهمة إلى أهل الكوفة الذين لم يطيعوا إمامهم من خلال المثل. وقال ابن ميثم في شرحه للمثل: " ثمّ بيّن أنّ السبب في فساد حال أصحابه ليس ما تخيّل قريش فيه من ضعف الرأي في الحرب، بل عدم طاعتهم له ويشير عليهم به وذلك قوله: ولكن لا رأي لمن لا يُطَاعُ. فَإِنَّ الرَّأْيَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ بِمَنْزِلَةِ الْفَاسِدِ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا " <sup>٥</sup>. فأتى التناصّ بداعٍ سياسي.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٥٦.

<sup>٢</sup> - الأعراف، ٢٦ / ٧.

<sup>٣</sup> - ذكر الميداني المثل " لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ " ورقم المثل ٣٦٦٢ ونسبه لعليّ بن أبي طالب؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٥١.

<sup>٤</sup> - محمد الغروي، الأمثال والحكم المستخرجه من نهج البلاغة، ص ٣٨٨.

<sup>٥</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٠.

ويلاحظ الداعي السياسي في خطابه الذي صور مشهد اجتماع الناس حول عليّ للمبايعة في

قوله:

"فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبْعِ ، يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،  
حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عَطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيبَةِ الْغَنَمِ . فَلَمَّا  
نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَنَتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَفَسَقَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ يَقُولُ : "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" وَلَكِنَّهُمْ حَلَبَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرَجُهَا..."<sup>١</sup>

أكد النصّ على ضرورة التحليّ بالقناعة في التناصّ القرآنيّ الذي أحال إلى قوله تعالى:  
"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا..."، ونهى عن التعلّق بالدنيا  
الاغترار بزينتها في قول عليّ : "ولكنهم حلّبت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها..."، وتفاعل  
المثلان: "كَعُرْفِ الضَّبْعِ" ، "كَرَبِيبَةِ الْغَنَمِ" ، لبيان مدى الازدحام عليه والرغبة في تنصيبه. وشرح  
محمد الغروي المثلين: "لعدم المعارضة وتسليم القوم له من غير خلاف... ويمكن أن يريد به الكثرة  
المؤكدة لقوله: "مجتمعين حولي" لذكره المثل له . كما يقال: ربيعة ومضر . تمثيلاً للكثرة ..."<sup>٢</sup>.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح المثلين: "عُرف الضبع ثخين، ويضرب به المثل  
في الازدحام. وينتالون: يتتابعون مزدحمين... والمعنى خُدش جانبَي لشدة الاصطكاك منهم  
والزحام... وقوله "كَرَبِيبَةِ الْغَنَمِ" أي كالقطعة الرابضة من الغنم، يصف شدة ازدحامهم حوله،  
وجنّومهم بين يديه"<sup>٣</sup>. ويلاحظ الداعي السياسي من تناصّ المثلين. فقد صور المشهد السياسيّ مبايعة  
الناس لعليّ على الخلافة. ووصف عليّ في نصّ آخر العرب وتاريخهم القديم قبل الإسلام فقال:

"إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ  
مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةِ خُشْنٍ ، وَحَيَّاتِ  
صُنْمٍ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ ، وَتَسْقُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ،  
الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ "<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٥.

<sup>٢</sup> - محمد الغروي، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص ٣٣٧.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥٥.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٥٦.

إنّ الداعي من التناصّ التاريخيِّ سياسيٍّ ، لأنّه يصف الحالة الاجتماعيّة، وثمّ يُحيل في نهاية الخطاب إلى البيعة في قوله: " وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا... " ، وأكّد ناصر مكارم الشيرازي أنّ عليّاً: " يتطرق في هذا القسم من الخطبة إلى أوضاع العرب في الجاهليّة. فيرسم صورة واضحة الملامح عن حياتهم من خلال الأبعاد الفكريّة والعاطفيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة... ويبدو أنّ الإمام استهلّ الخطبة بهذا الكلام ليذكّرهم بالعصر الجاهليّ الذي سبق الإسلام فيقارنونه بما بعد البعثة النبويّة فيقفوا على قيمة الإسلام...<sup>١</sup> . فقد تغيّر الواقع السياسيّ المُعاش بفضل بعث النبيّ محمّد للعالمين ، ثمّ انتقل الخطاب إلى سبب عدم مبايعة عمرو بن العاص ومعاوية له فقال في آخر النصّ: " ولم يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا فَلَا ظَفَرَتْ يَدُ الْبَائِعِ ... " ، فأدّى ذلك الانقلاب عليه إلى قلة عدد المناصرين وتفرّقهم عنه: " فَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ " . فأحال التناصّ التاريخيّ إلى الداعي السياسيّ .

ويظهر التناصّ الداخليّ بين الخطابين في قوله: " وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَقَمِ " <sup>٢</sup> ، وفي قوله: " قَرَأْتُ أَنْ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا " <sup>٣</sup> . فقد توافق التناصّان بداعٍ سياسيٍّ ، وأكّد ذلك ناصر مكارم الشيرازي في قوله: " تشبه هذه العبارات تلك التي وروت في الخطبة الثالثة المعروفة الخطبة الشقيقيّة ، بل هي أشدّ وقعاً منها " <sup>٤</sup> .

وتداخل المثل التاريخيّ القصصيّ في الخطب كالمثل الذي يحكي حدثاً تاريخياً في قوله :

" أَتْلُوا عَلَيْكُمُ الْحِكْمَ فَتَتَفَرُّونَ مِنْهَا ، وَأَعْظُكُمُ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحْكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَْادِي سَبَا ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ... " <sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٧١.

<sup>٢</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٥.

<sup>٣</sup> - محمّد عبده، م. ن.، ص ٣٢.

<sup>٤</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، م. س.، ج ٢، ص ٧٨.

<sup>٥</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ١٣٧.

وموضع التناصّ قوله: "أيادي سبأ" ويُقصد به انعدام وحدة الصف والكلمة، وقال ابن أبي الحديد في شرح المثل: "وأيادي سبأ مثل يُضرب للمتفرّقين، وأصله قصّة ذكرت في القرآن عن أهل سبأ: "وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ"<sup>١</sup>، ولقد بيّنا هذا المثل بالتفصيل سابقاً<sup>٢</sup>.

تفاعل المثل والنصّ لداعٍ سياسي. فقد نعت عليّ جيشه بالفرقة وضياع اللحمة كأيادي سبأ، فقال محمد الغروي في شرح المثل: "يُضرب المثل المذكور لبيان تفرّق القوم المقصود جمعهم... لقد كان أمير المؤمنين يُعاني من تفرّق أصحابه، المسبّب لإبائهم بغلبة العدو عليهم"<sup>٣</sup>، لذا يعقد المقطع مقارنة بين المجتمع المحيط بالنبيّ محمد والمجتمع المحيط بعليّ ومدى طاعة كلّ مجتمع بقائده ذاكراً المثل التالي: "ذهبوا أيادي سبأ..."، وشرحه البيهقي بقوله: "تفرّقوا تفرّقاً لا اجتماع لهم بعده"<sup>٤</sup>. ونلاحظ تفاعل تناصّ الشعر والنصّ، لينتج عنه قصّة تاريخيّة في قوله:

"...فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمَجْرَبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعَقِّبُ  
النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُوناً رَأْيِي، لَوْ  
كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجَفَاءَ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةَ، حَتَّى  
ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:  
أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ تَسْتَسَيِّبُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ"<sup>٥</sup>.

تدلّ مخالفة أصحاب عليّ له بعد التحكيم على الداعي السياسي. فقد ورد تناصّ المثل للدلالة على مخالفتهم رأي عليّ بن أبي طالب في قوله: "لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ"، وقال محمد الغروي في شرحه للمثل: "وهذا مثل يُضرب لمن خالف نصّح الناصح، ولقد شوهد حلول الويل على من خالف النصّح من نوي الإشفاق، هل أحد أشفق من أمير المؤمنين على الرعيّة وأسدّ رأياً منه؟"<sup>٦</sup>.

وفضلاً عن تناصّ المثل في النصّ نلاحظ تفاعل شعر دريد حينما عصى أخوه أمره<sup>٧</sup>، وقد قال البيهقي عن البيت الشعري: "ويقال في المثل: أعصى من أبي ذفافة وهو عبد الله بن الصمّة،

<sup>١</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٥٢؛ والآية ومن سورة سبأ، ٣٤ / ١٩.

<sup>٢</sup> - انظر قصّة سبأ ص ١٢٨.

<sup>٣</sup> - محمد الغروي، الأمثال والحكم المستخرجه من نهج البلاغة، ص ٧٦.

<sup>٤</sup> - البيهقي، معارج نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٤١.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٧.

<sup>٦</sup> - محمد الغروي، م. س.، ص ٤٢٤.

<sup>٧</sup> - انظر مناسبة المثل ص ٦٤.



لأنه عصى أخاه دريد بن الصمة. فشبه أمير المؤمنين نصيحته بنصيحة دريد، وغفلة قومه وعصيانهم بغفلة عبد الله بن الصمة وعصيانه<sup>١</sup>.

ويُعدّ المقطع الذي أماننا قصّة ثلاثة تفاعلت مع قصّة قصير وقصّة دريد بن الصمة . فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني سبب تمثّل عليّ بالبيت الشعري قائلاً: " لَمَّا اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرقت الخوارج وقالوا له : ارجع عن أمر الحكمين وتب واعترف بأنك كفرت إذ حكمت ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه وفارقوه ، تمثّل بقول دريد:

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى      فَلَمْ يَسْتَبَيِّنُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ<sup>٢</sup>.

وخلاصة القول في هذا المقطع أنّ التفاعل النصّي قام على تناصّين: مثل وشعر أدّيا معاً إلى استدعاء قصّتين. فقد أحال تناصّ المثل إلى قصّة قصير وجذيمة ، فلخصّ الميداني قصّة المثل في قوله: " كان جذيمة ملك على شاطئ الفرات، وكانت الزبّاء ملكة الجزيرة ، فأجّدت أن تغزو جذيمة، ثمّ رأت أن تكتب إليه : أن أقبل إليّ لأجمع ملكي إلى ملكك وأصل بلدي ببلادك ... فعرض على أهل الحجا والرأي أن يسير إليها فيستولي على ملكها وكان فيهم قصير ... فخالفهم فيما أشاروا به ، وقال : رأي فاتر ، وغدر حاضر ، فذهبت كلمته مثلاً... فلم يوافق جذيمة ما أشار به... وعصى قصيراً فقال قصير: لا يطاع لقصر أمر فذهبت مثلاً...<sup>٣</sup>.

وأحال تناصّ الشعر إلى قصّة دريد بن الصمة وأخيه عبد الله بن الصمة . فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني سبب البيت الشعري فقال: " فأما عبد الله بن الصمة فإنّ السبب في مقتله أنّه كان غزا غطفان ... في يوم يقال له يوم اللوى ... فقال له أخوه دريد يا أبا فرعان ... نشدتك الله ألا تنزل فإنّ غطفان ليست بغافلة عن أموالها ، فأقسم لا يقيم حتّى يأخذ مربّاعه ، وينقع نقيعه فيأكل ويطعم ... ولكنّ رجلاً من بني قارب وهم من بني عبس قتل عبد الله الصمة في الواقعة ... وقال دريد يرثي أخاه عبد الله ...

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى      فَلَمْ يَسْتَبَيِّنُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ<sup>٤</sup>.

فأحال تناصّ القصّتين إلى الداعي السياسي .

<sup>١</sup> - البيهقي، معارج نهج البلاغة، ج ١، ص ٣١٥.

<sup>٢</sup> - الأصفهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ١٠.

<sup>٣</sup> - الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢٥٧.

<sup>٤</sup> - الأصفهاني، م. س.، ج ١٠، ص ٧.



### ثالثاً: الداعي الاجتماعي

عالجت خطب نهج البلاغة قضايا اجتماعية مختلفة كقضايا المجتمع وعلاقة الناس بعضهم ببعض وقضايا الفرد وعلاقته مع أسرته وأساليب التعامل مع كل فرد كتعامل الرجل مع المرأة. فقد أمر عليّ بالتعامل الحذر مع المرأة، وذلك في خطابه الآتي الذي بين فيه كيفية التعامل مع المرأة :

" إِنْ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْخُلُوفِ ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ : فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نَقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نَقْصَانُ خُلُوفِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ ، فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ <sup>١</sup> .

يُعالج المقطع قضيتي اجتماعية في كيفية التعامل مع المرأة . فقد نعتها بنقص الإيمان والعقل بسبب اهتمامها بالالتزامات الاجتماعية العائلية والأسرية ، وعدّد محمد عبده تلك الالتزامات في قوله: " أن الله خلق النساء وهن مشغولات بأعباء منزلية وحمل وولادة وتربية أولاد فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكُنَّ في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث <sup>٢</sup> . ويؤكد على ضرورة الاهتمام بالمرأة بأن أمر الرجال بمراعاتهن في حالة اتصافهن بالشر أو الخير .

وبالاستناد إلى ما ألمحت إليه جوليا كريستيفا أن "كل خطاب يكون في علاقة تماثل (Similarity) وتطابق أو انعكاس مع خطاب آخر يُعتبر محتملاً. ونقصد كريستيفا بالمحتمل الجمع بين خطابين مختلفين ينعكس أحدهما على الآخر ويكون بمثابة المرأة، ويتطابق معه خارج كل اختلاف... <sup>٣</sup> ، فإننا نجد قيام علاقة تمازج نصّي (Mixing Text) بين المقطع والتناص القرآني في قوله تعالى: "فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ" وهو تناص قرآني ضمني لقوله: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى... <sup>٤</sup> . فجعلت الشريعة شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٩٨.

<sup>٢</sup> - م. ن. ، ص ٩٨.

<sup>٣</sup> - جوليا كريستيفا، علم النص، ص ٤٦.

<sup>٤</sup> - البقرة، ٢/ ٢٨٢.

لغلبة العاطفة على عقلها. وأثبت ناصر مكارم الشيرازي ذلك فقال: "شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد فذلك لغلبة الجانب العاطفي عندها وهي تتأثر بهذه العواطف، الأمر الذي يدفعها للشهادة لصالح أحد والإضرار بآخر"<sup>١</sup>. فبين التناصّ القرآنيّ أهميّة المرأة ودورها الفعّال في المجتمع .

ودعت خطب نهج البلاغة إلى أن يُحسن الفرد علاقاته مع الناس ويسعى نحو معاملتهم بالخلق الحسن كالخطاب الآتي:

"...فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ... فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْزَى بِهَا لِثَامُ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ... وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ نُوْهُ أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ. إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْتُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْتُ الْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لَأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ... وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ"<sup>٢</sup>.

يُوجد في النصّ ثلاث آيات قرآنيّة: الأولى في قول عليّ: "إِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ"، وذكر البيهقي أنها مأخوذة من قوله: "يُذَبَّرُ الْأَمْرُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ..."<sup>٣</sup>، والثانية في قوله: "فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ"، وتحيل العبارة إلى قوله تعالى: "...وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا..."<sup>٤</sup>، وأما الثالثة ففي قوله: "...إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْتُ الدُّنْيَا..." وتحيل العبارة إلى قوله تعالى: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"<sup>٥</sup>.

وأحال التناصّ القرآنيّ إلى الداعي الاجتماعيّ، ويُرَاد منه الدعوة إلى الألفة والتوحد العشائريّ والنهي عن حسد الميسورين الذين عبّر عنهم بكلمة "غَفِيرَةً"، فلا يُخَاصِمُوا أو يُقَاطِعُوا أو يُنَقِمَ عليهم حسداً على ما أنعم الله عليهم وذلك في قوله: "فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً". ويغلب على المقطع الدعوة إلى التحليّ بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرياء والسمعة في قوله: "وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْتُ الْآخِرَةِ... وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ".

<sup>١</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٧.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٥١.

<sup>٣</sup> - البيهقي، معارج نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٨٥؛ والآية من سورة المجدة، ٣٢/٥.

<sup>٤</sup> - آل عمران، ٣/١٩٨.

<sup>٥</sup> - الكهف، ١٨/٤٦.

ويلاحظ أنّ معظم الخطب تدعو إلى الأخلاق الحميدة وتأمّر بحسن التعامل مع أفراد المجتمع. ويُعدّ النصّ الآتي مثالا على ذلك:

"مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحًا بِلا أَشْبَاحٍ، وَنُسَاكًا بِلا صَلَاحٍ، وَتُجَارًا بِلا أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاطًا نُومًا، وَشُهُودًا غُيْبًا، وَنَاطِرَةً عُمِيًّا، وَسَامِعَةً صُمًّا، وَنَاطِقَةً بُكْمًا!... أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ، وَتَتَّبِعُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمْ الْكَوَازِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ، وَأَنَّى تُؤَفِّكُونَ؟... وَلَيْصَدُقَ رَأْيُ أَهْلِهِ، وَلِيَجْمَعَ شَمْلُهُ، وَلِيُخْضِرَ ذَهْنُهُ... فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاعِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَآخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا، وَالْمَطَرُ قَيْظًا، وَتَفَيْضُ اللَّثَامِ فَيْضًا، وَتَغِيضُ الْكَرَامِ غَيْضًا، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا، وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا، وَفُقَرَاؤُهُ أُمُوتًا، وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتَعْمَلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا، وَالْعَفَافُ عَجَبًا...<sup>١</sup>."

يقول عليّ أنّ الناس في المجتمع الحالي أصبحوا "أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونساکاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاطاً نوماً، وشهوداً غيباً، وناطرة عمياً، وسامعة صمماً، وناطقة بكماً"، ويشير النصّ إلى ضياع المجتمع وعدم صلاح سرائرهم وانتشار الفساد فيه في قوله: "رأية ضلالة قد قامت على قطبها".

وتفاعل التناصّ التاريخيّ المستقبليّ في قوله: "وكان أهل ذلك الزمان ذناباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه أموتاً، وغار الصّدق، وفاض الكذب، واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً"، ثم افترض لهم مستقبل مجتمعهم إذا بقوا على هذه الحالة فقال: "فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه، وركب الجهل مراكبه...". وبين أنّ الفساد ستفاقم مظاهره فقال: "وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتوآخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصّدق".

وتفاعل تناصّ المثل في النصّ كذلك في قوله: "وليصدق رأي أهلته". فقد طلب من الناس اتباع القائد الأمثل الذي لا يكذب على رعيته، فإن كذب فقد كذب على نفسه أولاً ثم رعيته. وعلّ

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٩.

الغروي سبب نفي عليّ الكذب عن القائد في قوله: "الرائد الذي يتقدّم القوم لطلب الماء والكلأ لهم فإن كذبهم أفسد أمرهم وأمر نفسه معهم لأنه واحد منهم ، ويضرب مثلاً للنصيح غير المتهم على من ينصح له"<sup>١</sup> ، وأضاف الغروي المثل لبيان "وظيفة الوالي على الرعيّة وقد فعل وقام بهذه الوظيفة ، وبقي على الرعيّة إحضار قلوبهم له والتلبية إن هتف بهم "<sup>٢</sup>. وكشف تناصّ المثل مهمّة الإمام كالهادي والمرشد للرعيّة فلا يخونهم ولا يغشّهم .

وألححت بعض الألفاظ إلى الداعي الاجتماعي كعقوق الابن لأبيه في قوله: "فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيِّظًا" ، واتّصاف الناس بالفجور والكذب في قوله: "وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكُذْبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ" ، وتحولهم إلى ذئاب يأكل بعضهم بعضاً حقداً وكراهية في قوله: "وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذَنَابًا" ، وانتشار الخصومة بينهم في قوله: "وَفُقْرَاؤُهُ أَمْوَاتًا ، وَغَارَ الصِّدْقُ ، وَقَاضَ الْكُذْبُ ، وَاسْتَعْمَلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ" . وحرّرت بعض النصوص من إبليس ، لأنه لا يجلب للمجتمعات إلا الخراب والدمار وسوء العواقب كالنصّ الآتي:

"فَاخْذَرُوا عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِذَاتِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفْزِكُمْ بِبِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ... وَقَالَ رَبٌّ يَمَّا أَغْوَيْتَنِي لِأَرْتِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَتُهُمْ أَجْمَعِينَ"... فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَكُمْ ، وَلَهُ جَدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فخرَ عَلَى أَصْلَكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجَلِهِ سَبِيلَكُمْ... فَأَطْفَنُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ...وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَالِقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبَرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ . وَاتَّخَذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجُلًا وَفَرَسَانًا، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعِظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَعَقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالزِّمَةَ أَنَاثَمَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَقَرُوا فِي التُّرَابِ وَجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَعْنَاقَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> - محمد الغروي، الأمثال والحكم المستخرجه من نهج البلاغة، ص ٤٢٧.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٤٢٨.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٤.

يُحِيل قول علي: "وَأَنْ يَجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ" إلى تناصّ قرآنيّ ضمّنِيّ في قوله تعالى: "وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا"<sup>١</sup>، وتفاعل التناصّ الصريح في قوله: "رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي..."<sup>٢</sup>، وحثّ النصّ الناس على ترك العصبيّة والأحقاد الجاهليّة ونبذ التكبر والبغي بين الناس والإفساد في الأرض، ودعا النصّ إلى التآلف الاجتماعيّ في قوله: "وَخَفَضُوا أُنْجَحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ" الذي يُحِيل إلى قوله تعالى: "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"<sup>٣</sup>.

وورد التناصّ التاريخيّ للدلالة على الداعي الاجتماعيّ في قصّة ولدي آدم قابيل وهابيل<sup>٤</sup> في قوله: "وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقْتَ الْعِظْمَةَ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أُنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالْزَمَهُ أَثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" وتفاعل التناصّ التاريخيّ ليُحذّر المجتمع من التباعد والتحاسد والتفكك. وعلّل حبيب الله الخوئي سبب ورود القصّة في المقطع في قوله "كونها في مقام التذكّرة والاعتبار أقوى تحذيرًا وتنفيرًا من التعزّز والاستكبار فقال: "وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ" أي لا تكونوا مثل قابيل الذي تكبر على أخيه هابيل وإنما قال ابن أمّه مع كونهما من أب وأمّ لأنّ الأبوين من أمّ أشدّ حنوًّا ومحبةً وتعاطفًا من الآخرين لأنّ الأمّ هي ذات الحضانة والتربيّة. ولذلك قال هارون لأخيه موسى مع كونه أخًا لأبيه وأمّه: "ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني"، فذكر الأمّ لكونه أبلغ في الاستعطاف فمقصوده أنّ قابيل مع كونه هابيل ابن أمّه المقتضي للعطوفة والمحبة تسلط عليه الشيطان فأفساده محبة الأخوة فتكبر عليه وقتله..."<sup>٥</sup>.

ودعا عليّ في نصّ آخر إلى وضع الأمور في موازينها الصحيحة كرفع من يستحقّ رفعه وعدم المبالغة في حبّ الدنيا مستشهدًا بآية قرآنيّة أحالت إلى الداعي الاجتماعيّ في قوله:

١- الإسراء، ١٧/٦٤.

٢- الحجر، ٣٩/١٥.

٣- الشعراء، ٢٦/٢١٥.

٤- قابيل وهابيل: ولد لآدم ابنان يُقال لهما قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما، وإنهما قريبًا قريبًا إلى الله وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة فتقبّل الله قربان هابيل فغضب قابيل وقال: لأقتلك، فطلبه ليقتله، فرفع صخرة فشرخ بها رأس هابيل فمات؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ١٠٥-١٠٦.

٥- حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ١١، ص ٢٤٦؛ والآية من سورة الأعراف، ٧/١٥٠.

"وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَّاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهًا . أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعُنُونُ ، وَالْجَامِحَةُ الْحُرُونُ ، وَالْمَائِنَةُ الْخَاوِنُ ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ . حَالَهَا انْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زَلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ... فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٌ ، وَلَحْمٌ مَجْزُورٌ ، وَشَلْوٌ مَذْبُوحٌ ، وَدَمٌ مَسْفُوحٌ ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٌ لِكَفِّهِ ، وَمُرْتَفِقٌ بِخَدَّيْهِ ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٌ عَنْ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَذْبَرَتِ الْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ " . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلِهَا ، " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ " <sup>١</sup> .

وصف النصّ أحوال الناس في المجتمع وعدّد أوضاعهم في قوله: " فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٌ ، وَلَحْمٌ مَجْزُورٌ ، وَشَلْوٌ مَذْبُوحٌ ، وَدَمٌ مَسْفُوحٌ ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٌ لِكَفِّهِ ، وَمُرْتَفِقٌ بِخَدَّيْهِ ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٌ عَنْ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَذْبَرَتِ الْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ " ، وأشار النصّ أن مصير من غفل الحسرة والندم في قول عليّ: " وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٌ لِكَفِّهِ " . وأحال التناصّ القرآنيّ الصريح في النصّ " وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ " إلى قوله تعالى: " كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ " ، وختم النصّ بتناصّ قرآنيّ صريح في قوله تعالى: " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ " <sup>٢</sup> وتفاعلت التناصّات والنصّ لتحيل إلى داع اجتماعيّ وهو عدم اغترار المجتمع بالدنيا . أوضح محمّد عبده علّة تشبيهه الدنيا بالمرأة في قوله: " شبه الدنيا بالمرأة المتبرّجة المستميلة ... وبالدابة تسبق الدواب ... والمائنة أي الكاذبة . والخؤون : مبالغة في الخائنة ... يريد بهذه الأوصاف أن الدنيا في طبيعتها لؤم فمن سالمها حاربتة ومن حاربها سالمته " <sup>٣</sup> .

وقارن في نصوص أخرى بين مستوى معيشة الغنيّ والفقير من خلال التناصّ القرآنيّ فقال:

" ... وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ ، فَقَالُوا: "نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ" فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُهُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بَيُّوْنَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ ، بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنْ

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥١؛ والآية من سورة الدخان، ٢٩ / ٤٤ .

<sup>٢</sup> - الدخان، ٢٩ / ٤٤ .

<sup>٣</sup> - محمّد عبده، م. س. ، ص ٢٥٢ .



الْحِفْظَ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءَ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةَ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةَ لِلْكَبِيرِ، وَالْأَخْذَ بِالْفَضْلِ،  
وَالْكَفَّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامَ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافَ لِلخَلْقِ، وَالْكَظْمَ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابَ  
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ ،  
وَزَمِيمِ الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ "¹.

إنَّ الداعي من التناصِّ القرآنيَّ " نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ " بيان مدى  
الشرح والفجوة القائمة بين الغنيِّ والفقير . فالأغنياء يفتخرون باطلاً . فقد قال حبيب الله الخوئي  
"افتخروا بأموالهم وأولادهم ظناً بأنَّ الله إنَّما خولهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا إذا رزقنا  
وحرمتهم فنحن أكرم منكم وأفضل عند الله فلا يعذبنا على كفرنا بكم ... ، ولَمَّا وبَّخهم على  
التعصَّبات الباطلة أرشدهم إلى التعصَّبات المرغوبة في الشريعة ... "². ولعلَّ الخطاب خاصٌّ  
لشريحة معيَّنة من المجتمع وهي طبقتي الغنيِّ والفقير، ولكنَّه في الخطاب الآتي يصف المعيشة  
الاجتماعيَّة السائدة في المجتمع الجاهليَّ على وجه العموم في قوله:

" وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ  
خُسْنٍ ، وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْقُونَ دِمَاءَكُمْ،  
وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامَ فِيكُمْ مَنصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ . فَنَظَرْتُ فَإِذَا  
لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ... "³.

يصف المقطع الوضع الاجتماعيَّ الذي عاشه العرب في الجاهليَّة . ولَمَّا كان هذا وضعهم  
فلن يخوض عليَّ حرباً بأولاده فيموتون فيها، لشدَّة حبه وتعلقه بهم، وعبرَ عن ذلك بكلمة "ضنين".

ويُحيل التناصُّ التاريخيَّ في المقطع إلى داعٍ اجتماعيٍّ . فقد سادت في زمن الجاهليَّة أنماط  
معيشيَّة سيِّئة كسفك الدماء وقطعية الرحم ، وذكر عبَّاس الموسوي في شرحه لهذا المقطع أضرار  
الحروب في الجاهليَّة فقال: " فقد كانت الغارات تُسَنِّ منهم على بعضهم وكانت حروبهم على أنفه  
الأموار وأحقرها كحرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء ... فإنَّ هذه الحروب كانت تقطع وشائج  
القربى وتفصل القريب عن قريبه فقرابة النساء معدومة لا تُوصَل ... "⁴.

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٠؛ والآية من سورة سبأ، ٣٤ / ٣٥.

²- حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ١١، ص ٣٠٩.

³- محمد عبده، م. س.، ص ٥٦.

⁴- عبَّاس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١٤.



ويُقَسَّم عليّ الناس في المجتمع إلى أربعة أقسام من خلال بيان الوضع التاريخي الراهن في قوله: "إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ"، وذلك في خطابه الآتي:

"...إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا... فَالْنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ... وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشْرَهُ... وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولُهُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَرَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ... وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَأَقَ نُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ... فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُنَالَةِ الْقَرْظِ... وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ".<sup>١</sup>

أتى الداعي من التناصّ التاريخي اجتماعيًا. فقد استعرض عليّ بعض المظاهر الاجتماعية التي آل إليها المجتمع الإسلامي، وقال محمد عبده في شرحه للمقطع: "فقد أصبحوا في زمن جائر يُعَدُّ المحسن في نظر الناس مسيئًا"<sup>٢</sup>. ودعا النصّ إلى الاتّعاظ بالأُمم السابقة واتّخاذهم عظة وعبرة. وأكد حبيب الله الخوئي في شرحه للمقطع على ضرورة أخذ العبرة من "الأُمم السالفة والتنبّه على أنّهم مفارقون لدينا وكائنون عبرة لغيرهم، كما أنّ السابقين عليهم صاروا لهم عبرة..."<sup>٣</sup>. فنلاحظ بعض الخطب تقوم بتحويل تاريخ الآباء عبرة للأبناء كالنصّ السابق والمقطع الآتي كذلك:

"أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثَلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قَدَنَتَهُمْ، وَتَطْوُونَ جَانَتَهُمْ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَا هِيَّةَ عَنْ رُسْدِهَا".<sup>٤</sup>

يُشير التناصّ القرآني للداعي الاجتماعي من خلال الألفاظ الآتية: "أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ، وَإِخْوَانَهُمْ". وأحال قوله: "فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ" إلى تناصّ قرآني لقوله تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً"<sup>٥</sup>، فقال ناصر مكان شارحًا النصّ: "نعم إذا قسى قلب الإنسان أعمته عن كلّ هذه الحقائق..."<sup>٦</sup>، وذكر المقطع بالآباء والإخوان للدلالة على التآلف الأسري.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٣.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٦٣.

<sup>٣</sup> - حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ٤، ص ٤٩.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٠٥.

<sup>٥</sup> - البقرة، ٧٤ / ٢.

<sup>٦</sup> - ناصر مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٤١.

## رابعاً: الداعي الأخلاقي

إنَّ فنيَّة الانتقال من موضوع إلى آخر في خطب النهج تُنتج تنوعاً في المعاني. فقد عبّر محمد عبده عن شعوره وهو ينتقل من موضوع لآخر في نصوص النهج في قوله: "كلّما انتقلتُ من موضع إلى موضع أحسُّ بتغيّر المشاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية... وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه بأسرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النمر ومخالب النسور قد تحفّزت للوثاب... وأحياناً كنت أشهد أنّ عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتّصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ونما به إلى مشهد النور الأجلّي...".<sup>١</sup> ويظهر فنيَّة الانتقال من موضوع إلى آخر في نصّه الذي تحدّث فيه عن نشأة الخلق ووصف خلق السماء والأرض وخلق آدم، ثم الحديث عن فريضة الحج بغرض الوصول إلى الداعي الأخلاقي، فيدعو إلى التحلّي بصفة التواضع في قوله :

"...وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، بِرِثُونِهِ وَرُودِ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عِلَامَةً لِقَوَاعِهِمْ لِعِظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا، وَلِلْعَالَمِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ".<sup>٢</sup>

وأبرز ما يميّز هذا المقطع أنّه بدأ بفرض الحج ووجوبه على الناس وانتهى بآية قرآنيّة تُوجب فريضة الحج . وأشار حبيب الله الخوئي إلى هذا التناسق الإبداعي في قوله: " اعلم أنّ فاتحة كلامه في هذا الفصل كخاتمته مشتملة على ذكر وجوب الحج وفرضه ، وتالي الفاتحة ومثلّو الخاتمة متطابقان في وصف البيت الحرام والواسطة بينهما واردة في أوصاف الحجاج الكرام ومدائحهم والثناء لهم ، فهو أبلغ الكلام على أحسن نظام"<sup>٣</sup>، فنستشف الداعي من الاستدعاء أخلاقي من خلال أداء فريضة الحج التي تدعو إلى التواضع والاعتراف بعزّة الله وذلّ العبد .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ص ٩.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٢٩.

<sup>٣</sup> - حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ١، ص ١٨٦.

ولتتأصّ المثل العربيّ السائر إحياءات في الداعي الأخلاقي . فيلاحظ في بعض النصوص عدم التصريح بصفة التواضع ، ولكنّ مضمون التأصّل دلّ عليها ، فالدّعوة إلى عدم التأخر في المقطع إشارة إلى ضرورة التحلي بصفة التواضع. وأسّمينا هذا الأسلوب الإحياء واخترنا المثل نموذجاً من خلال المقطع الآتي:

"...شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ، مَاءً آجِنٌ ، وَلُقْمَةً يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَمَجْتَبًى الثَّمَرَةَ لغيرِ وَقْتٍ إِنْبَاعِهَا كَالزَّرَّارِ عِغْيَرِ أَرْضِهِ... فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي! وَاللَّهِ لَا بَيْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِئْذِي أُمِّهِ، بَلْ انْدَمَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطِرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ! ... "¹.

يدعو استدعاء تأصّل المثل " بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي " إلى التواضع والقناعة بما قسمه الله فهو استدعاء أخلاقيّ (Moral Recall) . وأشرنا إلى معنى المثل ومناسبتة سابقاً². وتداخل المثل مع خلق التواضع بأسلوب الإحياء وليس التصريح به في قوله: "وَضَعُوا تِيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ"، وتدلّ العبارة على رفض التكبر والاتّصاف بالتواضع ، وبين محمد عبده المقصود منها في قوله: "والقصد ضَعُوا تِيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ عَنْ رُؤُوسِكُمْ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ طَاطَنُوا رُؤُوسَكُمْ تَوَاضَعُوا وَلَا تَرْفَعُوهَا بِالْمَفَاخِرَةِ... "³. ويُقصد بقوله: "هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهِ لَا بَيْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِئْذِي أُمِّهِ" دفع الشبهة عن الذين يتوهمون أنّ التفاخر مطلوب في أيّ موضع، فلا يصحّ تفاخر المؤمن على صاحبه المؤمن، بل موضع الافتخار في ساحات الحرب. ويحيل تأصّل المثل في المقطع الآتي على التواضع كذلك:

"...الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ لَعِبْدًا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ. جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرٌ بَغْيَرٍ دَلِيلٍ ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ ، أَوْ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ، وَكَأَنَّ مَا وَلَّى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ!... "⁴.

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٨.

²- انظر معنى المثل ص ٥٧ - ٥٨.

³- محمد عبده، م. ن.، ص ٣٨.

⁴- م. ن. ، ص ١٤٣.

اعتبر ابن أبي الحديد قول علي: " الْعَالَمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ " مثلاً سار عليه الناس في قوله: "العالم من عرف قدره ، من الأمثال المشهورة عنه وقد قال الناس بعده في ذلك فأكثرُوا..."<sup>١</sup>، وأحالنا تناص المثل إلى داعٍ أخلاقي لم يُصرِّح به ، بل توصلنا من خلال إحياء المضمون إلى صفة التواضع والقناعة.

ويحت علي في المقاطع السابقة على الاتصاف بصفات حسنة ، بينما يُحيل إلى صفة سيئة في قريش:

" ... وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَدْنُونَ ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا ، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونٌ رَوَّاحِلُهَا ، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا ، مِنْ أَعْدَادِ الدَّارِ ... أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمَزِلُّونَ . يَتَلَوْنُ الْوَأَنَّا ، وَيَفْتَنُونَ افْتِنَانًا ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ... "<sup>٢</sup>.

يظهر من تناص المثل الإحالة الأخلاقية. فقد حذر المقطع من صفة التلون أو النفاق في قوله: "وَتَلَوْنَ لَهُ الْأَدْنُونَ أي تغيّر عليه أقاربه ألواناً"<sup>٣</sup>، فتغيّرت أفكار قريش اتجاهه وحاربوه بعد أن كان يُعرف بينهم بالصادق الأمين. وقال ابن أبي الحديد شارحاً المثل: "وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا مثل معناه أوجفوا إليه مسرعين لمحاربتة، لأنّ الخيل إذا خلعت أَعْنَتَهَا كان أسرع لجريها"<sup>٤</sup>. فقد قرّب المثل المعنى، فأوضح تأهّب العرب ومسارعتهم لقتال النبي محمد والقضاء على الإسلام. وقال ابن ميثم شارحاً المثل: "وقوله: وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونٌ رَوَّاحِلُهَا... مثلاًن كنى بهما عن المسارعة إلى حربه لأنّ أقوى عدو الخيل إذا خلعت أَعْنَتَهَا وأقوى عدو الرواحل إذا ضربت بطونها، وفيه إيحاء إلى أنّهم أتوه فرساناً وركباناً مسرعين إلى حربه"<sup>٥</sup>.

وأما ورود المثل القائل "وَلْيَصْنُقْ رَائِدُ أَهْلَةٍ" في المقطع الآتي فيُحيل إلى صفة الصدق مع

الناس :

<sup>١</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٧٥.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٩.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، م. س.، ج ١٠، ص ٣٢٧.

<sup>٤</sup> - ابن أبي الحديد، م. س.، ج ١٠، ص ٣٢٧.

<sup>٥</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٦٠٦.

"... فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ ، وَأَخْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ ، وَلِيَصْدُقَ رَأْيُ أَهْلِهِ ، وَلِيَجْمَعَ شَمْلُهُ ، وَلِيُحْضِرَ ذَهْنُهُ ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخُرْزَةَ ، وَفَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالِ السَّبْعِ الْعُقُورِ ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ ، وَتَوَآخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكُذْبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ ..."<sup>١</sup>

لم يقتصر المثل على استدعاء صفة واحدة، بل إلى صفات أخلاقية مختلفة. فقد نصح عليّ باليقظة من زمان يكثر فيه الفجور ويضيع الدين ويحبّ الناس الكذب ويبغضون الصدق. وتعني كلمة الرائد في شرح ابن أبي الحديد: "الذي يتقدّم المنتجعين لينظر لهم الماء والكلأ وفي المثل الرائد لا يكذب أهله"<sup>٢</sup>، وأشار ابن أبي الحديد في موضع آخر من كتابه "ثمّ أمر بالتقوى وقال: 'ليصدق رائد أهله'، والرائد: الذاهب من الحيّ يرتاد لهم المرعى، وفي أمثالهم: 'الرائد لا يكذب أهله'، والمعنى أنّه أمر الإنسان بأن يصدق نفسه ولا يكذبها بالتسويف والتعليل..."<sup>٣</sup>.

وقد يتصل التناصّ القرآنيّ بالنصّ اتّصالاً (Communication) صريحاً أو ضمناً لإنتاج الداعي المتناسق مع مضمون النصّ. فيؤدّي الداعي الأخلاقيّ في التناصّ القرآنيّ إلى تذكير المتلقّين ووعظهم كالمقطع الآتي :

"وَاعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبَثَ ظَاهِرُهُ خَبَثَ بَاطِنُهُ ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ : " إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ "..."<sup>٤</sup>.

ذكر ابن أبي الحديد أنّ المقطع يحتوي على آية قرآنية فقال: "هذا الكلام مشتقّ من قوله تعالى: "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَإِخْرَاجِ إِلَّا نَكِدًا"، وهو تمثيل ضربه الله لمن ينجع فيه الوعظ والتذكير من البشر..."<sup>٥</sup>. ولا يخلو التناصّ القرآنيّ في خطب نهج البلاغة من العبرة والعظة والدعوة إلى التحلّي بالأخلاق الفاضلة والتخلّي عن الأخلاق الذميمة كقوله:

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٥٠.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١٣٠.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ج ٩، ص ١٢١.

<sup>٤</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ١٩٧.

<sup>٥</sup> - ابن أبي الحديد، م. س.، ج ٩، ص ١٢١؛ والآية من سورة الأعراف، ٧ / ٥٨.

" أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ ، وَأَذْنَتْ بِانْقِضَاءِ ، وَتَتَكَرَّرُ مَعْرُوفُهَا ، وَأَذْبَرَتْ حَدَاءَ ، فَهِيَ تَحْقِرُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا ، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ، وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ خُلُوءًا ، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِذَاوَةِ ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّرَهَا الصَّدَيَانِ لَمْ يَنْفَعْ ، فَازْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ ... "¹.

يبحث المقطع على التحلي بالأخلاق الحسنة لنيل الفوز في الآخر ، ويحذر من انتهاء مدة الحياة في الدنيا . فقد أحال قوله: " أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ " إلى الآية القرآنية: " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ "² ، ويحيل قوله: " الْمَقْدُورُ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ " إلى قول القرآن الكريم: " كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ "³.

وقال ابن ميثم في معنى التصرّم: " أَنْ تَصَرَّمَهَا هُوَ تَقْضِي أحوالها الحاضرة شيئاً فشيئاً بالنسبة إلى من وجد فيها في كل حين ، وَأَنْ إِذْنَهَا بِالانْقِضَاءِ هُوَ إِعْلَامُهَا بِلِسَانِ حَالِهَا لِأَذْهَانِ الْمُعْتَبِرِينَ أَنَّهَا لَا تَبْقَى لِأَحَدٍ "⁴. وأما معنى " الْمَقْدُورُ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ " فقال حبيب الله في شرحه: " ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ التَّنْبِيهِ عَلَى تَحْقِيرِ الدُّنْيَا وَالتَّنْفِيرِ عَنْهَا أَمَرَ بِالرَّحِيلِ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: فَازْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ " يعني إذا كانت الدنيا بهذه المثابة من الدناءة والحقارة معقبة صفوها للكدورة متغيرة حلاوتها إلى المرارة ، فلا بد لكم من العزم على الرحيل عنها... "⁵.

ويوجه علي خطاباً خاصاً لأهل العراق يدعوهم فيه إلى التآني والتفحص لدى سماع أي شائعة تُشاع عنه من قبل بني أمية ، فيورد آية القرآنية تحيل إلى قوله تعالى: " إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ "⁶. في خطابه:

" أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ ، وَمَاتَ قِيَمُهَا ، وَطَالَ تَأْيِمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا . أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا ، وَلَكِنْ جَبْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلَيَّ يَكْذِبُ ، فَأَنْتَ كُمْ اللَّهُ ! فَعَلَى مَنْ

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧٨.

²- القمر، ١٠٤ / ٢.

³- آل عمران، ٣ / ١٨٥.

⁴- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٩.

⁵- حبيب الله الخوني، منهاج البراعة، ج ٤، ص ٢٦٠.

⁶- ص، ٣٨ / ٨٧ - ٨٨.



أَكْذِبُ ؟ أَعَلَى اللَّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ! كَلَّا  
وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِيبُتُمْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا ، وَيَلُ أُمِّهِ ، كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ !  
لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ "وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ"<sup>١</sup>.

يطالب عليّ المتلقين وبالتحديد أهل العراق أن لا يُثيروا شائعات زائفة لا صحة لها في  
قوله: " وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ ". أما في نصوص أخرى فيوجه خطاباً عاماً يدعو فيها  
إلى المثابرة والحرص على التزوّد بالزاد المناسب ليوم القيامة مستعيناً بالنصّ القرآني الآتي:  
"أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"<sup>٢</sup> في خطابه:

"... فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلَةٍ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ  
أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ، وَلِيَمْهَدَ لِنَفْسِهِ وَقَدَمَهُ، وَلِيَتَزَوَّدَ مِنْ  
دَارِ ظَعْنِهِ لِذَاكِ إِقَامَتِهِ. فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ، فِيمَا اسْتَحَقَّكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوْذَعَكُمْ  
مِنْ حَقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ... حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ  
وَلَكُمْ - فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ..."<sup>٣</sup>.

يُطالب النصّ المتلقين بالتحملي بصفة الجدّ والاجتهاد لأنّ الله لم يخلق العباد عبثًا . وتفاعل  
التناصّ القرآني في الخطبة ليوضح معنى انتهاء المهمة التبليغيّة للنبيّ محمد ، ولم يبق إلا الثبات  
عليه والتقيّد به فيقول : " حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ دِينَهُ " الذي يُحيل إلى قوله تعالى: " ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ  
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... " <sup>٤</sup>.

ويحثّ النصّ على الجدّ والمثابرة في الحياة الاجتماعيّة، وأكد عبّاس الموسوي ذلك في قوله:  
"أن يعمل الإنسان ويجدّ ويجتهد في حال الحياة التي هي حالة الفراغ فلا يشغله احتضار ولا تمنعه  
آلامه ومصائبه أما وإنه إذا حلّ الموت فإنّه يمنع الإنسان عن العمل...ولِيَمْهَدَ لِنَفْسِهِ وَقَدَمَهُ" يعمل  
عملاً ترتاح إليه نفسه فيما بعد كما قال تعالى: "...وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..." بأن يعمل  
الصالحات ويتجنّب المحرّمات...<sup>٥</sup>. ووردت الآية نفسها في نصّ آخر داعية إلى الجدّ والمثابرة  
والعمل الصالح ليكون ذخراً في الآخرة وذلك في المقطع الآتي :

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٩٠.

<sup>٢</sup> - المؤمنون، ٢٣ / ١١٥.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١١١.

<sup>٤</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٤١٤؛ والآية من سورة المائدة، ٥ / ٣.

<sup>٥</sup> - عبّاس الموسوي، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢؛ والآية من سورة الحشر، ٥٩ / ١٨.



"وَأَنقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا بَيَّعَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَخَلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَّلُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ"<sup>١</sup>.

أما المقطع الآتي فأتى فيه التناصّ القرآنيّ الضمنيّ للتفكر في خلق الله والتدبر في عظمه قدرته والتخلق بالخلق الحسن في قوله:

"الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبَ ذَاتُ إِرْتَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ... عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخَنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ"<sup>٢</sup>.

يتحدّث النصّ حول التفكر في عظمة الخالق ، ويتفاعل في آخر النصّ تناصّ قرآنيّ بداعٍ أخلاقيّ في قوله تعالى: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ"<sup>٣</sup>. فقد طالب المقطع المتلقّي بالتخلّي بصفة يقظة الضمير وأن لا يكون غافلاً ، وأمره بمحاسبة أعماله قبل أن يأتي اليوم الذي يحاسب فيه ويقول ابن أبي الحديد: "اعْتَبَرُوا أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ مُخْتَارُونَ قَادِرُونَ عَلَى اسْتِدْرَاكِ الْفَارِطِ ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْاعْتِبَارُ فِعْلٌ غَيْرِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَقْتَدِرُونَ عَلَى اسْتِدْرَاكِ الْفَارِطِ..."<sup>٤</sup>.

ووصف عدد أصحاب الخلق الحسن بالقليل من خلال الآية القرآنية وذلك في نصّه الآتي:

"فَمَا أَقَلُّ مَنْ قَبْلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أَوْلَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: "وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" فَأَهْطَعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَكْظَمُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلْفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافَقًا. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، واقطعوا بها يومكم ، وأشعروها قلوبكم ، وارحضوا بها ذنوبكم..."<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٨٤.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١١٧.

<sup>٣</sup> - البروج، ١ / ٨٥.

<sup>٤</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٤٤٤.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٥١ والآية من سورة سبأ، ٣٤ / ١٣.

يتضح من التناصّ القرآنيّ الصريح الداعي من استدعائه . فقد حثّ النصّ على تقوى الله لأنها " حقّ الله عليكم والمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ " ، ويُشير إلى قلة المتعطين والمعتبرين من الدنيا وكأنّ النصّ تفصيل لسابقه ، فتكاد نصوص عليّ تتداخل بعضها ببعض في المضامين والغايات .

ولشخصيّات الأنبياء أثر بارز في إنتاج الداعي الأخلاقي داخل النصّ . وسنقوم ببيان نوع الداعي الأخلاقي من خلال صفات الشخصية في النصّ ، فترمز شخصية النبيّ موسى إلى الرجل الفقير إلى الله كخطابه الآتي:

" ... وَإِنْ شِئْتَ تَتَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" ، وَاللَّهُ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ ... " <sup>١</sup>.

تتعلّى شخصية النبيّ موسى بخلق التواضع وإظهار الضعف والحاجة لربّها ، فيقول القرآن على لسان النبيّ موسى: "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" ، ويشرح القرطبي ذلك في قوله: "إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ مِنْ فَضْلِكَ وَغِنَاكَ فَقِيرٌ إِلَى أَنْ تُعِينَنِي بِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ" <sup>٢</sup>، فلا تعاني الشخصية ضعفاً من مرض جسديّ ، بل ضعف قدرة أمام قدرة خالقها ، فتظهر الحاجة لربّها تذلاًّ.

وأما شخصية النبيّ عيسى فتظهر في النصّ شخصية الزاهد الذي يعيش حياة الرهبنة ورفض ملذّات الدنيا في قوله:

"...وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشْنَ، وَكَانَ إِدَامَةُ الْجُوعِ، وَسَرَاةُ اللَّيْلِ الْقَمَرِ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانَتُهُ مَا تُثْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَقْتَنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفَنُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذُلُّهُ، ذَابَتْهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!... " <sup>٣</sup>.

وردت شخصية عيسى النبيّ بداعٍ أخلاقيّ وذلك بعدّة صفات تدلّ على التواضع كأكل الجشّب ويعني "الطعام الذي ليس معه أُنْم وطعام جشّب: غليظ خشن" <sup>٤</sup>، فالنبيّ عيسى في النصّ رمز للزهد والتواضع. ولا يخرج استدعاء النبيّ محمّد عن هذه المظاهر. فقد كان زاهداً وقنوعاً في قوله:

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٥.

<sup>٢</sup> - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٢٧٠.

<sup>٣</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ٢٠٥.

<sup>٤</sup> - الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١، ص ٦٠٥.

"فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأُطْيَبِ... وَلَقَدْ كَانَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جُلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ"<sup>١</sup>.

إنَّ حضور صفات شخصيَّة النبيَّ محمدٍ تدلُّ على خلق التواضع ، ويطالب المقطع بالتأسي بهذا الخلق . وقد ترد شخصيات الأنبياء ضمن سرد قصصي كالخطاب الآتي الذي ورد فيه تناص تاريخي يحكي خلق النبي موسى:

"...فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ. وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَذَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ - إِنْ أَسْلَمَ - بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجُبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْقَيْ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ؟ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعًا، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلِنَبْسِهِ! وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَخْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوَحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ..."<sup>٢</sup>.

تفاعلت ثلاث شخصيات في المقطع لدواعٍ أخلاقية متضادة . فقد تمثّل خلق التواضع في (موسى وهارون)<sup>٣</sup> وتمثّل خلق التكبر في (فرعون) . بينما وردت شخصيَّة النبي سليمان لبيان عظمة قدرة الله مهما بلغت عظمة ملك سليمان في المقطع الآتي :

"... فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ ، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النَّبُوءَةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ ، فَلَمَّا

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٠٦.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ٢٥٧.

<sup>٣</sup> - هارون أخو موسى : أبوه عمران بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق ، تزوج يصر شميث ابنة بتايت ابن بركيا بن يقسان بن إبراهيم فولدت عمران ، فنكح عمران يحيى ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم فولدت هارون ابن عمران وموسى بن عمران . فلما أراد الله أن يفرج عن بني إسرائيل وبلغ موسى الأشد أعطى الرسالة ، ثم صار موسى إلى فرعون رسولاً مع أخيه هارون فأبى إلا القضاء على موسى وبني إسرائيل الذين آمنوا برب موسى ، فأمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل فخرجوا وقلق موسى البحر فعبروه ، ثم دنا فرعون وأصحابه فاقتحم البحر فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم . أوحى الله إلى موسى أني متوفى هارون فمات هارون قبل موسى ، وعاش موسى بعده زمناً ثم توفاه الله فكان مدة عمر موسى كلها مائة وعشرين سنة؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٩، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١١.

اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ، وَاسْتَكْمَلَ مَدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَّةٌ ، وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرِّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ ، وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟<sup>١</sup>

يدعو تناصّ سليمان النبيّ إلى التواضع وأخذ العبرة ، فمهما بلغ الإنسان من مكانة أو ارتقى مناصب عالية فلا يتكبر على خالقه . وأراد عليّ بيان صفة التواضع قولاً وفعلاً ، فخطب هذه الخطبة بمظهر<sup>٢</sup> يدلّ على أمرين: شدة تواضعه من خلال وصف لباسه ، وكثرة عبادته وطاعته لربه من خلال علامة السجود على جبينه.

إنّ المقطعين السابقين شكلاً لحمّة واحد في بيان إمكانية جعل الأنبياء فقراء لا يمتلكون شيئاً أو أغنياء سُخِرَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وما فيها . فألمح النصّ الأوّل إلى دخول موسى وهارون على فرعون بمظهر يدلّ على عدم امتلاكهما للباس والذهب والكنوز في قول عليّ: "وَعَلَيْهِمَا مَدَارِغُ الصُّوفِ، وَيَأْبِيهِمَا الْعِصِيُّ" ، وأشار في آخر المقطع إلى إمكانية جعل كلّ نبيّ غنياً في قوله: " وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ ، وَمَعَادِنِ الْعَقِيَانِ ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْسُرَ مَعَهُمْ طَيْرُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْأَرْضِ لَفَعَلَ " ، واستدعي النبيّ سليمان بمظهر الملك الذي يمتلك كلّ شيء في قوله: " الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ " ، فكان النصّ الثاني يجيب على سخرية فرعون من زهد الأنبياء وعدم إمكانية جعلهم أغنياء في المقطع الأوّل .

وأعطت "لو" في النصّ الأوّل معنى مختلفاً عن "لو" في النصّ الثاني . فيُراد من قول عليّ الأوّل: " وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ " إمكانية جعل الأنبياء ملوكاً يمتلكون الذهب والحليّ والقصور كفرعون على سبيل القول النظري ، وأمّا القول الثاني: "قَلَوْ أَنْ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ" ، فتطبيق عمليّ للأولى. فقد جعل الله سبحانه النبيّ سليمان غنياً يمتلك عظيم الزلفى، ويأتي كلا الحالتين (الغنيّ والفقير) الموت المحتوم بدليل موت النبيّ سليمان الذي تحولت قصّة موته إلى عبرة وموعظة في

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٣٥.

<sup>٢</sup> - قال نوف البكالي: خطب هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين وهو قائم على حجارة نصبها له جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ المخزوميّ وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليفّ وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير؛ محمد عبده، م. ن.، ص ٢٣٣.

قول عليّ في النصّ الثاني: " فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ، وَاسْتَكْمَلَ مِدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً " . فلا يُخْلَدُ للغنيّ ملكه ، ولا يُخْلَدُ للفقير فقره . ولم يخلد فرعون بملكه ، ولم يخلد إلا ذو السيرة الصالحة والخلق الرفيع .

وترد " لو " في بعض النصوص للدلالة على إمكانية اتّصاف الأنبياء بالتكبر ، ولكن سموّ أخلاقهم يجعلهم يترفعون عن ذلك في قوله :

" فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوَلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ ، وَأَنْعِظُوا بِمَتَاوِي خُدُودِهِمْ ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبَرِ ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لَخَاصَّةَ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعَ ، فَالْصَّفَوُ بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَقَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ ، قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمُ بِالْمَكَارِهِ... " <sup>١</sup> .

بحث عليّ في النصّ على جعل تأريخ الأمم البائدة عبرة وعظة ، وتماذج داعي التفكير والتأمل في عظمة قدرة الله على قهر المستكبرين مع داعي التخلّق بخلق التواضع ونبذ التكبر . واستدعى المقطع " لو " لبيان سبب عدم اتّصاف الأنبياء بالتكبر في قوله: " فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لَخَاصَّةَ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعَ " . لأنّ الله تعالى يكره أن يرى أنبياءه أغنياء فيغلب عليهم مظهر التكبر ، ويرضى لهم الفقر والزهد ، فيغلب عليهم مظهر التواضع لله تعالى . أمّا تناصّ الشخصيات المعارضة فترمز إلى الداعي الأخلاقي السيّ كقوله:

" عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنْ فِي دُعَابَةٍ ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تَلْعَابَةٌ: أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا ، وَنَطَقَ أَثَمًا . أَمَا — وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ — إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ ، وَيَسْأَلُ فَيَبْخُلُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ " <sup>٢</sup> .

ورد في النصّ خلقان من خلال شخصية عمرو بن العاص وشخصية عليّ بن أبي طالب هما: الكذب في شخصية ابن العاص ، والخوف من الله في شخصية ابن أبي طالب.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٦.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ١١٠.



ونستنتج من دواعي التناص أن الخطب عالجت أربعة وجوانب: سياسية ، واجتماعية ، وفكرية ، وأخلاقية . ولعل أكثر الدواعي شيوعاً الداعي السياسي والأخلاقي . فقد أشار ابن ميثم لهما في شرحه فقال: "والجزء الأكبر من كلام عليّ هو الإقبال على الله تعالى بترك الدنيا والإعراض عنها والاستكمال في الفضائل وترك الرذائل... وإما تنظّم من ظالم خرج عن رتبة الدين وأتبع هواه... وإما اعتذار ممّا يتخيّله الجاهلون في حقّه ظلماً وجوراً..."<sup>١</sup> ، ويقصد بقوله: "الإقبال على الله تعالى بترك الدنيا والإعراض عنها" الداعي الأخلاقي ، ويقصد بقوله: " وإما تنظّم من ظالم " الداعي السياسي .

وعالجت الدواعي الفكرية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية التعاليم الدينية . فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي أهمّ المواضيع المعالجة في خطب نهج البلاغة في قوله: " ينتقل عليّ من عواطف الإعجاب بمخلوقات الله وكمالاته إلى عاطفة الزهد في الدنيا، ثم ينزل إلى ميدان الحياة فيعمل على مناصرة الحقّ ليظهر على الباطل في السياسة والاجتماع... فلا عجب بعد ذلك إذا كان كتاب " نهج البلاغة " ثروة فكرية وأدبية واسعة ، ففيه الدعوة الملحة إلى العمل بشعائر الدين وإلى اتباع تعاليم القرآن الكريم وتعزيز كلّ ما هو شريف الغاية، والحثّ على السير في سبيل الفضائل ، وهو يجمع الدين إلى الاجتماع والسياسة ، ويجعل الدين أساساً لهما ، فهو يريد مجتمعاً يجري على سنن العدل والمساواة والحرية<sup>٢</sup> ، فرأينا من الضروريّ الكشف عن تلك الدواعي المخفية وراء التناصات المتداخلة في النصّ الخطابي في الفصل الأوّل من الباب الثاني .

وقمنا بتوضيح الدواعي من خلال التناصات الدينية والشعرية والأمثال العربية وتناص الشخصيات مستعينين ببعض المصادر الأساسية في شرح خطب نهج البلاغة كالبيهقي وابن أبي الحديد المعتزلي وابن ميثم البحراني ، فضلاً عن الاستعانة ببعض المراجع الشارحة لنهج البلاغة ككتاب منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي وشرح نهج البلاغة لمحمد عبده وشرح نهج البلاغة لمكارم الشيرازي وشرح نهج البلاغة لعبّاس الموسوي . وسنعالج في الفصل الثاني تفاعل الصور البيانية بالتناص في خطب نهج البلاغة.

<sup>١</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٥٤.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠.

الفصل الثاني: تفاعل الصور البيانية بالتناصّ في خطب " نهج  
البلاغة "



سنقوم في هذا الفصل بدراسة الصور البيانية الآتية: التشبيه (Simile)، والاستعارة (Metaphore)، والكناية (Metonymy). وبيان العلاقة الرابطة بين الصورة البيانية والتناص في الخطاب .

لا يخلو الكلام البليغ من الصورة البيانية كالتشبيه والاستعارة خصوصاً . فقد عدّ عبد القاهر الجرجاني<sup>١</sup> التشبيه والاستعارة أساس كل كلام بليغ وذلك في قوله: " القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة فإن هذه أصول كثيرة كان جلّ محاسن الكلام إن لم أقلّ كلّها متفرعة عنها وراجعة إليها وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها "<sup>٢</sup>، وأشار أحمد الهاشمي إلى دور التشبيه في الكلام فقال: " اعلم أنّ للتشبيه موقعاً حسناً في البلاغة وذلك لإخراج الخفيّ إلى الجليّ وإدناؤه البعيد من القريب ، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبها توكيداً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً ... "<sup>٣</sup> .

ويلاحظ القارئ أثر التشبيه في خطب النهج كقول عليّ: " ألا إنّ مثلَ آلِ محمدٍ كمثلي نجومِ السَّمَاءِ "<sup>٤</sup> . فقد أكسب التشبيه المعنى وضوحاً في تشبيه آل محمد بالنجوم لأنهم سبيل الهداية من الضلال كالنجوم التي تهدي المسافرين في الصحراء .

وتعدّ الاستعارة لدى البلاغيين فرع من التشبيه، فقال الجرجاني في ذلك: "أمّا الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل..."<sup>٥</sup>، فتبيّن الصورة وتوضّحها كالنصّ الذي وصف عليّ فيه النبيّ بقوله :

"وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيُّهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوَازِي فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةَ الْجَافِيَةَ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَنْزِلُونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فِتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ ... "<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني شيخ العربيّة . أخذ النحو بجرجان وصنّف عدّة كتب منها شرحاً للإيضاح وله إعجاز القرآن، وكان شافعياً عالمًا. توفّي سنة إحدى وسبعين وأربعمئة (٤٧١ / ١٠٧٨)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٢١٩.

<sup>٢</sup> - الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٢٠.

<sup>٣</sup> - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٠٠.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٠.

<sup>٥</sup> - الجرجاني، م. س.، ص ١٥.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٩٣.

تفاعل التشبيه والتناص القرآني في قول علي: "أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ" وأحال إلى قول القرآن: "الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ..."<sup>١</sup>، وذكر الطبري المقصود من الآية في قوله: "هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد يعني القرآن لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، يقول: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضياءه، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى"<sup>٢</sup>. وتعد استعارة الإضاءة من لوازم المصباح، فشبه النبي بالمصباح الذي يُنير في الظلمة في قول محسن باقر الموسوي: "والوجه البلاغي: تشبيه الرسول الأكرم بالمصباح المنير على سبيل الاستعارة المكنية"<sup>٣</sup>، وأمّا كلمة "النور" فمشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية، والمشبّه "الهداية". وأحال ابن ميثم الوصف إلى المجاز في قوله: "أي: ضلالة الكفر، ووصفها بالظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق والوصف مستعار وكذلك وصف الإضاءة به مستعار لاهتداء الخلق به في معاشهم ومعادهم وإسناد الإضاءة إلى البلاد مجاز"<sup>٤</sup>. فنلاحظ علاقة اتصال بين التناص القرآني الضمني في قوله: "أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ" الذي أحال إلى قوله تعالى: "...لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..." وبين الاستعارة بالمصباح المنير في الهداية، فأوضح التناص القرآني والاستعارة للمتلقي رفعة شأن المشبه وهو النبي محمد.

ولا تأتي صور التشبيه أو الاستعارة لتوضيح الفضل والرفعة فحسب، بل تأتي بعضها لبيان غرض التحقير والاستقاص كقول علي لأهل العراق: "...فإنما أنتم كالمراة الحامل، حملت فلما أتمت أمصلت، ومات قيمها وورثها أبعدها..."<sup>٥</sup>، فتشبيه أهل العراق بالمرأة الحامل يُشير إلى تدني مرتبة المشبه وليس تشبيههم بالمرأة استقاصاً لها، بل تحقيراً لتصرفاتهم التي لا تليق بهم كرجال وهي المرأة أليق كانشغال اهتمامها بأمور نسوية لا تهم الرجل. فعندما ينشغل الرجل بها يكون كالمراة في ذلك تحقيراً له وليس لها؛ لأنها ليست من شؤونه الرجولية<sup>٦</sup>. وارتبط التشبيه مع

<sup>١</sup> - إبراهيم، ١٤ / ١.

<sup>٢</sup> - الطبري، جامع البيان، ج ١٣، ص ٢١٣.

<sup>٣</sup> - محسن باقر الموسوي، علوم نهج البلاغة، ص ٣٩٦.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٩٠.

<sup>٦</sup> - يذكر محمد عبده السبب في تشبيه النص أهل العراق بالمرأة الحامل فيقول: "أنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم، فكان مثلهم مثل المرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي بل بالحادث العارضي كالضربة ثم مات زوجها عنها فلما بقدها من يقوم عليها حتى إذا هلكت عن غير ولد ورثها الأبعد السافلون في درجة القرابة ممن لا يلتفت إلى نسبه..."؛ محمد عبده، م. ن.، ص ٩٠.

التناصّ التاريخي لبيان مدى ذلّ المشبّه وهوانه . ونكتشف معنى الذلّ والهوان في نصّه الذي أشار فيه إلى ظلم بني أميّة فقال:

"... وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللّهِ ظَنًّا ، فَإِنْ أَتَاكُمْ اللّهُ بِعَافِيَةٍ فَاَقْبِلُوهَا ، وَإِنْ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ "¹.

يتداخل المناصّ القرآنيّ "... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ "² في قول عليّ: " فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ " . فقد أحال المناصّ والتشبيه إلى معنى الحسرة والندم على ما فاتهم من النصر في قوله: "نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ" . فقد شبّه عليّ صحبه بالعبد المنافق الذي يتّصف بالطاعة أمام سيّده فإذا غاب عنه تذرّ عن العمل والطاعة . وألمح ابن ميثم في شرحه لذلك: " ذكر المشبّه والمشبّه به، ثم أشار إلى وجه الشبه بقوله: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ "³، واختار عليّ العبد مشبّهاً به لتأثيره في نفوس المتّقين . فالعبد في ثقافتهم الاجتماعية شخصية منبوذة وذليلة ولا قيمة لها لأنها شخصية تُباع وتُشترى وتُداول بينهم ، فشبههم بالعبد تحقيراً لهم . ونستنتج أنّ التشبيه لا يرد في النصوص لغرض زيادة المعنى فضلاً وشرفاً فقط ، بل للتشبيه أغراض أخرى كتوبيخ المشبّه أو تحقيره .

ويلاحظ في كلّ نصّ خطابي من خطب نهج البلاغة تناصّ ديني أو تاريخي أو مثل أو شعر ويتمّ فيها استدعاء صورة بيانية أو أكثر قبل كلّ تناصّ أو بعده وتكون تلك الصورة ذات علاقة تواصلية بالتناصّ ومن خلالهما تتبيّن دلالة النصّ ومضمونه وهذه الاستراتيجية الخطابية تُعدّ واحدة من آليات إنتاج النصّ في النهج . وسنقوم باكتشاف العلاقة التي تربط الصورة البيانية بالتناصّ .

¹- محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٨ والآية من سورة سورة هود، ٤٩ / ١١ .

²- هود، ٤٩ / ١١ .

³- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٠٥ .

## أولاً : التشبيه

التشبيه هو جعل صفة ما في كائن لبيان المعنى كأن تقول : فلان كالأسد ، وقال ابن قسيم الجوزية في شرح قول النبي: " أصحابي كالنجوم " فيقول: " والمعنى الذي بيّنه التشبيه هنا أنهم يَهْتَدَى بهم في أمور الأديان كما يَهْتَدَى بالنجوم في الليالي المظلمة"<sup>١</sup>، وقال أحمد الهاشمي في تعريف التشبيه: " مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة كقولك: العلم كالنور في الهداية "<sup>٢</sup>.

واتفق البلاغيون على أن التشبيه له ركنان أساسيان: المشبه والمشبه به ، فقال السكاكي: "أن التشبيه مُستدع طرفين: مشبّهًا ومشبّهًا به ، اشتراكًا بينهما من وجه وافتراقًا من آخر"<sup>٣</sup>. وللتشبيه أهمية في النص . فقد أكد ابن قسيم الجوزية أن التشبيه يقرب المعنى في قوله: "فالغرض من التشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار"<sup>٤</sup>.

وتتنوع الصور التشبيهية ودلالاتها في خطب نهج البلاغة . فمنها ما يكشف عن معنى الفناء الدنيوي كالنص الذي بيّن فيه عليّ مدّة أيام الإنسان في الدنيا في قوله:

" أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ : فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَنْسِي الْآخِرَةَ .

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا ، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيَلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ "<sup>٥</sup>.

تفاعل التشبيه مع التناصّ القرآنيّ الضمنيّ في النصّ الخطابي لبيّنا معنى الفناء ، وأنّ أيام الإنسان في الدنيا معدودة . وموضع التناصّ في المقطع عبارة " أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ " ، وتُحِيلُ العبارة إلى قوله تعالى: " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ "<sup>٦</sup>، فشبه فناء الدنيا ببقية الشراب في الكأس.

<sup>١</sup> - ابن قسيم الجوزية، الفوائد المشوق، ص ٥٦.

<sup>٢</sup> - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٠٠.

<sup>٣</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٣٣٢.

<sup>٤</sup> - ابن قسيم الجوزية، م. س.، ص ٥٤.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧٣.

<sup>٦</sup> - القمر، ١/ ٥٤.

وأشار محسن باقر الموسوي إلى هذه الصورة في قوله : "شبه ما تبقى من الدنيا بما يبقى في الإناء بعد شرب ما فيه"<sup>١</sup>، وقال محمد عبده في معنى كلمة "الصبابة": "البقية من الماء واللبن في الإناء"<sup>٢</sup>، واعتبرها ابن ميثم استعارة دون أن يشير إلى صورة التشبيه في قوله: "... وإطلاق الصبابة ها هنا استعارة لبقيتها القليلة، والقلة هي وجه تشبيهها بصبابة الإناء"<sup>٣</sup>.

ويلفت الانتباه في هذا المقطع التقسيم الضدي بين الواقعي (الدنيا) والغيبى (الآخرة). فقد تشكّل التقسيم كالآتي: الأول الدنيا التي صورها النصّ صوراً سيئة، فمن يتبع هواه فيها يبتعد عن الحق، ومن يحبّ البقاء فيها طويلاً ينسى الآخرة. ونعتها بأنها مولية وأنها دار العمل. الثاني الآخرة التي منحت صورة مشوقة. فقد نعتها بأنها مقبلة على كل فرد وأنها دار الحساب. فالمقطع ينقسم إلى التقسيمين المتضادين الآتيين:

| الدنيا                                        | الآخرة                                   |
|-----------------------------------------------|------------------------------------------|
| أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً | أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ |
| وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا     | فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ      |
| وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ        | وَعَذَابٌ حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ           |

وتوسّط التشبيه الثنائية القائمة بين (الدنيا، الآخرة) بنفي الدنيا وإثبات الآخرة "فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا" فجعل الدنيا تعني الفناء والآخرة تعني البقاء، إذ لم يبق إلا القليل عن انتهاء الدنيا كما لم يبق إلا القليل على ابتداء الآخرة.

فضلاً عن ذلك فإنّ استدعاء الأدوات اللغوية أضفى على المقطع نوعاً من التقسيم البنائي، فتكرّرت أداة التنبيه "ألا" مرتين، وأداة التفصيل "أما" مرتين، وتكرّرت أداة التوكيد "إن" خمس مرّات، فضلاً عن افتتاح المقطع بأداة النداء "أيها الناس". ولعلّ تكرار هذه الأدوات دلالة على تنبيه الناس بانتهاء الدنيا وابتداء الآخرة. فجاء التناص والتشبيه وتكرار الأدوات اللغوية للتحذير من الفناء الدنيويّ والنشويق للبقاء الأخرويّ.

<sup>١</sup> - محسن باقر الموسوي، علوم نهج البلاغة، ص ٤٠٣.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧٣.

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٤.

وتتنوع الافتتاحيات التنبهية في خطب نهج البلاغة حسب الموضوع المطروح فيها . ففي نص آخر يشبهه عليّ مدة بقاء الإنسان في الدنيا وارتحاله عنها كمدة بقاء المسافر في سفره مفتتحاً المقطع بأسلوب أمر فيقول فيه:

"أوصيكم عباد الله بالرفق لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والميلبة لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها ، فإنما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكانهم قد قطعوه، وأموا علماً فكانهم قد بلغوه ... أوليس لكم في آثار الأولين مؤذجراً وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر...".<sup>١</sup>

أوصى عليّ العباد برفض الدنيا لأنها ترفض من عليها فلا يدوم أحد فيها ، ثم شبههم بالمسافرين في كلمة "سفر" وهو المشبه به ، وقال محمد عبده شرحه لكلمة "سفر": " أي أنكم في مسافة العمر كمسافرين في مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة".<sup>٢</sup> وتفاعل تاريخ الأولين والآباء الماضين في المقطع لينتج عنه ميتانصّ نقدي . فقد ربط المقطع بين مضيّ اللاحقين والماضين ربطاً تشبيهيّاً ، فشبه رحيلهم مستقبلاً برحيل الماضين من آبائهم وأجدادهم .

وافتح المقطع بقوله: "أوصيكم عباد الله" وأفادت التنبية والتذكير، أما الإضافة في قوله: "عباد الله" فأفادت التشريف للعباد ، فلا ينبغي لمن شرفه الله أن ينسى ربه ويلتهي بالدنيا التي من صفاتها عدم الدوام في قوله: "الدنيا التاركة" فمن كانت هذه صفته فلا بد من معاملته بالمثل ، فأوصاهم برفضها في قوله: "أوصيكم عباد الله بالرفق لهذه الدنيا التاركة" .

وورد الميتانصّ التاريخي في آخر النصّ ليكون عودة لما ابتدأ به المقطع من تنبيه المتلقين بقوله: "أوليس لكم في آثار الأولين مؤذجراً، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر، إن كنتم تعقلون! أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون"، فبعد أن افتتح الخطاب بتحذيرهم من الدنيا ونصحهم برفضها ، اختتمه بتذكيرهم بالذين سافروا عن هذه الدنيا من الأمم السالفة وأصبحوا عبرة لللاحقين ، فكان النصّ يشبه سفر الناس من مكان لآخر بسفر الأمم السالفة من الدنيا إلى الآخرة . ونستنتج أن التشبيه له دور في توضيح المعنى المخفي من خلال تفكيك أطرافه وبيان علاقته بالتناصّ كتشبيه شيخ القبيلة باليعسوب في نقده الميتانصّي في النصّ الآتي :

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٩.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ١٣٩.

"...وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ... وَالنَّجْدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيَّةِ وَالْأَخْلَامِ الْعَظِيمَةِ... وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمَحِيصِ وَالْبَلَاءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَالاً؟! اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعَنَةُ عَبِيدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ".<sup>١</sup>

عرّف محمد عبده اليعسوب في قوله: "باليعاسيب جمع يعسوب وهو أمير النحل ويستعمل مجازاً في رئيس القوم"<sup>٢</sup>، فشبهه رئيس القوم بأمير النحل وتفاعل مع الميثانص التاريخي الذي أتى في مواضع عدة من النص كقوله: "وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ... وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ"، وقوله: "اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعَنَةُ عَبِيدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...". ويحيل الميثانص التاريخي إلى عهد الفراعنة الذين طغوا وأفسدوا في قوله تعالى: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ"<sup>٣</sup>، والرابط بين تشبيهه رئيس القوم باليعسوب وبين تعظيم الأمم السابقة للفراعنة هو حلول البلاء والفناء لكل متجبر.

إنّ للتشبيه تأثيراً واضحاً على النصّ، لأنّه يتشكّل فيه حسب مناسبة الموقف وما يقتضيه من تشبيهات ملائمة له. وتتعدّد صور استدعاء التشبيه من موقف لآخر فضلاً عن اختلاف الصور التشبيهية باختلاف المكان والزمان والحدث. وسنقوم هنا بمعالجة أبرز صورتين في خطب نهج البلاغة: صور التشبيه بالطبيعة، وصور التشبيه بالحيوانات. وتعدّ هاتان الصورتان الأكثر شيوعاً في نصوص النهج، فرأيت ضرورة معالجتها لتوضيح المعنى التي أضافته تلك الصور في النصوص وبيان مدى ارتباطها بالتناصّ الوارد في النصّ.

تنوّعت صور التشبيه بالطبيعة في نصوص النهج وتفرّعت منها صور عدة كصورة غضبها واستقرارها وصور الحيوانات والجال والأشجار. وتفاعلت صور الطبيعة الغاضبة في

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦١.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٢٦١.

<sup>٣</sup> - البقرة، ٤٩/٢.



التناصّ القرآنيّ . فقد تحيل ألفاظ بيئية إلى آيات قرآنية كالنصّ الذي ذمّ الذين يدعون العلم ، فأورد فيه ألفاظاً من البيئة مثل: "مُزِيدًا" ، "غَرَقَ" ، "النَّارَ" ، "الْحُطَامَ" وذلك في المقطع الآتي:

"... أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ ... كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ ، وَبَسِيَءَ بِهِ وَوَأَفَقَهُ ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَقَارِقُهُ ، وَصَبِغَتْ بِهِ خِلَاتُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَقَ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْتَلِ مَا حَرَقَ ! أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى ؟! أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ ، وَعَوَقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟! ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ ، وَتَسَاحَوْا عَلَى الْحَرَامِ ، وَرَفِعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ، دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَفَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !"<sup>١</sup>

يحمل النصّ في طياته صورة تشبيهية بعنصرين من عناصر الطبيعية وهما: البحر المزبد "ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَقَ" ، والنار في الهشيم "كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْتَلِ مَا حَرَقَ" ، ويحيلان إلى تناصّ قرآنيّ في قوله تعالى: "... فَحَتَمَلِ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ..."<sup>٢</sup>. وتسائل النصّ عن قوم ينازعون علياً الفضل ويدعون أنهم أعلم منه في قوله: "أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا" ، فنعتهم بالفسق وشبههم بتيّار بحريّ جارف يغرق كلّ شيء أمامه دون اكتراث . فضلاً عن تشبيههم بالنار التي تلتهم الأحراش دون مبالاة . وقال ابن ميثم شارحاً التشبيه في قوله: "شبه حركته في المنكرات والظلمات بوقع النار في الحطب ، ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا تبالي النار بما أحرقت"<sup>٣</sup> .

والتحم التشبيه مع تناصّ قرآنيّ ضمنّي آخر في قوله: "دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَفَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !" ، ويحيل هذا القول إلى قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ"<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٨٧.

<sup>٢</sup> - الرعد، ١٣/١٧.

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

<sup>٤</sup> - لقمان، ٢١/٣١.

ويتفق التناص مع مضمون التشبيه في إنتاج معنى اللامبالاة ، فحال الفاسق في المقطع كحال المنكر لأوامر الله في النصّ القرآنيّ كلّما يؤمرون باتباع ما يأمر به الله اعرضوا دون اكتراث أو مبالاة من عواقب إعراضهم.

وننتقل إلى صورة أخرى للتشبيه بالطبيعة الغاضبة وهي صورة التذليل التفصيلي في قوله:

" كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ ، تُعْرِكِينَ بِالنَّوْازِلِ ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ"<sup>١</sup>.

يتحدّث المقطع عن سوق عكاظ<sup>٢</sup> في قوله: " تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ " ، فيشير إلى الفتن التي ستمرّ على الكوفة ، وقال البيهقي في شرح العبارة : " أي تعمّر الكوفة ثمّ تخرب ، كما يُمدّ الأديم للجزّ والقذّ والقطع"<sup>٣</sup> ، وأوضح ابن أبي الحديد أنّها إشارة " لما ينالها من العسف والخبط"<sup>٤</sup>. وتفاعل التشبيه مع التناص التاريخيّ المستقبليّ ليبين مدى تحسّر عليّ على ما ستؤول إليه الكوفة قريباً . ويؤكد ذلك قول ابن ميثم: " كأني حاضر بك ومشاهد لحالك المستقبلية حال تجاذب أيدي الظالمين لأهلك بأنواع الظلم وهو المكنى عنه بمدّها ، وشبه ذلك بمدّ الأديم ووجه الشبه شدة ما يقع من الظلم والبلاء ... واستعار العرك ملاحظة لذلك الشبه..."<sup>٥</sup>.

وفصل النصّ التشبيه بذكر ظاهرتين من ظواهر الطبيعة الغاضبة في قوله: "تُعْرِكِينَ بِالنَّوْازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ"<sup>٦</sup>. فقد جعل عليّ من الكوفة رمزاً للبلد الذي يمرّ بعصور الظلم والاستبداد ، فنقطعه تلك العصور الظالمة وتبدّده وتفصله كالجلد يُسلخ ويُقطع ويُدبغ ويصنع منه النعل والفرش فيشتت هنا وهناك . وستحوّل كلّ هذه المراحل إلى أحداث تاريخية مؤلمة تمرّ بها الكوفة مستقبلاً . فللتشبيه والتناص التاريخيّ دور بارز في إيصال المعنى الخفيّ . ونجد ذلك واضحاً في بعض النصوص التي تستدعي أكثر من صورة تشبيهية للطبيعة كقوله:

<sup>١</sup>- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧٥.

<sup>٢</sup>- عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كلّ سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثمّ يفرقون. وأديم عُكاظيّ: نسب إليه وهو ممّا يُحمل إلى عكاظ فيباع فيها. قال عبده: العكاظي: نسبة إلى عكاظ وهو سوق كانت العرب يجتمعون إليه... وأكثر ما يباع بتلك السوق الأديم فنسب إليها، والأديم: الجلد المدبوغ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٢؛ محمد عبده، م. س.، ص ٧٦.

<sup>٣</sup>- البيهقي، معارج نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٢٩.

<sup>٤</sup>- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٣٧.

<sup>٥</sup>- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٢.

<sup>٦</sup>- "تُعْرِكِينَ بِالنَّوْازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ": تصوير لما ينالها من العسف والخبط ، وتعركين من عركتهم الحرب إذا مارسهم، والنوازل: الشدائد ، والزلازل: المزعجات من الخطوب؛ محمد عبده، م. س.، ص ٧٦.

"... شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمَفَاخِرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ، مَاءَ آجِنٍ، وَلَقَمَةً يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَمَجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِيْنَاعِهَا كَالزَّرَّاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ . فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا! وَاللَّهِ لَا بُنْ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِئْذِي أُمِّهِ، بَلْ انْدَمَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطِرَابِ الْأُرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ !"<sup>١</sup>.

يُوجد في النص أربعة مشاهد تصويرية للطبيعة مرتبة كالآتي: الأولى صورة البحر " شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ " ، والثانية الطرق على اليابسة "وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ " ، والثالثة صورة الزرع والأشجار " وَمَجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِيْنَاعِهَا كَالزَّرَّاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ " ، والرابعة صورة آبار الماء " لِاضْطِرَابِ الْأُرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ! " . وبدأ بأشدّها ضراوة وقوّة، فشبه الفتن بالبحر المتلاطم لأنّ كلّاً منهما سبب هلاك الخائضين فيها ، فأموّاج الفتن استعارة مكنيّة. وأمر عليّ صحبه أن يعرضوا عن الطرق المؤدّية إلى الفرقة والمشاحنة وأن يسلكوا طرقاً تؤدّي إلى المسالمة ، ثمّ انتقل إلى وصف طالب الثمر في غير وقته "وَمَجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِيْنَاعِهَا " ، فتحول النصّ من وصف حالة الطبيعة الغاضبة إلى وصف الزمن الملائم لجني الثمر . وقال محمّد عبده في شرحه: " يُشير إلى أنّ ذلك لم يكن الوقت الذي يسوّغ فيه طلب الأمر فلو نهض إليه كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى ، كما أنّ الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع "<sup>٢</sup>. وانتقل بعدها إلى وصف اضطراب الحبل حين إلقاء الدلو داخل البئر لطلب الماء في قوله: " لِاضْطِرَابِ الْأُرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ! " ، فشبه اضطراب الناس وحيرتهم والتوائهم يميناً وشمالاً بحثاً عن الحقّ باضطراب الحبل والتوائه يميناً وشمالاً داخل البئر بحثاً عن الماء في تشبيه تمثيليّ لصورة حالة بحالة .

وتمازج التشبيه بتناسّات متنوّعة في النصّ منها: الميئانصّ التاريخي في الحوار الداخلي في قوله: "فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ!"، أمّا الثاني فتناصّ المثل في قوله: "هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا!"، وأمّا التناصّ الثالث فاستدعاء الشخصية في اسم عليّ في قوله: "ابنُ أَبِي طَالِبٍ" . وأنتج التمازج الثلاثي صورة موحّدة في معنى (الرفض)، فتوحي

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٨.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٣٨.

التناصّات الواردة في المقطع إلى مضمون (الرفض) فقلوه: "شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا نِجَانَ الْمَفَاخِرَةِ " يُفيد معنى رفض الفتن ورفض التفاجر. وكذلك الحال في قوله: "هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَايَا وَالَّتِي!" التي تعني "بعد" أي الرفض بشدة ، ويؤكد باستدعاء شخصيته رفض الزعم القائل أنه يخاف الموت، فيأنس عليّ بالموت كالطفل الذي يأنس بالارتضاع من ثدي أمّه .

ونلاحظ استدعاء الحيوان في التشبيه أيضاً . فقد تتوّعت أسماء الإبل في نصوص نهج البلاغة كاسم "الصعبة" في النصّ الثالث حسب ترتيب محمّد عبده في قوله: " فَصَاحِبُهَا كَرَآكِبِ الصَّعْبَةِ ، إِنَّ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمْ "¹. فقد شبّه المقطع الخليفة الذي يصعد على كرسيّ الخلافة كالذي يركب الإبل الصعبة ، وأضاف محمّد عبده في شرحه: "والصعبة من الإبل ما ليست بذلول، وأشنع البعير وشنقه كفه بزمامه ... وتَقَحَّم: رمى بنفسه في القحمة أي الهلكة ... وراكب الصعبة إمّا أن يشنقها فيخرم أنفها ، وإمّا أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته"²، ووجه الشبه بين راكب الصعبة والخليفة صعوبة التعامل مع الأمزجة المتباينة . فكما يجد راكب الصعبة المشقّة في مداراة الناقة يجد الخليفة المعاناة والمشقّة في مداراة الناس جميعاً . وأوضح ابن ميثم ذلك بقوله: "... ووجه المشابهة أنّ راكب الصعبة كما يحتاج إلى الكلفة الشاقّة في مداراة أحوالها فهو معها بين خطرين إن والى الجذبات في وجهها بالزمام خرم أنفها ، وإن أسلس لها في القياد تقحّمت به المهالك كذلك مصاحب أخلاق الرجال والمبطل بها إن أكثر عليه إنكار ما يتسرّع إليه أدّى ذلك إلى مشاقته، وفساد الحال بينها ، وإن سكت عنه وتركه وما يصنع أدّى ذلك إلى الإخلال بالواجب، وذلك من موارد الهلكة "³.

وتفاعل التشبيه مع تناصّات متنوّعة أحالت إلى الخلافة وارتبطت ارتباطاً مباشراً بمضمون التشبيه . فقد أحال التناصّ التاريخي إلى الخلافة بعد الرسول محمّد ، وشبّهها بالصعبة من الإبل، وأحال المناصّ الشعري للأعشى إلى تبدّل أمر خلافته في قوله: " لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ ...

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

¹- محمّد عبده، شرح نهج البلاغة ، ص ٣٣.

²- م. ن. ، ص ٣٣.

³- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ١٥٨.

⁴- انظر مناسبة البيت ص ٦٣- ٦٤.

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ يَقُولُ: " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " بلى والله لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا...<sup>١</sup>.

يُحِيلُ التَّنَاصُّ التَّارِيخِيَّ إِلَى عَهْدِ "الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ"<sup>٢</sup>، وَاسْتَعَارَ عَلِيٌّ لَفْظَ "تَقَمَّصَهَا" لِلدَّلَالَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ<sup>٣</sup>. فَقَدْ شَبَّهَهَا بِالْقَمِيصِ، ثُمَّ وَرَدَ مَنَاصٍ شَعْرِيٌّ لِيُبَيِّنَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ مِنْ خِلَالِ كَلِمَةِ "شَتَّانَ". وَبَيَّنَ ابْنُ مِثْمٍ وَجْهَ الشَّبْهِ فِي قَوْلِهِ: "...كَانَ بَيْنَ حَالِهِمْ وَحَالِهِ بُعْدٌ بَعِيدٌ وَافْتِرَاقٌ شَدِيدٌ فَاسْتَشْهَدَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَاسْتَعَارَ لَفْظَ الْيَوْمَيْنِ، وَكُنِيَ بِهِمَا عَنْ حَالِهِ وَحَالِهِمْ وَوَجْهَ الْمَشَابَهَةِ فِي هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ حَالَهُمْ اسْتَلْزَمَ حَصُولَ الْمَطَالِبِ وَالرَّفَاهِيَةِ كَيَوْمِ حَيَّانٍ وَحَالِهِ اسْتَلْزَمَ الْمَتَاعِبَ كَيَوْمِهِ عَلَى النَّاقَةِ مَسَافِرًا..."<sup>٤</sup>، وَيَخْتَمُ عَلِيٌّ الْمَقْطَعُ بِآيَةِ قِرْآنِيَّةٍ تَقْدِ الْقَنَاعَةَ وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ. وَشَبَّهَ فِي خُطَابِ آخِرِ أَصْحَابِهِ الْمُتَعَبِينَ مِنَ الْجِهَادِ بِالْجَمَلِ الْمُتَعَبِ مِنَ السَّيْرِ فِي قَوْلِهِ: "دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَى، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ...كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ"<sup>٥</sup>.

شَبَّهَ عَلِيٌّ اسْتِجَابَةَ أَصْحَابِهِ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دَعَاهُمْ لِنَصْرَةِ إِخْوَانِهِمْ بِحَالِ اسْتِجَابَةِ الْإِبِلِ التَّعَبِ مِنَ السَّيْرِ، لِأَنَّ الْإِبِلَ الضَّجْرَ مِنَ السَّيْرِ يَصْدُرُ أَصْوَاتًا مَزْعَجَةً، فَشَبَّهَهُمْ بِحَالَةِ الْإِبِلِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ. وَأَوْضَحَ ابْنُ مِثْمٍ مَعْنَى جَرْجَرَةِ الْإِبِلِ أَنَّهَا "تَرْيِدُ صَوْتَ الْبَعِيرِ فِي ضَجْرَتِهِ عَنْ عُسْفِهِ، وَالسَّرَّ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْبَعِيرَ فِي سَرَّتِهِ يُقَالُ مِنْهُ جَمَلٌ أَسْرٌ، وَالنَّضْوُ مِنَ الْإِبِلِ: الْبَالِيُّ مِنَ تَعَبِ السَّيْرِ..."<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ص ٣٢، ٣٥؛ وَالْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ، ٢٨ / ٨٣؛ وَالْبَيْتُ الشَّعْرِيُّ مِنَ الْأَعَشَى، دِيوَانُ الْأَعَشَى الْكَبِيرِ، ص ١٨٥.

<sup>٢</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، م. س.، ص ٣٣.

<sup>٣</sup> - أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ وَيُقَالُ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ عَثْمَانُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ تَمِيمٍ بْنُ مَرْثَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنُ لُؤْيٍ الْقُرَشِيِّ التَّمِيمِيِّ، أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَهُوَ الَّذِي حَارَبَ الْمُرْتَكِبِينَ الَّذِينَ ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الشَّرْكِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ . تَوَفَّى مَسَاءَ الثَّلَاثَاءِ لَثْمَانَ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةِ (١٣ / ٦٣٤) وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ؛ الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، ج ٣، ص ٧، ٢٠، ٤٣.

<sup>٤</sup> - ابْنُ مِثْمٍ، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ص ١٥٧.

<sup>٥</sup> - مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، م. س.، ص ٧١؛ وَالْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، ٨ / ٦.

<sup>٦</sup> - ابْنُ مِثْمٍ، م. س.، ص ٢٥٠.

وتفاعل التشبيه مع التناصّ التاريخيّ الذي يُحيل إلى واقعة عين التمر<sup>١</sup> ، فقال ابن أبي الحديد: "الكلام خطب به أمير المؤمنين عليّ في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر"<sup>٢</sup>، والمناصّ القرآنيّ في قوله تعالى: "يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ"<sup>٣</sup>، فكأنّه يشبّه حال علوّ أصواتهم ممتعضين ومتضجّرين من القتال بحال جرجرة الإبل ضجرًا من كثرة الارتحال والتنقل . ويضيف ابن ميثم في وصف الجرجرة فيقول: "لفظ الجرجرة لكثرة تملّهم وقوّة تضجّرهم من ثقل ما يدعوهم إليه ، ولما كانت جرجرة الجمل الأسرّ أشدّ من جرجرة غيره لا حظ شبه ما نسبته إليهم من التّضجّر بها . وكذلك تشبيه تثاقلهم بتثاقل النضو الأبرّ... وتشبيههم بمن يساق إلى الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة إلى ما يساق إليه لشدة خوفه، كل ذلك ذمّ وتوبيخ..."<sup>٤</sup>.

ويُوجد توافق بين التشبيه والتناصّ القرآنيّ . فقد شبّه عليّ ضجر أصحابه من القتال بضجر أصحاب النبيّ يوم بدر من قتال المشركين في قوله تعالى: "كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ" ، فكأنّهم يُساقون إلى قتال جيش معاوية كما تُساق الإبل المتعبة إلى قطع الصحاري دون رغبتها.

ويلاحظ اختلاف صور التشبيه بالإبل ، فيرد التشبيه بالإبل صعبة الإنقياد ، ويشبّه تارة أخرى بالإبل المصابة بداء في سرّتها ، ويشبّه في نصّ آخر بالإبل العطشى في قوله:

"فَدَاكُوا عَلَيَّ نَدَاكَ الْإِبِلُ الْهِيمَ يَوْمَ وَرِدِهَا ، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخَلَعَتْ مَتَانِيهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ"<sup>٥</sup>.

يُحيل المقطع إلى وقعة صفّين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام ، فصور مشهد ازدحامهم عليه حتّى كادوا يقتلونه أو يقتل بعضهم بعضًا ، فوجد القتال أصلح موضحةً السبب في آخر النصّ في قوله: "فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ ، وَمَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ"

<sup>١</sup> - عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة وهي قديمة. افتتحها المسلمون في أيّام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة اثنتي عشرة من الهجرة وكان فتحها عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٦.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٦٣.

<sup>٣</sup> - الأنفال، ٦ / ٨.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥١.

<sup>٥</sup> - شرح محمّد عبده الكلمات الواردة في المقطع في قوله: "فَدَاكُوا": تَزاحموا عليه ليبياعوه رغبة فيه . والهميم: العطاش . يوم ورودها: يوم شربها ؛ محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٨٠.

<sup>٦</sup> - م. ن.، ص ٨٠.



عَلَيَّ مِنْ مَوَاتٍ الْآخِرَةِ". لذا قَبِلَ الخلافة وسار بأصحابه إلى صفين. فقد شَبَّهَ عَلِيٌّ حالة ازدحام صحبه عليه كحالة ازدحام الإبل العطاش وهي على الماء. ووجه الشبه شدة الزحام عليه .

وأنتج تفاعل التشبيه مع التناصّ التاريخي معنى غائباً . فقد تضمّن النصّ صورتين فنيّتين: لوحة تعطّش أصحاب عليّ ومطالبتهم الانتهاال من منبع الماء العذب ، ولا يتأتّى ذلك إلا بمبايعتهم له جبراً ، فأدّى إلى خلق تلك الحالة الهستيريّة لديهم فازدحموا على بابهِ حتى كادوا يقتلونه أو يقتل بعضهم بعضاً . ولوحة إصرار الإبل على بلوغ مشارع الماء بتدافع وازدحام شديد طلباً للماء لتسدّ به رمقها منه . وشبّه في نصّ آخر إقبال أصحابه عليه طالبين مبايعته بإقبال مسنّات النوق على أطفالها فقال:

"وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ... فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْغُوزِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةُ النَّبِيعَةُ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا" <sup>١</sup> .

تفاعل التناصّ التاريخي مع التشبيه في هذا المقطع كذلك . فقد شبّه عليّ إقبال أصحابه عليه كإقبال النوق المسنّة على أطفالها في قوله: " فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْغُوزِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا " ، لأنّها تتّصف بالرفق واللّين والحنان . وأشار ابن ميثم إلى وجه التشبيه في قوله: "وجه الشبه شدة الإقبال والحرص على مبايعته ، وخصّ المسنّات لأنّها أقوى حنة على أولادها" <sup>٢</sup> . ويُراد من " واو الجماعة " طلحة والزبير في قوله: " وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا ، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ " ، وقال ابن أبي الحديد في شرحه: " دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ، يعني دم عثمان . وكان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك " <sup>٣</sup> . ووصف بني أميّة بالناقة الشرسة في المقطع الآتي:

"وَإِنَّمِ اللهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْيَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُّوسِ : تَعْتَمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ... فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ - بِالذُّنْيَا وَمَا فِيهَا - لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا ، وَلَوْ قَدَرُ جَزْرِ جَزُورٍ ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلَبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ" <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٨٢.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٨٤.

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٢٦.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٣٤.



تفاعل التشبيه في قوله: "كَالْنَابِ الضَّرُوسِ" مع التناصّ التاريخي . فقد شبّه معاملة الدولة الأمويّة للرعيّة بالناقة المسنّنة الضروس<sup>١</sup> . إنّ الناقة المسنّنة التي يتحدّث عنها المقطع هنا تختلف عن الناقة المسنّنة في المقطع السابق . فالناقة في المقطع السابق حنون على أولادها، أمّا الناقة هنا فشرسة تهاجم حالبها فتعضّه في إشارة إلى حكم بني أميّة بعده لهم أرباب سوء ، وصدق فيما قال ، فإنهم ساموهم سوء العذاب قتلاً وصلباً، وحبساً وتشريداً في البلاد<sup>٢</sup> . وأضاف ابن أبي الحديد أنّ الناب الضروس هي: " السيئة الخلق تعضّ حالبها... وزبنت الناقة تزين ، إذا ضربت بثفتاتها عند الحلب ، تدفع الحالب عنها "<sup>٣</sup> ، ووجه الشبه سوء الخلق والعنف الشديد .

واختلفت صور استدعاء الناقة في خطب نهج البلاغة من نصّ لآخر، واختلفت أوجه الشبه كذلك . فيشبهه عليّ بكاء التائب وحنينه بحنين الناقة التي فقدت ولدها في قوله: "قَوَّالَهُ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَلِّهِ الْعَجَالِ"<sup>٤</sup> . ويشبهه اتّباعه رسول الله منذ الصغر باتّباع ولد الناقة لأمه في قوله: "وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ"<sup>٥</sup> ، ويشبهه حبّ أصحابه المخلصين لرّبهم كحبّ الناقة لأولادها في قوله: "فَوَلَّهُوا وَلَةَ اللَّفَّاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا"<sup>٦</sup> . وتفاعلت أغلب التشبيهات بالناقة مع التناصّ التاريخي . كما وردت أسماء حيوانات أخرى على شكلين: عامّ ، وخاصّ . فالعامّ كإطلاق اسم "الأنعام" دون تحديد النوع كقوله: " وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ ، يَرْتُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ "<sup>٧</sup> .

شبّه عليّ حال الحجاج الذين يقصدون مكة بحال قصد الأنعام للماء . وارتبط التشبيه ارتباطاً مباشراً بمضمون المُنَاصِّ القرآني الذي ورد آخر المقطع في قوله تعالى: "فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "<sup>٨</sup> ، فيشير كلا النصّين إلى فريضة الحجّ.

<sup>١</sup> - قال محمّد عبده: " الناقة الضروس السيئة الخلق تعضّ حالباً . وتعذّم من عذّم الفرس إذا أكل بجفاء أو عضّ ، وتزين أي

تضرب . ودرّها: لبنها . والمراد خيرها؛ محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٤ .

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٤٠ .

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد م. ن.، ج ٧، ص ٤٠ .

<sup>٤</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ٧٩ .

<sup>٥</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ٢٦٤ .

<sup>٦</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ١٦٦ .

<sup>٧</sup> - محمّد عبده، م. س.، ص ٢٩ .

<sup>٨</sup> - آل عمران، ٩٧ / ٣ .

وأما الخاص فتحديد نوع الأنعام كالإبل كما رأينا وكقوله في التشبيه بالمعزى الفارّة من صوت الأسد :

" أَيْتَهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلَفَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتَّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظَارَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَتَفَرُّونَ عَنْهُ نَفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغْوَعَةِ الْأَسَدِ ! " ٢ .

بين المقطع حدثاً تاريخياً يُحيل إلى سبب قبوله الخلافة . فقد أورد تشبيهاً خصّص فيه نوع الحيوان الذي شَبَّه به المبايعين ، فشَبَّههم بالماعز الفارّة من صوت الأسد . وقال ابن ميثم في شرحه للتشبيه: " ... شَبَّه نَفَارَهُمْ بِنُفُورِ الْمِعْزَةِ عَنْ صَوْتِ الْأَسَدِ وَوَجْهَ التَّشْبِيهِ شِدَّةَ نَفَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ ... " ٣ .

وشَبَّههم في نص آخر بالإبل الصغيرة فيقول: " كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمْدَةُ ، وَالثِّيَابُ الْمَدَاعِيَةُ ! كُلُّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَكَّتْ مِنْ آخَرٍ " ٤ .

وموضع التشبيه قوله: " كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمْدَةُ " ، واستدعى الإبل بلفظ "البكار" ، فقال ابن ميثم في شرحه لكلمة البكار: "البكار جمع بكر: وهي الفتى من الإبل" فهو يُشَبَّه حالة مداراته لصحبه بالرفق واللين، كما تُدَارَى الإبل الفتية بالرفق ودلالة التشبيه هنا ذم أصحابه ووصفهم بالدعة " ونَبَّههم في حاجتهم إلى المداراة بتشبيهين: أحدهما : بِالْبِكَارِ ... ووجه الشبه بينهم هو قلة صبرهم وشدة إشفاقهم وفرارهم من التكليف بالجهاد ... " ٥ .

١- الوعوة: ذكر الثعالبي أن " الوعوة صوت الذئب " ، ولكن العرب أطلقته على الأسد كذلك . ففي كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ورد في باب أبيات المعاني في الأسد ذكر صوت الأسد وذلك في بيت من الشعر لم يذكر صاحبه :

" وَصَاحَ مِنْ صَاحٍ فِي الْأَجْلَابِ وَابْتَعَثَ وَعَاثَ فِي كَبَةِ الْوَعَوَاعِ وَالْعِزْرِ

والكَبَةُ الجماعة، والوعواع الصوت، وعَاثَ أَفْسَدَ ، وَابْتَعَثَ الْإِبِلَ " . كما أشار لذلك ابن منظور في معجمه قائلاً : "وَالْوَعْوَعَةُ: مِنْ أَصْوَاتِ الْكِلَابِ وَبَنَاتِ أَوَى. وَوَعَوَعَ الْكَلْبُ وَالذَّئْبُ وَغَوَاعًا: عَوَى وَصَوَّتَ ... قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَالْوَعَوَاعُ أَوَّلُ مَنْ يُغِيثُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَقِيلَ: الْوَعَوَاعُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ؛ قَالَ أَبُو زَيْدٍ يَصِفُ الْأَسَدَ:

وَصَاحَ مِنْ صَاحٍ فِي الْأَجْلَابِ وَابْتَعَثَ وَعَاثَ فِي كَبَةِ الْوَعَوَاعِ وَالْعِزْرِ

ونسب الأزهري هذا الشعر لأبي ذؤيب. وفي حديث علي: وَأَنْتُمْ تَتَفَرُّونَ عَنْهُ نَفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغْوَعَةِ الْأَسَدِ أَيِ صَوْتِهِ. وَوَعَوَاعُ النَّاسِ: ضَجَّتُهُمْ؛ الثعالبي، فقه اللغة، ص ٢١٠؛ ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير، مج ١، ج ٢، ص ٢٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٤٣١٧.

٢- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٧٨.

٣- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٧٥.

٤- محمد عبده، م. س.، ص ٨٩.

٥- ابن ميثم، م. س.، ص ٢٩٥.

وتفاعل التشبيه بـ (الحية) مع تناصّ تاريخيّ يُحيل إلى تعجّب عليّ من هديّة أهديت له<sup>١</sup> من الأشعث بن قيس<sup>٢</sup>. فقد تعجّب عليّ من ظاهرتين: الأولى من توسّل عقيل بن أبي طالب بأنّ يزيد من بيت مال المسلمين صاعاً من البرّ، والظاهرة الثانية: تقديم الأشعث هديّة لعليّ بن أبي طالب. وتلاحم التناصّ التاريخيّ مع التشبيه لبيان الغرض من الإهداء في قوله:

"وَاللّٰهُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمَلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرْكَمٍ صَاعًا... وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنْتَتْهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَيْقٍ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أُمُّ زَكَاةٍ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبْلَنَّاكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي!"<sup>٣</sup>.

وموضع التشبيه قوله: "كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَيْقٍ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا"، فشبّه عليّ هديّة الحلوى التي قدّمها الأشعث إليه برقيق حيّة أو قيئها. وما يهمنّا من التشبيه هو سبب اختيار الحيّة لتكون مشبّهًا به ولم يختَر غيرها من الحيوانات. ولا بدّ من التأمّل في كلمات المقطع للتوصّل إلى السبب. فقد وصف عليّ الأشعث بالمحتال والمخادع الذي أتى ليغري عليّاً ويصرفه عن دينه، فقال عليّ: "أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي"، ولم يجد عليّ أنسب من الحيّة ليشبّبه بها، لأنّها تتّصف بالخبث والدهاء<sup>٤</sup>. وتتنطبق هذه الصفات على الأشعث، لأنّه أتى ليحتال بخبث ودهاء ليميل عليّاً إلى مبتغاه.

<sup>١</sup> - ذكر ابن أبي الحديد قصّة الهدية التي جاء بها الأشعث لعليّ فردّها: "كان أهدى الأشعث بن قيس لعليّ نوعاً من الحلواء تأنق فيه، وكان صلى الله عليه وسلم يبغض الأشعث لأنّ الأشعث كان يبغضه، وظنّ الأشعث أنّه يستميله بالمهاداة لغرض دنيويّ كان في نفس الأشعث، وكان أمير المؤمنين رضي الله عنه يظنّ لذلك ويعلمه، ولذلك ردّ هديّة الأشعث، ولولا ذلك لقبها...؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ١٧٢.

<sup>٢</sup> - الأشعث بن قيس بن معدّي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدّي بن ربيعة بن معاوية من كندة، ارتدّ عن الإسلام، ثمّ رجع بعد أن اشترط على أبي بكر أن يزوجه أخته فروة بنت أبي قحافة فزوجه. توفّي في الكوفة سنة أربعين (٤٠ / ٦٦٠) بعد مقتل الإمام عليّ بأربعين ليلة، ودفن في داره؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٨ - ٢١.

<sup>٣</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٠١.

<sup>٤</sup> - قال الثعالبي: من أسماء الحيّة "الحَبَاب والشيطان والحيّة الخبيثة"، وقال ابن قتيبة: "داهية الدهر الحيّة"؛ الثعالبي، فقه اللغة، ص ١٦٢؛ ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير، مج ٢، ج ٤، ص ٦٧١.

## ثانياً : الاستعارة

تُعرّف الاستعارة بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه فإن حذف المشبّه به ورمز له بشئ من لوازمه كانت الاستعارة مكنية وإن صرّح به سميت تصريحية ، فقال السكاكي في الاستعارة : "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبّه في جنس المشبّه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به"<sup>١</sup>، ونفهم من ذلك أنّ الاستعارة إحدى أدوات إنتاج النصّ كما ألمح سعيد الحنصالي في قوله: " فتصير الاستعارة أداة من أدوات نمو الفكر وإنتاج المعرفة ونقلها... وتلعب الاستعارة في بناء النصّ دوراً رئيسياً بكشفها عن الآلية التي تشتغل بها هذه البنية وتؤسّس موقعها في جسد النصّ "<sup>٢</sup>. فينتج إدراج كلمة مجازية في النصّ استعارات لا متناهية. وتقول وجدان الصايغ في ذلك : " فاللفظة المفردة ستحمل معها إحياءاتها ودلالاتها ، وستتفاعل هذه الإحياءات والدلالات مع السياق اللغوي الجديد فتنتج لنا الاستعارة المتجددة"<sup>٣</sup>. فالاستعارة قادرة على إنتاج فهم جديد للنصّ الخطابيّ بأشكال متعدّدة ، أي أنّها تصنع نصّاً غائباً وراء النصّ الحاضر . وهذا ما سنلاحظه في استدعاء الصورة الاستعارية في خطب نهج البلاغة . فقد تفاعل في نصوص النهج ثلاثة أشكال من الصور الاستعارية ، وهي كالآتي :

أ- تحويل المعنويّ إلى حسيّ .

ب- استعارة لوازم الإنسان .

ج- استعارة لوازم الحيوان .

ونقصد بالأوّل تحويل المشبّه به المعنويّ إلى حسيّ ، فيكون محسوساً أي يمكن لمسه . وعبر عنه أحمد الهاشمي في قوله: " بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم يُمكن أن يُشار إليه إشارة حسية كقولك رأيت بحراً يُعطي"<sup>٤</sup>، أي تحويل معنى الكرم المعنويّ إلى رمز البحر الحسيّ . وأمّا الثاني كاستدعاء خاصيّة يختصّ بها بنو البشر عن سائر الكائنات الأخرى وجعلها في الجماد مثلاً. كأن نقول: " ضحكت القبور على أهلها " ، فالضحك من لوازم الإنسان ولكنّه وظّف للجماد "القبور". وأمّا الثالث فتحويل لوازم الحيوان للإنسان كأن نقول: " سمعت زئير الأسد في وسط

<sup>١</sup>- السكاكي، مفتاح العلوم، ٣٦٩.

<sup>٢</sup>- سعيد الحنصالي، الاستعارات، ص ١٦.

<sup>٣</sup>- وجدان الصايغ، الصورة الاستعارية، ص ٣١.

<sup>٤</sup>- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٤٤.

المعركة حاملاً في يده السيف يضرب به الأبطال"، فالزئير من لوازم الحيوان ولكنه وظف للإنسان لبيان القوة . وستبين هذه الصور الاستعارية من خلال عرض مجموعة من خطب النهج.

### أ- تحويل المعنوي إلى حسي

تتفاعل الاستعارة في أحد النصوص الخطابية مع وقعة صفين التاريخية ، فيقول فيها علي:

"مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ ... فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَأَمِّنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا ، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا ! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ"<sup>١</sup>.

وتفاعلت الاستعارة في قوله : "اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ " مع التناص التاريخي. فقد تحولت السكينة من صفة معنوية قلبية إلى صفة حسية وذلك بتحويلها إلى جسم محسوس في كلمة (اللباس)، فقال ابن ميثم في شرحه للاستعارة: "...وَأَتَّخَذَ السَّكِينَةَ جَلْبَابًا تَنْزِيلًا لِلثِّيَابِ الشَّامِلِ لِلْإِنْسَانِ مَنْزِلَةَ الْمَلْحَفَةِ فِي شَمُولِهَا لِلْبَدَنِ . وَالشَّمُولُ هُوَ وَجْهُ الْإِسْتِعَارَةِ"<sup>٢</sup>، فضلاً عن تفاعلها مع التناص القرآني الضمني في تشبيه السكينة بجلباب يشتمله المتلقي على جسده . فقد أحال إلى قوله تعالى: "...وَلِبَاسُ الْقُوَى ذَلِكَ خَيْرٌ..."<sup>٣</sup>. وتفاعلت الاستعارة كذلك مع التناص القرآني الصريح في قوله تعالى: "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ"<sup>٤</sup>.

ويلاحظ تفاعل الاستعارة مع المناص القرآني كذلك في العز والكبرياء وتحويلهما من صفة معنوية إلى حسية بوصفهما باللباس في قوله :

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ...ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، لِيُمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالَمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَخْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: "إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ" اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بَخْلَقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٨٧.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٩٠.

<sup>٣</sup> - الأعراف، ٢٦ / ٧.

<sup>٤</sup> - محمد، ٣٥ / ٤٧.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٥٣؛ والآية من سورة ص، ٣٨ / ٧١ - ٧٤.

شَبَّهَ المقطع العزَّ والكبرياء باللباس . فقد وأوضح محسن باقر أنَّ الاستعارة تصريحية في قوله: " ثُمَّ اسْتَعِيرَ لَفْظَ الْمَشَبَّهِ بِهِ لِلْمَشَبِّهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ مِنْ لَفْظِ "اللباس" والفعل "لبس" بمعنى اتَّصف ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي العزَّ والكبرياء على سبيل الاستعارة التبعيَّة "١. فشَبَّهَ اللباس (محذوف) بالعزَّ والكبرياء (مصرَّح به) ، ويقول ابن ميثم: أنَّ النصَّ " ... استعار اللبس باعتبار إحاطة كماله بكلِّ اعتبار له كما يُحيط القميص والرداء بجسد لابسِه "٢، وتفاعلت الاستعارة مع حدث رفض إبليس السجود لخلق آدم في المُنَاصِّ القرآنيِّ الوارد في النصِّ . ونلاحظ في نصٍّ آخر تحول صفة البلاء المعنويَّة إلى عضو جرح حسيٍّ في قوله :

"أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِنْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصْلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ! ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْثَرَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى! ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنْ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍّ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِجْرَاجٍ ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ... إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا "٣.

تحول البلاء المعنويَّ إلى مادة محسوسة تجرح وتؤلم في قوله: " ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ " . فقد ألمح محسن باقر إلى أنَّ المقطع "شَبَّهَ الأذى والألم بالعض" فاستعير لفظ المشبَّه به للمشَبِّهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْمَصْدَرَ لِلْفِعْلِ "يعض" على سبيل الاستعارة التبعيَّة "٤، فشَبَّهَ حالة عضَّ البلاء المعنويَّ بحالة عضَّ الأفتاب سنام البعير أي جرح الأفتاب لجسم البعير إذا طال وضعها على ظهرها . وتفاعلت الاستعارة بالتناصُّ التاريخي الذي يحكي واقع أصحاب عليٍّ حين تقاعسوا عنه وتخلَّفوا فعضَّهم البلاء .

ويكثر في نصوص النهج أسلوب العتاب الذي يُعدُّ ميثانصاً متداخلاً مع النصِّ . وتتفاعل الاستعارات وأسلوب العتاب بغرض التوبيخ والتحقير كقوله :

" قَدْ اسْتَطَعَمُوكُمُ الْقِتَالَ ، فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيَاةُ فِي

١- محسن باقر الموسوي، علوم نهج البلاغة، ص ٣٩٨.

٢- ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٧٣٧.

٣- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٤٦.

٤- محسن باقر الموسوي، م. س.، ص ٣٩٨.



مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئِمَةٍ مِنَ الْغَوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ .<sup>١</sup>

يُوَبِّخُ عليّ أصحابه على تخاذلهم وعدم منعهم معاوية وأصحابه في صفين. وتداخل التوبيخ مع الاستعارة المعنوية التي تُحِيلُ إلى تناسل تاريخي في قوله: "قَدْ اسْتَطَعَمُوكُمُ الْقِتَالَ". فقد تحول القتال من معنوي إلى حسي، فشبه القتال بالطعام المر. ويقول محمد عبده في عبارة "اسْتَطَعَمُوكُمُ": أنهم "طلبوا منكم أن تطعموهم القتال..."<sup>٢</sup>، فتكاسلوا عن ذلك فوبّخهم في قوله: "فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ" أي اعترفوا على أنفسكم أنكم أذلة أمامهم. وأشار ابن ميثم أن أصحاب عليّ استهانوا بالقتال في قوله: "استعار لفظ الاستطعام لتحرشهم بالقتال... ووجه الاستعارة استسهالهم للقتال"<sup>٣</sup>.

ووصف عليّ في بعض خطبه نشر الرعب في قلوب الأعداء بالكأس المصبرة في قوله :  
 "وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُّوسِ: تَعْذَمُ فِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى... ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَلِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصْبَرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قَرِيْشٌ — بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا — لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا، وَلَوْ قَنَرُ جَزْرٍ جَزُورٍ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلَبُ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ !"<sup>٤</sup>.

وتفاعلت الاستعارة في قوله: "وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصْبَرَةٍ" بالتناص التاريخي المستقبلي الذي أحال إلى زمن انتهاء الدولة الأموية ومجيئ الدولة العباسية، وقال ابن ميثم في شرحه للمقطع: "ولقد أولاهم بنو العباس من الذل والهوان، وأذاقوهم كأس العذاب طعومًا مختلفة، وأروهم عيان الموت ألوانًا شتى كما هو مذكور في كتب التاريخ، ولفظ الكأس والتصبر والعطية مستعار... ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارًا لهم..."<sup>٥</sup>، فشبه الموت بالكأس المملوءة حقًا وحذف المشبه وصرّح بالمشبه به. ويشبه في نص آخر الباطل بمقاتل يقاقله في قوله:

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧٨.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٧٨.

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٦٨.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٣٤.

<sup>٥</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٣٩٧.



" أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةَ وَلَا وَحْيًا ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ ... وَإِنَّمَا اللَّهُ ، لِأُبْقِرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ ! " <sup>١</sup> .

تتجلى الاستعارة في قوله: " وَإِنَّمَا اللَّهُ ، لِأُبْقِرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ ! " . وشرح محسن باقر الصورة الاستعارية في قوله: "شبه الباطل بكائن ابتلع الحق لإخفائه عن الوجود فقال الإمام: لأعمد على شق بطنه لاستخراج تلك الجوهر المبتلعة ، وذكر ما يلزم الباطل وهو خاصرته المكان الذي سيستخرج منه الحق على سبيل الاستعارة المكنية" <sup>٢</sup> . ووردت في نص آخر بلفظ مختلف " فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ جَنْبِهِ " <sup>٣</sup> ، وقال ابن أبي الحديد في شرحه: "أقسم لينقبن ذلك الباطل إلى أن يُخرج الحق من جنبه وهذا من باب الاستعارة أيضًا" <sup>٤</sup> . وتفاعلت كلا الاستعارتين بالتناص التاريخي الذي يُشير إلى يوم الجمل <sup>٥</sup> .

ووصف في نص آخر الباطل بالإنسان، وأتى بكلمة من لوازم الإنسان في قوله: " وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مُنْبِتِهِ ... " <sup>٦</sup> ، وقال ابن ميثم في شرح الاستعارة: "اللسان الناصر للباطل والناطق به واستعار وصف الانقطاع له باعتبار سكوته ملاحظة لشبهه بالمنقطع في عدم القول" <sup>٧</sup> ، وتحكي الاستعارة تناصًا تاريخيًا لانتصار الحق على الباطل زمن بعثة النبي محمد .

ونلاحظه يشبهه ملذات الدنيا "بالحطام" أي الأغصان اليابسة المتكسرة ، وذلك في النص الذي عاتب فيه أخاه عقيل بن أبي طالب <sup>٨</sup> ، فقال فيه :

"وَاللَّهِ لَأَنْ أُبَيَّتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُلْقَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ... " <sup>٩</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٤ .

<sup>٢</sup> - محسن باقر الموسوي، علوم نهج البلاغة، ص ٤٠٩ .

<sup>٣</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٨٦ .

<sup>٤</sup> - م. ن.، ج ٢، ص ٣٨٧ .

<sup>٥</sup> - ذكر ابن أبي الحديد أنه ألقى الخطبة عندما خرج لقتال أهل البصرة يوم الجمل؛ ابن أبي الحديد، م. ن.، ج ٢، ص ٣٨٦ .

<sup>٦</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣١١ .

<sup>٧</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٧٨٣ .

<sup>٨</sup> - انظر الخطبة التي تحيل إلى التناص التاريخي (تملق عقيل وتوسله لعلي بن أبي طالب) ص ٢٠٥ .

<sup>٩</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٠١ .

وشبه الدنيا بالحطام تحقيراً لها. فقد قال ابن ميثم: "الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار حقارته، وأصله ما تكسر من نبت الأرض"<sup>١</sup>، فشبه لذات الدنيا بالأغصان المتكسرة في استعارة تصريحية .

ومن أنواع تحويل المعنويات إلى حسيات تشبيه الموت بالضيف الذي يحل في بيت المضيف ، فضلاً عن تفاعل الاستعارة مع الميثانص التاريخي الذي يحكي ماضي القرون الغابرة وينتقد المغترين بالدنيا في المقطع الآتي :

" فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَانِكُمْ ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدٌ طَيَّانِكُمْ . زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ... وَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا ، وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَانًا ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا... "٢.

نلاحظ استدعاء الأمم الماضية الذين أبادهم الموت فأصبحت منازلهم مهجورة وممتلكاتهم في أيدي غيرهم "وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَانًا ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا" ، وتشبيه حال المتلقي بعد موته بحال من أفناه الموت من الأمم السابقة في قوله: " وَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ " . وأشار المقطع إلى أن الموت القادم سيبيد اللاحقين كما أباد الماضين في قوله: "فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَانِكُمْ ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدٌ طَيَّانِكُمْ" . وكأن الإنسان في صراع مستمر مع هذا الضيف الذي يلاحقه في كل زمن . فكما مرّ هذا الزائر الذي لا يرغب فيه أحد على الأمم السابقة ، سيمرّ على الأمم اللاحقة .

وتختلف قراءة النصوص من مؤلف لآخر . فقد أشار عبد الفتاح كليطو إلى وضع كل مؤلف في مستواه الذي يرقى إليه في قوله: "ينبغي للتحليل أن يأخذ بالحسبان المستوى الذي يتموقع فيه المؤلف . لا نقرأ البخلاء... ونحن في الحال نفسها حين نقرأ مؤلفاً جاداً كإحياء علوم الدين للغزالي . المؤلف ذاته هو الذي يجب أن يملئ الموقف الواجب اتخاذه تجاهه ، لا من اعتبارات خارجية عن المؤلف ، أو خاصّة بحقل ليس هو حقل المؤلف"<sup>٣</sup>، فحينما نقرأ نصوص النهج ندرك مستوى المتلقي من خلال جزالة ألفاظه وتنوّع شواهده ودورها الدلالي في النصوص ، كتتنوع دلالة

<sup>١</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٦٦٦.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٠٥.

<sup>٣</sup> - عبد الفتاح كليطو، المقامات، ص ١٢٤.

لفظ الفتنة في خطب النهج وتفاعلها بالتناصّات المختلفة ، فتشبه تارة بحيوان على سبيل الاستعارة المكنية كالمقطع الآتي الذي يستدعي فيه كلمة من لوازم الحيوان فيقول فيه :

" أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لَوَاؤُهُ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِنَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا... فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهْوٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ<sup>١</sup>."

يتحدّث المقطع عن أول تاريخ المسلمين مع المشركين من قريش وأطلق على الجبهتين المتعارضتين مسمّى جبهة الخير وجبهة الشرّ في قوله: "فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ"<sup>٢</sup>، وتوجد الاستعارة في قوله : "فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِنَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا" ، فسُبِّهَت الفتنة بالبقر والشاة والبعير من خلال استدعاء الدوس بالحوافر . وأوضح ابن ميثم أنّ عليّاً بالغ في وصف الفتنة في قوله: "بالغ في تشبيهها بأنواع الحيوان فاستعار لها أخفافاً وأظلافاً وحوافراً وجعل لها دوساً ووطاً وقياماً على الحوافر..."<sup>٣</sup> . ووصف الفتنة بمأوى مظلم ، أو طريق لا يهتدي سالكه في قوله "فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ" ، فأفادت "فِيهَا" معنى احتواء الفتنة لهم في دار خيرة وجيران أشرار. فرمز بالدار الخيرة العراق أو الشام ، وبالجيران أهلها الذين يعيشون فيها .

وتحدّث المقطع عن جبهتين متضادتين: دار خيرة عالمها كمّم فاه، ودار شرّ وضلال فيها جهال مكرّمون . وقارن التناصّ التاريخي بين الساكن والساكن ، فيتّصف الساكن بالقداسة ، ويتّصف الساكن بالشرّ كأهل الشام في الشام أو أهل العراق في العراق . وقال محمّد عبده أنّ عليّاً ألقى هذا الخطاب "بعد انصرافه من صفين"<sup>٤</sup>، وأوضح الآثار الجانبية لفتنة صفين التي داستهم كدوس الحيوان للأرض بخفّها . ويتحوّل تشبيه الفتنة إلى رجل شجاع في المقطع الآتي:

"أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيَهَبُهَا ، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا ..."<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup>- محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٠.

<sup>٢</sup>- بين ابن ميثم الاختلاف في المقصود بـ"الدار" في قول علي: "فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ" قائلًا: "أراد الشام لأنها الأرض المقتسة وأهلها القاسطون". وقال محمّد عبده: "أراد بخير دار العراق وشرّ جيران يعني أصحابه المستصرخ بهم للجهاد..."  
محمّد عبده، م. ن.، ص ٣٠؛ ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٩.

<sup>٣</sup>- ابن ميثم، م. ن.، ص ١٤٩.

<sup>٤</sup>- محمّد عبده، م. س.، ص ٢٩.

<sup>٥</sup>- محمّد عبده، م. س.، ص ١٣٣.

وتُوجد الاستعارة في كلمة " عَيْنَ الْفِتْنَةِ " <sup>١</sup> . فقد شبه عليّ فتنة يوم الجمل وصفين والنهروان بكائن قام بمقاتلته واقتلاع عينه . وأشار التناصّ التاريخي إلى انتهاء تلك الفتنة ، ولكنه حذر من فتن بني أمية في قوله:

" أَلَا وَإِنَّ أَخَوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَتْ خُطَّتَهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتَهَا ، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ ... " <sup>٢</sup> .

ويختلف معنى الفتنة من نصّ إلى آخر ويتنوّع حضورها في الموقف الخطابي ، فيذكر في نصّ من نصوصه المتعدّدة الفتنة كصفة من صفات الحاكم الذي يتصدّى للحكم بين الأمة وليس أهلاً له إذ يحول الفتنة مشبّهًا به والحاكم المضلّ لشعبه مشبّهًا وذلك في المقطع الآتي:

"إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ... وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا، مُوضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ، غَادِرٌ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عِمٌ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ " <sup>٣</sup> .

شبه عليّ الحاكم الذي يدّعي العلم بالفتنة في قوله : "فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ " ، فتعني الفتنة هنا الضلال . وشبه الفتنة بشجرة لها ثمر في النصّ الذي تحدّث عن الرسول ووصف مجتمع العرب في الجاهليّة فقال:

" وَالْذَّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ... قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا ، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ ، وَسِعَارُهَا الْخَوْفُ ، وَدِنَارُهَا السَّيْفُ " <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> - عين الفتنة : " إشارة إلى فتنة أهل البصرة وغيرها كوقعة النهروان، واستعار لها لفظ العين، وإنما خصّ العين لأنها أشرف عضو في الوجه، وبها تصرف الشخص وحركته، ورشّح بذكر الفقاء وكفى به عن زوال فتنهم بسيفه؛ ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٣٩٥.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٣.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ٤٥.

<sup>٤</sup> - م. ن.، ص ١١٦.

نستدل من قوله: " ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ " إلى تحول المعنوي (الدنيا) إلى حسي (الشجر) . فقد حول عليّ الدنيا شجرة لها ثمر ، فجعل الفتنة ثمرًا للشجرة . ووصف في نص آخر بداية ظهور الفتنة ببداية طلوع الجنين وكأنها أم في مخاضها في قوله:

"... ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ ، وَتَنَبَّأُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ ، وَاعْوَجَّاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا... ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّخُوفِ ، فَتَزِيغُ قُلُوبٍ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ..."<sup>١</sup>.

وقال ابن أبي الحديد: " كنى عن ظهور المستور المخفي منها بقوله : "عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا" والجنين : الولد ما دام في البطن..."<sup>٢</sup> ، وعدّ ابن ميثم لفظ الجنين استعارة في قوله: "... واستعار لفظ القتام لذلك الأمر المشتبّه، ووجه المشابهة كون ذلك الأمر ممّا لا يهتدي فيه خائضوه ... واعوجاج الفتنة إتيانها على غير وجهها ، ولفظ الجنين يُحتمل أن يكون حقيقة: أي عند طلوع ما اجتنّ منها وخفي عليكم ... ويُحتمل أن يكون استعارة..."<sup>٣</sup>.

ووصف عليّ الفتنة بأنها تزحف بشدة مخلفة الدمار والخراب في قوله: " ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّخُوفِ " ، وتفاعلت الاستعارة في المقطع مع التناصّ التاريخي المستقبلي ، فقال ابن ميثم : " استعار للفتنة لفظ الزخوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف في الحرب إلى أقرانه: أي يمشي إليهم قدماً"<sup>٤</sup> ، وحذر عليّ منها فقال: " ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدْ اقْتَرَبَتْ ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ ، وَتَنَبَّأُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ ، وَاعْوَجَّاجِ الْفِتْنَةِ ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا..."<sup>٥</sup> .

وشبّه الفتنة بالناقة في نصّه الذي وصف الإيمان وأمر بالهجرة ، فحذر من البلاء الذي يحلّ بالناس في دولة بني أمية في قوله :

" أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطُّ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٩٣.

<sup>٢</sup> - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٩٦.

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٧٢٠.

<sup>٤</sup> - م. ن.، ص ٥١١.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٤٨.

استعار المقطع لوازم الناقة ككلمة (الخطام) ، فشبه الفتنة بها على سبيل الاستعارة المكنية محوّلًا المعنوي (الفتنة) إلى محسوس (الناقة) ، وقال ابن ميثم: "ففي قوله "قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلَيْهَا" أراد فتنة بني أمية وأحكامهم العادلة عن العدل وما يلحق الناس في دولتهم من البلاء . وكنى بشعر رجلها عن خلوة الفتنة عن مدبر يدبرها ويحفظ الأمور وينتظم الدين حين وقوع الجور" ، ووصف سير الناقة في قوله: "تَطَأُ فِي خِطَامِهَا" ، وشرح ابن ميثم الصورة في قوله: "استعارة لوصف الناقة التي أرسل خطامها وخلت عن القائد في طريقها فهي تخطب في خطامها وتعرّض فيه وتطأ من لقيت من الناس على غير نظام عن حالها وهذا هو وجه الاستعارة إذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي . ولا قائد ينتظم أمور الخلق فيها" .<sup>١</sup>

تنتج الصورة الاستعارية من مكونات البيئة المحيطة ، ويستعين الأديب من تلك المكونات لينتج عملاً فنياً يتضمن صوراً استعارية . وقال إدريس بلمليح: " أن الاستعارة بالنسبة للباطّ عبارة عن تفاعل يتمّ بينه وبين العالم من حوله ولذلك فإنّها من هذه الجهة تصوّر معيّن لسمات هذا العالم ومظاهره الخفية ، أي عملية اكتشاف تصوّري لعلاقات لم يكن لها وجود قبل الاستعارة فيترتب عن ذلك أن الباطّ يكون بإزاء حقول تصويرية هي أصل اكتشافه وأنه يستطيع التعبير عنها عبر أدوات متعدّدة ليست اللغة سوى واحدة منها" <sup>٢</sup> ، وأكد عبد الحق بلعابد أن الكاتب يُنتج بكلماته نصّاً إبداعياً وذلك في قوله: " الكاتب أو المؤلّف وهو من يكتب كلماته أو يؤلّف بينها ، ويبني عوالم نصّه وفق كيفية ما محاكيًا ببناءات موجودة ، أو يُبدع طرائق جديدة في تنظيم بنياته النصّية التي يتشكّل منها النصّ الذي يبدع وفق رؤيته لعمله الإبداعي أو تبعاً لضرورات تشكيل المعنى" <sup>٣</sup>.

ويلاحظ في نصوص النهج تفاعل الاستعارة والتناص في تكوين لبنات بناء النصّ وإنتاج عمل فنيّ إبداعيّ يُعبّر عنه بمعمار النصّ في قول عبد الحق بلعابد : " فترصيف الكلمات وتضيد الجمل ، واصطفاف البنيات اللفظية عملية بناء ، وبحسب نوع العمليات المختلفة يمكننا الحديث عن معمار النصّ ... " <sup>٤</sup>. فقد لاحظنا أثر استعارة لوازم الحيوان على معمار النصّ الخطابيّ ، فضلاً عن تنوّع أشكال الاستعارات وتفاعلها بالتناص .

<sup>١</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٧٢٠.

<sup>٢</sup> - م. ن.، ص ٧٢٠.

<sup>٣</sup> - إدريس بلمليح، القراءة التفاعلية، ص ٥٧.

<sup>٤</sup> - بلعابد، عتبات، ص ١٤.

<sup>٥</sup> - بلعابد، م. ن.، ص ١٥.



## ب- استعارة لوازم الإنسان

يقوم كل نص أدبي على لبنات نصية يُسميها عبد الحق بلعابد المناصات في قوله: "عندما نبني نصًا لابد له من مناصات متعددة بتعدد الزمان"<sup>١</sup>. وتعد الاستعارة إحدى المناصات في النص الأدبي. فقد تفاعلت في نصوص النهج بأشكال متنوعة كاستدعاء استعارة لوازم الإنسان ووصف غير الإنسان بها كالنص الذي نعى فيه علي النبي محمد فقال: "فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَّةُ"<sup>٢</sup>، فشبهه الدار بالنائح وحذف المشبه وجاء بشئ من لوازمه في كلمة "ضجّت" على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الصور الاستعارية تشبيه عليّ صاحبه بالسهم الذي لا فائدة من رميه بغرض التحقير وتنزيل مكانة صاحبه لتهاونهم وتقاعسهم عن نصره الحق، فيقول موبخًا المتلقين الجبناء: "الذليلُ والله من نصرتموه! ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصِلٍ"<sup>٣</sup>.

وتوجد الاستعارة في جملة "رُمي بأفوق ناصِلٍ". فقد تفاعل الميئانص التاريخي بالاستعارة في ذم عليّ لصاحبه المتقاعسين، وقال ابن ميثم في شرحه للاستعارة: "نبه على قلة الانتفاع بهم بقوله: ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصِلٍ واستعار لهم من أوصاف السهم أرداها، وكنى بذلك عن فائدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فائدة في الرمي بالسهم الموصوف"<sup>٤</sup>، ونعت المعتمد عليهم بالذليل الذي لا ناصر له في قوله: "الذليلُ والله من نصرتموه"، فمن اعتمد عليهم لن تكون رميته مسددة. ووردت استعارة لوازم الإنسان في الجبل في قوله:

"فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ، وَحَمَلَ شَوَاهِقُ الْجِبَالِ الْبُذْخَ عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَرَ بِنَابِيعِ الْعَيُونِ مِنْ عَرَانِينَ أَنْوَفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ بِيْذِهَا وَأَخَادِيدِهَا..."<sup>٥</sup>.

وتوجد الاستعارة في قوله: "عَرَانِينَ أَنْوَفِهَا"<sup>٦</sup>، فشبه قمم الجبال بالأنوف الشامخة. وصور عليّ في نص آخر الشمس وهي تُرخي النقاب عليها في نصّه الآتي:

<sup>١</sup> - بلعابد، عتبات، ص ١٦.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٧٣.

<sup>٣</sup> - م. ن.، ص ٨٩.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٩٥.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٢٧.

<sup>٦</sup> - "عرانين جمع عرنين بالكسر: وهو ما صلب من عظم الأنف والمراد أعالي الجبال، غير أن الاستعارة من أطف أنوعها في هذا المقام" ويقول ابن ميثم في شرحه للعرانين: "استعار لفظ العرنين والأنف لأعالي رؤوس الجبال كناية عن إلحاقها بالإنسان؛ محمد عبده، م. س.، ص ١٢٧؛ ابن ميثم، م. س.، ص ٣٨٦.



"... فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاخُ نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ  
نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا ، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانِ عَلَى مَاقِبِهَا ، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا  
اِكْتَسَبَتْ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظِلِّ لَيْالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا ،  
وَجَعَلَ النَّهَارَ لَهَا سَكْنًا وَقَرَارًا !..."<sup>١</sup>.

شبه الشمس بالمرأة على سبيل الاستعارة المكنية وحذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه  
وهو القناع في قوله: "فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا" ، وقال ابن ميثم في شرحه: "استعار لفظ القناع  
للشمس ملاحظة لشبهها بالمرأة ذات القناع، وكنى بالقائه عن بروزها من حجاب الأرض"<sup>٢</sup>.  
وتفاعلت الاستعارة بالتناص القرآني في قوله: "فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا وَالنَّهَارَ  
سَكْنًا وَقَرَارًا"، ويحيل التناص القرآني إلى قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"<sup>٣</sup>.

### ج - استعارة لوازم الحيوان

من أشكال الاستعارة في نصوص النهج تحول استعارة لازمة الحيوان إلى الإنسان كتحويل  
صدرور المعارضين لعليّ عشاً يبيض فيه الشيطان في نصّه :

"... اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ  
فِي صُنُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِالسِّنِّينَ ، فَرَكِبَ  
بِهِمُ الزَّلَّلَ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ ، فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ  
بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ !"<sup>٤</sup>.

شبه الشيطان بالطير والقرينة باض وفرخ وشبه صدورهم بالأعشاش في قوله: "فَبَاضَ  
وَفَرَّخَ فِي صُنُورِهِمْ" ، وذكر ابن ميثم وجه الشبه في قوله: "أَنَّ الطَّائِرَ لَمَّا كَانَ يَلْزَمُ عَشَّهُ فَيَبْيُضُ  
وَيَفَرِّخُ فِيهِ أَشْبَهُهُ الشَّيْطَانُ فِي إِقَامَتِهِ فِي صُدُورِهِمْ وَمِلَازِمَتِهِ لَهُمْ..."<sup>٥</sup>.

ويجعل عليّ في نصّ خطابيّ آخر أوكاراً للإنسان في تفاعل مع تناصّ تاريخيّ مستقبليّ  
يُحيل إلى يوم النشور في قوله:

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٩٨.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٥٢٦.

<sup>٣</sup> - النبأ، ٧٨ / ١٠ - ١١.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٩.

<sup>٥</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ١٧١.

" حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ ، وَأَزَفَ النُّشُورُ ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةَ السَّبَّاحِ ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ ، سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ ، رَعِيلًا صُمُوتًا ، قِيَامًا صُفُوفًا ، يَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي...<sup>١</sup> .

وتُوجد الاستعارة في لفظة "أوكر" و"أوجرة" فقد شبه النفس بالطير وشبه البدن بوكر الطير ، وقال ابن ميثم أن " وجه المشابهة في هذه الاستعارة ما تشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال ... وإذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحرى أن يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنًا لا تسهل مفارقتها ... وقوله : أوجرة السباع استعارة أيضًا. والسباع إشارة إلى النفوس المطبوعة لقواها الغاضبة التي شأنها محبة الغلبة والانتقال كما أن السبع كذلك <sup>٢</sup> . وتفاعل مع التناص التاريخي المستقبلي تناص قرآني ضمني في قوله : "سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ " ، ويحيل إلى قوله تعالى: "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا...<sup>٣</sup> . ويشبه في نص آخر الدنيا بالفرس فيقوله:

" فَإِنَّ الدُّنْيَا رَيْقٌ مَشْرَبُهَا ، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ مَنْظَرُهَا ، وَيُوبِقُ مَخْبِرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَضَوْءٌ أَقْلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أُنْسَ نَافِرُهَا ، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا ، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ ، وَمُعَانِيَةِ الْمَحَلِّ ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ ، وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقِبُ السَّلَفَ...<sup>٤</sup> .

وتُوجد الاستعارة في قوله: " قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا " . فقد تفاعل المقطع والتناص القرآني الذي أحال إلى قول القرآن: " ... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا...<sup>٥</sup> . فشبه الدنيا بفرس يضرب برجله ، وقال محمد عبده: " قمص الفرس وغيره ... وهو أن يرفع يديه ويطحهما معًا " ، وقال ابن ميثم: " قمصها

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٠٢.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٣٢١.

<sup>٣</sup> - المعارف، ٧٠ / ٤٣.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٠١.

<sup>٥</sup> - يونس، ١٠ / ٢٤.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٠١.

بالأرجل . واستعار لفظ القمص لامتناعها على الإنسان حيث حضور أجله كأنها تدفعه برجليها مولية عنه كما تفعل الدابة"<sup>١</sup>. واستعار عليّ في نصّ آخر بعض أوصاف الناقة للأرض فقال :

"كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ ، وَلَجَجَ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ، تَلْتَطِمُ  
أَوَادِي أَمْوَاجِهَا ، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَانَفَاتُ أَتْبَاجِهَا ، وَتَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِهَا ،  
فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاظِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِنَتْهُ بِكَلْكَلِهَا ،  
وَذَلَّ مُسْتَخْذِيًا إِذْ تَمَعَّكَ عَلَيْهِ بَكَوَاهِلُهَا ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ ... وَسَكَنَتْ  
الْأَرْضُ مَذْحُوءَةً فِي لُجَّةِ نَيَّارِهِ ..."<sup>٢</sup>.

وتُوجد الاستعارة في قوله: " وَطِنَتْهُ بِكَلْكَلِهَا "<sup>٣</sup>، وقال ابن ميثم: "استعار أوصاف الناقة من الكلكل والكاهل للأرض ورشّح تلك الاستعارة بالوطء والتمعك . وإنما خصّ الصدر والكاهل لقوتيهما وكنى بالمجموع عن إلحاقها بالناقة "<sup>٤</sup>. وتفاعلت الاستعارة والتناصّ القرآنيّ في كلمة "مَذْحُوءَةٌ" التي أحالت إلى قوله تعالى : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا "<sup>٥</sup>.

ووردت كلاكل البعير في نصّ آخر " وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلَى ، وَأَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ  
وَالثَّرَى... "<sup>٦</sup>. وتوجد الاستعارة في قوله : " وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلَى "<sup>٧</sup>، وتفاعلت الاستعارة مع التناصّ التاريخي في قوله: " وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ التَّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ  
أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا ، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاخُهُمْ رَاكِدَةً ،  
وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةٌ ... " ، وشرح ابن ميثم الاستعارة في قوله: " استعار لفظ الطحن لإفساد البلى لأجسادهم ورشّح بلفظ الكلكل ، وكذلك استعار لفظ الأكل لإفنائها "<sup>٨</sup>.

وشبّه في نصّ آخر الاستعجال للعمل الصالح بالناقة في قوله : " فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ  
عُذْرُكَ ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ . وَخُذْ مَا تَبَقَّى لَكَ مِمَّا لَا تَبَقَّى لَهُ ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ . وَشِمِّ بَرَقَ النَّجَاةِ ،

<sup>١</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٣١٩.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٢٧.

<sup>٣</sup> - قال محمد عبده في قوله: " الكلكل هو في الأصل الصدر ؛" محمد عبده، م. ن.، ص ١٢٧.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٣٨٥.

<sup>٥</sup> - النازعات، ٧٩ / ٣٠.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٠٣.

<sup>٧</sup> - قال محمد عبده: "الكلكل هو صدر البعير كأن البلى أي الفناء جمل برك عليهم فطحنهم ...؛" محمد عبده، م. س.،

ص ٣٠٣.

<sup>٨</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٦٧٠.

وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ<sup>١</sup>، وتوجد الاستعارة في لفظ "المطايا" وهو ما يُركب عليه كسرج الفرس ومطيّة الناقة. وبين ذلك ابن ميثم فقال: "وأن يرحل مطايا التّشْمِير وهو إشارة إلى الجدّ في سلوك سبيل الله والاجتهاد في العمل لما بعد الموت، واستعار لفظ المطايا لآلات العمل، ولفظ الإرحال لإعمالها...<sup>٢</sup>. وتتفاعل الاستعارة بالناقة مع التناصّ القرآنيّ في قوله:

"وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا... أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ. فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا... فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ... وَيُعْطَلُ فِيهِ الصَّرُومُ الْعِشَارُ"<sup>٣</sup>.

أحال التناصّ في المقطع: "لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا" إلى قول القرآن: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"<sup>٤</sup>، وتوجد الاستعارة في قوله: "وَيُعْطَلُ فِيهِ الصَّرُومُ الْعِشَارُ"<sup>٥</sup>.

وتشكّلت الاستعارات في بعض خطب نهج البلاغة بتحويل صفات الحيوانات إلى بعض المعارضين لعليّ بن أبي طالب بغرض التحقير والتوبيخ والزجر. ووردت بعض أصوات الحيوانات التي ترمز إلى الشؤم كصوت الغراب في لفظ "نعق" لدلالات عدّة. وتفاعلت الاستعارات والتناصّ التاريخي كقوله: "لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَقَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ"<sup>٦</sup>، فقد شبه عليّ الرجل الضليل الذي سيخرج في الشام بالغراب بقرينة "نعق"، ويقول الثعالبي: "النعيق للغراب"<sup>٧</sup>. وشرح ابن ميثم المراد "بفحص بالرايات" في قوله: "كُنَى بفحصه برآياته عن بلوغه إلى الكوفة ونواحيها كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالقطاة المتخذة مفحصاً..."<sup>٨</sup>، وقال محمد عبده: "من فحص القطا: التراب إذا اتخذ فيه فحوصاً... أي المكان الذي

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٠١.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٦٦٥.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٢٧٢.

<sup>٤</sup> - المؤمنون، ٢٣ / ١١٥.

<sup>٥</sup> - "الصروم جمع صرمة وهي قطعة الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين. والعشار جمع عشاء وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر. وتعطيل جماعات الإبل إهمالها من الرعي. والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه؛ محمد عبده، م. س.، ص ٢٧٢.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٤١.

<sup>٧</sup> - الثعالبي، فقه اللغة، ص ٢١٢.

<sup>٨</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٤١٠.

يُقيم فيه عندما يكون على الأرض ، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها في الأرض مراكز<sup>١</sup>، وتفاعلت استعارة "النق" بالتناص التاريخي في النص في قوله:

"... إِنْ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ"<sup>٢</sup>.

اجتمعت استعارتان في مقطع واحد (الغراب والقطاة) ، واستدعى المقطع الطائرين بصفتين مختلفتين: صوت النعيق للغراب ، وفحص التراب للقطا بغرض توضيح خسة الضليل في الشام<sup>٣</sup>. وورد في نص آخر صوت الغراب بشكل مختلف في قوله :

"فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فَنَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمَنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يَقْتُلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا"<sup>٤</sup>.

وتوجد صورة أخرى من صور النق في قوله: "...أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمَنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا..." . فقد استعار أوصاف الإبل وريعاتها وأصحابها من الناعق والقائد والسائق والمناخ والركاب والرحال للفئة المهدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ، وشبه انقيادهم له بالإبل في الاجتماع والانقياد للداعي . وتفاعلت الاستعارة والتناص التاريخي لبيان صفة الطاعة والانقياد للقائد . واستعار في نص آخر صوت الغراب للمستميتين على الحكم في قوله :

"أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ — حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَانَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُذْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالزَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَاضُوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَوَاجِنِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقٍ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ..."<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤١.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، م. ن.، ص ١٤١.

<sup>٣</sup> - الضليل : الكثير الضلال، وهذا كناية عن عبد الملك بن مروان لأن الصفات والإمارات فيه أتم منها في غيره، لأنه قام بالشام حين دعا إلى نفسه ، وهو معنى نعيقه . وفحصت راياته بالكوفة ، تارة حين شخص بنفسه العراق... وفحص براياته... أي جعلوا ضواحي الكوفة مفحصًا ومجتثًا لراياتهم؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٦٩.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٣٣.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٦٧.

يحكي التناص التاريخي حادثة رفع المصاحف يوم صفين<sup>١</sup> . فقد حذر عليّ صحبه من الانجرار وراء الأصوات المنادية بقبول التحكيم في قوله: "وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ..." ، ويقصد بلفظ الناعق من كانوا ينادون بقبول التحكيم والنزول على حكم معاوية ، وقال ابن ميثم: "الناعق إشارة إلى طالبي الحكومة..."<sup>٢</sup> ، فشبهه المنادي بالغراب بقرينة صوت النعيق . وحذر صحبه من الإصغاء لهذا الصوت الشؤم في آخره فقال:

"أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ... فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبَلَهَا ، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمَلِهَا ! أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَأَكْظُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالَفٍ مُّوَافِقًا . أَبْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا ... وَلَا تَضَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ الدُّنْيَا ، وَلَا تَشِيمُوا بِارْقَهِهَا ، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَتُوا بِأَعْلَاقِهَا ، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ..."<sup>٣</sup>.

وتوجد الاستعارة في قوله: "وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقًا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقًا" . فقد استعار لفظه الناعق للدلالة على من يحث الناس نحو الباطل ، وقال ابن ميثم: "كنى بناعقها عن الداعي إليها"<sup>٤</sup>. وتفاعلت الاستعارة مع التناص القرآني الصريح في قوله تعالى : "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"<sup>٥</sup>. فقد

<sup>١</sup> - عندما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد في وقعة صفين وخاف في ذلك الهلاك اقترح على معاوية رفع المصاحف ليزيد الناس تفرقاً ومعاوية وعمرو اجتماعاً فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله تعالى بيننا وبينكم ، فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا: نجيب إلى كتاب الله تعالى وننيب إليه ، فقال علي بن أبي طالب: إنهم ما رفعوها ، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة فردوا عليه قائلين: يا علي أجب كتاب الله تعالى إذ دُعيت إليه وإلا ندفعك برؤسك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان ، فقال: فاحفظوا عني نهبي إياكم ، واحفظوا مقالكم لي، فاصنعوا ما بدا لكم ، فقبلوا بالتحكيم؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣١٣ - ٣١٤.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٦٢.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٢.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٧٣١.

<sup>٥</sup> - سبأ، ١٣/٣٤.

نهى النصّ عن مخالطة أهل الدنيا ومعاشرتهم والاستماع لناعقهم ، لأنّ "نُطَقَهَا كَاذِبٌ" ، وشرح حبيب الله الخوئي سبب كذب الناطق في قوله: "أي ناطقها كاذب لأنّ قوله مخالف لنفس الأمر وما يزيّنه ويرغب فيه ويدعو إليه كالسرّاب..."<sup>١</sup> ، فلا يستمع أهل صفة الله لأيّ ناطق ولا يجيبون أيّ ناعق ، لأنّهم يتحلّون بصفة التقوى والتي تعني اجتناب الشبهات . وتفاعل التناصّ القرآنيّ والاستعارة لتوضيح هذا المعنى .

ونستنتج أنّ التناصّ والاستعارة لهما دور مهمّ في إبراز الصورة البيانيّة وتوضيح معاني النصّ وإظهار أبعاده الخفيّة .

<sup>١</sup> - حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ج ١١، ص ٢١٤.



## ثالثاً: الكناية

يُعرّف السكاكي الكناية أنها " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك ، كما تقول : فلان طويل النجاد ، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه ، وهو طول القامة"<sup>١</sup>. وتكثر الكنايات في نصوص النهج ككناية الشيب في النص الذي وصف عليّ فيه غاية بعث النبيّ وحقر فيه الذين ادّعوا أنهم الراسخون في العلم فوبّخهم في قوله :

" أَنْزَرُوا عَاجِلًا ، وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكُوا صَافِيًا ، وَشَرَبُوا آجِنًا ، كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحَبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ ، وَبَسِيَ بِهِ وَوَافَقَهُ ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصَبِغَتْ بِهِ خِلَافُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالنَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْقِلُ مَا حَرَّقَ !"<sup>٢</sup>.

يحكي المبتاّنصّ التاريخيّ الأحداث السياسيّة التي حدثت بعد وفاة النبيّ ، فضلاً عن تفاعل الكناية بالتناصّ القرآنيّ في لفظ " ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا ... كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ " ، ويحيل إلى قوله تعالى: " فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ"<sup>٣</sup>. وتوضّح الكناية مدى الاستتناس بالفسق واتّخاذة عادة مألوفة حتى سنّ الشيخوخة ، وقال ابن ميثم: "...يكون بالصفات التي ذكرها من صحبة وألفة له وموافقته لطبعه إلى غاية عمره، وكنتى عن تلك الغاية بشيب المفارقة..."<sup>٤</sup>، وأشار محسن باقر إلى موضع الكناية في قوله: "حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ، والوجه البلاغي : كناية عن طول عهده بالمنكر إلى أن بلغ عمره غايته"<sup>٥</sup>.

وتفاعلت الكناية والتناصّ التاريخيّ في النصّ الثالث حسب ترتيب شراح نهج البلاغة. فقد استعرض عليّ مكانته وحقر الدنيا في قوله: "وَلَأَفَيِّتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ"<sup>٦</sup>، فرفض الدنيا وجعلها أهون من عقطّة العنز<sup>٧</sup>، وفي العبارة كناية عن تحقيره للدنيا والخلافة التي تُبنى على الظلم والطغيان ، فلا تعني الدنيا شيئاً إذا سادت إمارة الظالمين وانعدم العدل .

<sup>١</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٠٢.

<sup>٢</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٨٧.

<sup>٣</sup> - الرعد، ١٣ / ١٧.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

<sup>٥</sup> - محسن باقر الموسوي، علوم نهج البلاغة، ص ٣٩٥.

<sup>٦</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٦.

<sup>٧</sup> - عقطّة العنز: ما تنثره من أنفها كالعقطّة؛ محمد عبده، م. س.، ص ٣٦.

ويحكي التناص التاريخي أحداث الخلافة التي ابتعد عنها وترك المسلمون يُديرونها شوري في قوله: "فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا"<sup>١</sup>، ويقول محمد عبده أن كلام علي "كناية عن احتجابه عن طلبها، والمبالغة فيها بحجاب الإعراض عنها، واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول"<sup>٢</sup>، ويُضيف محمد عبده قوله: "فسدلت كناية عن غضّ نظره عنها وسدل الثوب أرخاه"<sup>٣</sup>.

وتختلف مقاصد الكناية من خطاب لآخر، فيستعير تارة ظلّ السحاب ليَجعله كناية عن القرب كقوله: "وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمُ"<sup>٤</sup>، فالظلّ كناية عن قرب موعد الموت واحتوائه الناس من كلّ جانب، فقال محمد عبده: "فقد أظلكم: أي قرب منكم حتّى كأنّ له ظلاً قد ألقاه عليكم"<sup>٥</sup>، وقد شبّهه بشيء فوقهم إذ وصفه ابن ميثم بالسحاب في قوله: "واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب والطيّير فاستعير وصف الإظلال"<sup>٦</sup>. ويستعير تارة أخرى كلمة من لوازم الجمل ليبين بها استقرار الإسلام وقوته في قوله: "وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا... حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ"<sup>٧</sup>، وهنا بيان لانتصار الإسلام وهيمنته على الجزيرة العربيّة والكناية إلقاء الجران<sup>٨</sup>.

وتتفاعل الكناية بالتناص التاريخي في قوله: "وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَانَقْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلَقًا وَضِيئُهَا"<sup>٩</sup>. فقد حذر عليّ بني أميّة من يوم تُباد فيه دولتهم وتكون في أيدي غيرهم. وتوجد الكناية في لفظ "جَائِلًا خِطَامُهَا"<sup>١٠</sup>، ووضع محمد عبده لها معنيين فقال: "وجولان الخطام وقلق الوضعين إمّا كناية عن الهزال، وإمّا كناية عن صعوبة القيادة"<sup>١١</sup>.

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٣٢.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ١٥٥.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٣٢.

<sup>٤</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٨٤.

<sup>٥</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٨٤.

<sup>٦</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٢٨٢.

<sup>٧</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ٨١.

<sup>٨</sup> - جران البعير: مقدّم عنقه... وإلقاء الجران كناية عن التمكّن؛ محمد عبده، م. س.، ص ٨١.

<sup>٩</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٤٤.

<sup>١٠</sup> - قال محمد عبده: الخطام ما يوضع في أنف البعير ليقاد به "؛ محمد عبده، م. س.، ص ١٤٤.

<sup>١١</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٤٤.

ويستعير علي كلمة من لوازم الحرب في نص آخر ، ليشير بها إلى قوة الإسلام ومنعته وذلك في قوله :

" إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً ، وَلَا وَحْيًا . فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ ... حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ ، وَبَوَّاهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ . وَإِيمُ اللَّهِ ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحَذَائِيرِهَا ، وَاسْتَوْسَقْتُ فِي قِيَادِهَا ، مَا ضَعُفْتُ ، وَلَا جَبُنْتُ ، وَلَا خُنْتُ ، وَلَا وَهَنْتُ ، وَإِيمُ اللَّهِ ، لِأُبْقِرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ ! "¹.

تداخلت الكناية بالتناص التاريخي في قوله: "وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ" . فقد أفادت الكناية معنى الاستقرار وهدوء الحال ، وعبر محمد عبده في قوله: "استقامة أحوالهم ... وتصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلصهم مما كان يُرجف قلوبهم ويُزلزل أقدامهم"². وأضاف محسن باقر أن "المراد بالقناة: القوة والغلبة والدولة التي حصلت لهم"³ ، ودليل على قيام الدولة الإسلامية وبسط سلطتها القضائية في شبه الجزيرة العربية ، وتأكيده ذلك قول محمد عبده: "وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ كَنَايَةً عَنْ وَفَرَةِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَإِنَّ الرِّحَا إِنَّمَا تَدُورُ عَلَى مَا تَطْحَنُ مِنَ الْحَبِّ . أَوْ كَنَايَةً عَنْ قُوَّةِ سُلْطَانِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ... وَاسْتَقَامَتُهَا كَنَايَةً عَنْ صِحَّةِ الْأَحْوَالِ وَصِلَاحِهَا"⁴.

ويأتي في نص آخر بلفظ "الحوض" كناية عن سفك الدماء في الحروب ، وتفاعلت الكناية فيه بالتناص التاريخي الذي عاتب فيه طلحة والزبير في قوله: "وَإِيمُ اللَّهِ لَا فُرْطَنَ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ"⁵، وذكر ابن أبي الحديد أن علياً أقسم بقيام الحرب في قوله: "أَقْسَمُ لِيَمْلَأَنَّ لَهُمْ حَوْضًا هُوَ مَاتِحُهُ وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وما يتعقبها من القتل والهلاك"⁶. ونلاحظ اتصال الاستعارة بالكناية في بعض الخطب كقول علي:

" مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ... فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ"⁷.

¹- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٤٤.

²- م. ن.، ص ١٤٤.

³- محسن باقر الموسوي، علوم نهج البلاغة، ص ٤٠٤.

⁴- محمد عبده، م. س.، ص ١٤٤.

⁵- محمد عبده، م. س.، ص ١٨٣.

⁶- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٢٧.

⁷- محمد عبده، م. س.، ص ٨٧.

وتُوجد الكناية في قوله: "الشَّيْطَانُ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ" ، وأما الاستعارة ففي قوله: "وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ" ، فلولاً جلباب السكينة لوثب الشيطان لإغواء العبد . وتفاعلت الاستعارة والكناية في نصّه الذي أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب فقال :

" وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرِ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ<sup>١</sup> .

تحيل لفظ " الأنف " و " العين " و " الظهر " و " البطن " إلى الكناية . فقد استعار النصّ التاريخي ألفاظاً من لوازم الإنسان كالأنف والعين والبطن للدلالة على الخلافة الإسلامية . فشبه أمر قتال أهل الشام واستحواذهم على الخلافة بكائن حيّ له أنف وعين وبطن يقلّبه عليّ يميناً وشمالاً كناية عن التأمل والتفكير في أمر الخلافة ، وقال ابن ميثم: " استعار لفظ العين والأنف والظهر والبطن التي هي حقائق في الحيوان لحاله مع معاوية في أمر الخلافة وخلاف أهل الشام له استعارة على سبيل الكناية . فكنى بالعين والأنف عن المهمّ من هذا الأمر ... وكنى بلفظ الظهر والبطن لظاهر هذا الأمر وباطنه ووجوه الرأي فيه ، ولفظ التقلب لتصفّح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحداً واحداً<sup>٢</sup> ، وكشفت استعارة لوازم الإنسان معنى قوله: " هَذَا الْأَمْرُ " . فقد قاتل عليّ وصحبه أهل الجمل وصفين والنهروان ، ليخلص الخلافة الإسلامية من أيدي المفسدين لها .

وتفاعلت الاستعارة بالتناصّ التاريخي المستقبليّ في قوله: " حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ ، بَادِيًا نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا<sup>٣</sup> . فقد توقع عليّ حرباً ستقوم في الشام في قوله: " حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ " ، والكلام كناية عن وصولها الذروة والحدّ الأقصى ، فقال ابن ميثم: " وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدّة ، وبدوّ نواجذها كناية عما يستلزمه من الشدّة والأذى ، وهو من أوصاف الأسد عند غضبه . لأنّه حاول أن يستعير لها لفظ الأسد فأتى بوصفه<sup>٤</sup> ، واستعار النصّ لازمة من لوازم الناقة في لفظ " الأخلاف " للدلالة على امتلاء ضرع الناقة ، وهي كناية عن جاهزية العدة والعتاد للحرب ، وقال ابن ميثم : " مملوءة أخلافها . استعارة لوصف الناقة لحال استعداد الحرب واستكمالها عدّتها ورجالها كاستكمال ضرع الناقة اللبن<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> - محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٧٣.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٢٥٧.

<sup>٣</sup> - محمد عبده، م. س.، ص ١٨٣.

<sup>٤</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٤٨٥.

<sup>٥</sup> - ابن ميثم، م. س.، ص ٤٨٥.

ويستعير عليّ في نصّ آخر لفظ "اللسان" ليكنّي به عن فصاحة القرآن وذلك في نصّه الذي يذكر الناس بانطلاقة الرسالة النبويّة وانقياد كلّ شيء لها في قوله: "وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، نَاطِقٌ لَا يَعْيًا لِسَانُهُ"<sup>١</sup>، ويدلّ الكلام على قرب القرآن من عقول المتلقّين. فقد قال ابن ميثم: "وكونه بين أظهرهم كناية عن وجوده بينهم..."<sup>٢</sup>، وأنّه ناطق لا يشعر لسانه بالتعب. ويُحيل الكلام إلى الاستعارة. فقد شبّه الكتاب بكائن روحانيّ له لسان فصيح ينطق الحقّ دون كلل أو ملل، وقال ابن ميثم: "ولفظ اللسان وأنّه لا يعيا ترشيح للاستعارة كنّى بها عن بيان الكتاب على مرور الأوقات..."<sup>٣</sup>.

يمكننا الكشف عن التناصّ - كما رأينا - بتلاقي مجموعة من التناصّات المتنوّعة التي ينتج عنها نصّ غائب . ويمكن للباحث أن يحدّد التداخلات التناصيّة من خلال المخزون الثقافي لديه . فقد يكون تناصّا تاريخيّاً أو دينيّاً أو أسطوريّاً أو غيره . وقد نلاحظ نوعاً واحداً من التناصّ في العمل الأدبيّ وربّما أكثر من تناصّ حسب خبرة المؤلّف وغازة ثقافته .

واعتمدت نصوص نهج البلاغة على صور بيانيّة متنوّعة تمازجت مع التناصّ كاستدعاء: التشبيه ، والاستعارة ، والكناية . فقد احتوت معظم النصوص الخطابيّة بهذه الصور ، فقمنا في هذا الفصل بتقصّي مواضع استدعاء الصور البيانيّة وتحديد علاقتها بالتناصّ ، فتبيّن لنا أنّها تقوم بتوضيح المعنى الخفيّ في النصّ من خلال تفاعلها بالتناصّ .

<sup>١</sup> - محمّد عبده، شرح نهج البلاغة، ص ١٨٠.

<sup>٢</sup> - ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ص ٤٧٨.

<sup>٣</sup> - ابن ميثم، م. ن.، ص ٤٧٨.

## الخاتمة

لقد اتضح لنا من خلال هذه الرسالة دور التناص في الخطاب وتأثيره المباشر فيه . فلا يكتمل إبداع المتكلم إلا إذا ضمن كلامه نصوصاً خارجية تُضفي على كلامه الرونق الخلاب . ولم يكن التناص تلاصقاً أو سرقة أدبية أو بدعة كما ادّعى بعض النقاد ، بل هو فن رفيع يُضيف إلى النص شيئاً من الإبداع . وقد اختلف النقاد الحداثيون في تعريفه فضلاً عن تسميته كمصطلح نقدي حديث ، ولكن المسلم به أن اكتشاف مصطلح التناص تم على يد جوليا كريستيفا ، ثم أتى الباحثون بعدها بمصطلحات مرادفة للتناص كالتفاعل النصي والتعالي النصي والمُناس والنص الغائب والتداخل النصي وغيرها من المصطلحات المرادفة للتناص .

واعتمدنا مصطلح التناص دون غيره ، لأنه أساس المصطلحات التي ظهرت بعده في العصر الحديث . فقد اشتقت جميع المصطلحات من مصطلح التناص ، فأصبح ظاهرة نقدية حديثة أولاهها الباحثون والنقاد الغرب والعرب اهتمامهم البالغ ، فركزوا جهدهم على دراسته والبحث فيه . وظهر لنا أن التناص ليس من إبداع الغرب فحسب ، بل اهتم العرب كذلك بظاهرة تداخل النصوص ، وأطلقوا عليها مصطلحات عدة مثل: السرقات الأدبية ، والانتحال ، والاقتراس ، والتضمين وغيرها من المسميات . فكان هذا الاتساع في المفهوم والنشأة حتى تيقنوا عدم خلو أي نص من التناص . وركزنا في هذه الدراسة على التناص وأشكاله وأنواعه في خطب النهج .

وقد لاحظنا في خطب علي بن أبي طالب التي اتسمت بالتناص اختلاف مصادر التناص بين تناص قرآني وحديث نبوي ومثل عربي وتناص شعري . فقد تبين من خلال التناص القرآني الأغراض البلاغية من التعالق النصي القرآني بالنص الحاضر كالتهديد والوعيد والدعاء والتوبيخ . ولاحظنا اختلاف أشكال التعالق النصي في الحديث النبوي والمثل العربي بين تناص موافق أو مضاد وتناص إضماري ومحور ومناص موافق . فضلاً عن التلميح والاستدعاء الميثانصي والتناص التاريخي والتناص الداخلي في تناص الشعر العربي .

واتسمت خطب النهج بآليات متنوعة للتناص منها: التكرار ، والتمطيط بالقلب ، والتناص الداخلي ، والرمز . ورأينا كيف أثرت كل آلية في النص الحاضر . فقد دل تكرار لفظ "حمد" على تأكيد الشكر ، ولاحظنا عدم تأثر قلب التناص القرآني الضمني في "لم يوجس موسى خيفة" على المعنى الأصلي للنص الغائب . وتعرفنا على التناص الداخلي من خلال نصي زوجة علي بن أبي

طالب فاطمة الزهراء ، وأخيه جعفر بن أبي طالب. وبينما أخيراً ما ترمز إليه بعض الاستدعاءات في النصوص الخطابية من خلال آلية الرمز كاستدعاء شخصية النبي محمد واستدعاء الشيطان.

وتبين كيف انقسم التناص في الخطب إلى نوعين: الأول صريح ، والثاني ضمني، وعرفنا الصريح أنه النص الظاهر في النص الحاضر ، أما الضمني فهو النص الخفي في النص الحاضر . وأشرنا إلى انقسام التناص الصريح إلى نوعين: التناص الصريح الكلي ، التناص الصريح الجزئي. وعرفنا الكلي بأنه اقتطاع نص كامل ووضعه في النص الحاضر ، والجزئي يعني اقتطاع جزء من نص ووضعه في النص الحاضر . وتبين في التناص الكلي أن معظم التناصات تأتي متوافقة مع النص الحاضر ، وأنها تأتي في النص الخطابي بدلالات متعددة كدلالة الصفة ودلالة التفسير ودلالة التشبيه. فضلاً عن بيان نمطين من أنماط جيني في التناص الكلي وهما: التضخيم ، والقلب.

أما التناص الضمني فانقسم إلى ثلاثة أنواع هي: التناص الديني، وتناص الشخصيات، والتناص التاريخي . فعالجنا في التناص الديني النصوص القرآنية الضمنية ، وتبين أنها تنقسم إلى قسمين: نصوص ضمنية بنائية، ونصوص ضمنية معنوية. فلاحظنا في البنائي شكلين من أشكال التناص وهما: الاجترار، والتناص الأجناسي. وتبين أن معظم الخطب أتت فيها التناص القرآني معنوياً.

أما تناص الشخصيات فقسّمناها إلى قسمين: الشخصيات الدينية، والشخصيات المعارضة للملكي. واتضح من خلال القسمين أنهما وردتا داخل الخطب باليتين: الأولى استدعاء صريح للاسم، والثانية: ضمني. وتبين أن لكل شخصية في النصوص الخطابية وظيفة إنتاجية توضح المعنى كبيان عظمة القدرة الإلهية في استدعاء شخصية النبي آدم ، وبيان ضعف المخلوق أمام الموت في استدعاء شخصية النبي سليمان ، وبيان الهداية في استدعاء شخصية النبي محمد ، وبيان الزهد والتواضع في استدعاء شخصية النبي موسى وعيسى ، وبيان القوة والشجاعة في استدعاء شخصية علي بن أبي طالب.

وأما التناص التاريخي فيقوم على ثلاثة أشكال: تناص خارجي، وتناص داخلي، وتناص مستقبلي. ويدخل التاريخ في الخطب بصور عدة منها: استدعاء الأمم الماضية، واستدعاء الشخصيات التاريخية القديمة والمعاصرة، واستدعاء الحوادث التاريخية كالوقائع والفتن. فقد تفاعل تاريخ قوم عاد وثمود وأصحاب مدائن الرّسّ وآل فرعون وأيادي سبأ في النصوص الخطابية. فضلاً عن استدعاء تاريخ الأنبياء كآدم وسليمان وموسى وعيسى وعهد النبي محمد وصحبه. كما



تفاعلت بعض الوقائع كيوم بدر والجمل وصفين والنهروان . وتفاعل التناصّ التاريخيّ المستقبليّ في الخطب كتداخل المستقبل التاريخيّ للكوفة والبصرة مثلاً.

ورأينا أنّ دواعي التناصّ في خطب نهج البلاغة جاءت فكرية وسياسية واجتماعية وأخلاقية. فالفكريّ ما دلّ على التأمل والتفكير في عظمة قدرة الله تعالى وكذا التدبّر في دواعي بعث الرسل إلى البشر والتأمل والتفكير في دقة خلق البشر من طين لازب . ونهت الخطب من خلال الداعي الفكريّ عن الوقوع في الشبهة كالمجسّمة ، ثمّ رأينا كيف وظّف عليّ الطاووس لإثبات حقيقة علمية وإبطال مزاعم العرب في كيفية تناسل الطاووس . كما دعا إلى التفكير في الدنيا وعدم الاغترار بملذّاتها.

وكان للداعي السياسيّ الحضور الأبرز في خطب النهج لتأزّم الأوضاع السياسية في تلك الفترة واحتدام المواقف المتضادة بين عليّ وطلحة والزبير من جانب ، وبين معاوية من جانب آخر، فضلاً عن موقف الخوارج المعارض لإمامة عليّ بن أبي طالب ، وبين هذه القضية السياسية وتلك نجد صراعاً بارزاً بين مواقف عليّ وصحبه المنتدّمين . فألقيت الخطب السياسية بين تلك المواقف المتنافرة والأوضاع المتأزّمة لدواعٍ سياسية عدّة منها: ضرب الأمثال السائرة لدلالة على التخلف عن مواجهة المواقف وقبول الذلّ والهوان . كما لاحظنا دلالة التوبيخ في التناصّ القرآنيّ . ودلّ التناصّ على تبدّل الأحوال وتغيّرها في الشعر العربيّ ، كما أنّ تناصّ الشعر العربيّ له دلالة الحماسة والتشويق والحثّ في بعض الخطب إذ أحالت بعض الأبيات إلى أحداث تاريخية بداعٍ سياسيّ . كما أفاد بعضها دلالة التوبيخ والعتاب.

ومن ناحية أخرى فإنّ التناصّ تركّز في الخطب لداعٍ سياسيّ وأخلاقيّ ، ومع أنّ للتناصّ بداعٍ اجتماعيّ حضوره الواضح فإنّه لم يكن كحضور الداعي السياسيّ والأخلاقيّ . فقد تركّز التناصّ للدواعي الاجتماعية على معالجة الظروف الاجتماعية التي يعيشها الناس في تلك الفترة كالأوضاع العائلية والأسرية وعلاقة الرجل بزوجته أو ابنه وعلاقة المجتمع بالمجتمع المجاور . إذ حذّر من تفكّك الروابط الاجتماعية وسوء العلاقة في المستقبل وذلك من خلال مصادر مختلفة من التناصّ كالتناسّ القرآنيّ الذي دلّ بعضه على نفي الأحقاد والعصبيّات . وتبيّن لنا من خلال التناصّ التاريخيّ دلالة النصّح والإرشاد بصلة الرحم وعدم سفك الدماء.

وتمكّنا من تحديد دلالات الداعي الأخلاقيّ كعدم الإصغاء للإشاعات المغرضة والاتّصاف بالجدّ والاجتهاد، وبقظة الضمير وعدم الغفلة، والتحلّي بالتواضع من خلال تأدية فريضة الحجّ التي

دعا لها تناص القرآن الكريم ، ورفض التكبر ، وعدم الاتصاف بالنفاق ، والتحلّي بالقناعة في تناص المثل العربي السائر .

ولاحظنا كيف أظهرت صفات شخصيات الأنبياء الداعي الأخلاقي في النص . فمن خلال شخصية النبي موسى مثلاً تتجلى صفة التواضع ، ومن شخصية النبي عيسى تظهر صفة الزهد والرهبة ، وأمّا استدعاء شخصية النبي سليمان بن داود فتعني أخذ العبرة والعظة بأنّ الملك مهما عظم فهو لا يدوم لأحد . وأمّا استدعاء شخصيات أخرى كشخصية فرعون فتعني التكبر والغطرسة، ويعني حضور إبليس في النص المعصية ورفض الأمر الإلهي والتجبر والتباهي بخلقه على خلق النبي آدم .

وعند معالجة تفاعل الصور البيانية مع التناص في خطب نهج البلاغة انصبّ التركيز على أكثر الصور البيانية انتشاراً في الخطب وهي: التشبيه ، والاستعارة ، والكناية . وتبيّن أنّ للتشبيه عدّة صور في الخطب . ولاحظنا كيف تفاعل مع التناص القرآني لإنتاج لوحة تشبيهية كتشبيه المفسدين في الأرض بالتيار الجارف والنار التي تجعل كل شيء هشيمًا . وقد تفاعل التشبيه مع التناص التاريخي كتشبيه شيخ القبيلة باليعسوب وتشبيه المصائب والمحن التي مرّت بها الكوفة بالأديم العكاظي .

وتبيّن دور التشبيه بالإبل وأثره في المشبه في التناص التاريخي . فتارة يشبه عليّ صحبه بالصعبة ، وتارة أخرى يشبههم بالجمال الأسرّ أي المريضة ، وفي موضع آخر يشبههم بالإبل المسنة، ويشبه بني أمية بالناب الضروس أي الناقة الشرسة . ولم يقتصر التشبيه على الإبل، بل شبه عليّ الأشعث بالحية في خبيثها ، وصوت الضليل في الشام بنق الغراب .

وأتضح من خلال تحليل الاستعارة كيف أنّها تفاعلت مع التناص القرآني والتناص التاريخي بثلاثة أشكال: تحويل المعنوي إلى حسّي، استعارة لوازم الإنسان، استعارة لوازم الحيوان. أمّا الشكل الأول فلاحظنا كيف تفاعلت الاستعارة بالتناص القرآني من خلال تحويل الصفات المعنوية إلى حسية كتحويل صفة العزّ والكبرياء إلى لباس يتقرّد به ربّ العباد ، وتحويل صفة السكينة إلى جلباب يتقلّده المؤمن، وتحويل الرعب والخوف في قلوب الأعداء إلى كأس مصبّرة ، وتحويل البلاء إلى أداة جارحة، وتحويل ملذّات الدنيا بالحطام ، ووصف الموت بالضيغ يزور المحتضر. أمّا استعارة لوازم الإنسان فنجد فيها تفاعل الاستعارة مع التناص القرآني والتاريخي كاستعارة صفات الإنسان للجماذ كالأنف للجبل، وخمار المرأة للشمس .

ووجدنا في استعارة لوازم الحيوان تفاعل الاستعارة مع التناصّ التاريخي في تشبيه صدور المعارضين لعليّ بن أبي طالب بعشّ الطائر يبيض فيه الشيطان ، وتشبيه الدنيا بالفرس ، وتشبيه الأرض ببعض صفات الناقة وغيرها الكثير من التشبيهات والاستعارات نكتفي بالأمثلة المذكورة.

وأخيراً قمنا بمعالجة الكناية وتوضيح ما ترمز إليه الكنايات في التناصّ القرآني والتناصّ التاريخي. فقد ساقنا الخطب كنايات عدّة بدلالات مختلفة فمنها ما دلّت على الاحتجاب والابتعاد عن الفتن التاريخية التي عصفت بالبلاد الإسلامية في تلك الفترة في لفظ "فسدت"، ومنها ما دلّ على القرب في لفظ "أظلكم" ، ومنها كناية عن الاستقرار باستخدام لوازم الجمل في لفظ "مُلَقِيًا جرّانه" ولفظ "استقامت قناتهم" ، ومنها دلالة الأنف والبطن على الخلافة الإسلامية . وقد تفاعلت الكناية أكثر ما تفاعلت مع التناصّ التاريخي .

وفي ظنّي أنّ الرسالة ينقصها المنهج المقارن إذ لم أركّز على المقارنة بين أنواع التناصّ في الخطب . فأرجو أنّ تسدّ الدراسات التي ستأتي من بعدي هذا النقص. وهناك نوع من التناصّ لم أعالجه في الرسالة وهو التناصّ الذاتي<sup>١</sup> الذي يشيع حضوره في معظم نصوص النهج. فمن الممكن دراسته بالشرح والتفصيل وتحديد أنواعه وأساليب تفاعله في النصوص. وقد أكون قصّرت في إشباع بعض الخطب شرحاً وتحليلاً فأرجو قبول العذر لأنّي لا أدعي الكمال لنفسني .

<sup>١</sup> - التناصّ الذاتي: هو تناصّ المتكلّم مع نفسه بأن تتفاعل نصوصه بعضها ببعض؛ أحمد ناهم، التناصّ في شعر الرواد،

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر<sup>١</sup>

- ١- ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (٢٣٥ / ٨٤٩). - المصنّف؛ حقّقه حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللّحيان. - ط ٢. - الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٦. - جزآن، [٤] + ٦٥٧، [٤] + ٤٧٤ صفحة.
- ٢- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد (٤٥٦ / ١٠٦٣). - جمهرة أنساب العرب. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٣ / ١٩٨٣. - [١٠] + ٢٧٥ صفحة.
- ٣- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١ / ٨٥٥). - مسند الإمام أحمد بن حنبل. - ط ٢. - بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤١٤ / ١٩٩٣. - الجزء الرابع، [٤] + ٦٧٠ صفحة.
- ٤- ابن خلّكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١ / ١٢٨٢). - وفيات الأعيان. - لا. ط. - بيروت: دار الثقافة، لا. ت. - ثلاثة أجزاء، [٤] + ٥٥٧ صفحة، [٤] + ٥٢٤، [٤] + ٣٨٣ صفحة.
- ٥- ابن رشيّق، أبو عليّ الحسن بن رشيّق القيروانيّ (٤٥٦ / ١٠٦٣). - الغمّدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده؛ حقّقه محمد محي الدين عبد الحميد. - ط ٥. - بيروت: دار الجيل، ١٤٠١ / ١٩٨١. - جزآن، [٢] + ٣٣٥، [٢] + ٣٢٨ صفحة.
- ٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦ / ٨٨٩). - الشعر والشعراء. - ط ١. - بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٤. - [٤] + ٦١٣ صفحة.
- ٧- كتاب المعاني الكبير. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٤. - المجلّد الأوّل، الجزء الثاني، ١٨١ - ٣٦٤، المجلّد الثاني، الجزء الرابع، [٤] + ٦٠٣ - ٨٧٨ صفحة.
- ٨- ابن قيم الجوزيّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيّوب الزّرعي (٧٥١ / ١٣٥٠). - الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان. - لا. ط. - بيروت: دار الكتب العلميّة، لا تاريخ.

<sup>١</sup> - المقصود بالمصدر في هذا الموضع - وفق اصطلاحنا - ما كانت وفاة مؤلّفه قبل (١٢٦٦ / ١٨٥٠).

- [٢] + ٢٦٠ صفحة.

٩- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت ٧٧٤/١٣٧٢). - البداية والنهاية؛ اعتنى به عبد الحميد هنداوي. - لا. ط. - بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥. - ثلاث مجلدات، المجلد الأول، الجزء الأول، [١٠] + ٥٣١، الجزء الثاني، ٥٢٠ صفحة (متابعة)، المجلد الثاني، الجزء السادس، [٢] + ٥٧٢ صفحة (متابعة)، الجزء السابع، [٢] + ٥٧٦ صفحة (متابعة)، المجلد الثالث، الجزء التاسع، [٢] + ٥٩٦ صفحة (متابعة).

١٠- تفسير القرآن العظيم. - ط ١. - بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠. - الجزء الرابع، [٢] + ١٥٧٣ - ٢١٠٥ صفحة.

١١- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ / ٨٨٨). - سنن ابن ماجه؛ حققه محمد فؤاد عبد الباقي. - لا. ط. - بيروت: المكتبة العلمية، لا. ت. - جزآن، [٢] + ٧١٨، [٢] + ٧٢٣ - ١٥٦٢ صفحة (متابعة).

١٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ / ١٣١١). - لسان العرب؛ راجعه يوسف البقاعي، وآخرون. - ط ١. - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥. - الجزء الثاني، [٢] + ٢٢٧٣ - ٤٤٠٩ صفحة (متابعة).

١٣- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام (٧٦١ / ١٣٦٠). - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب؛ حققه حنا الفاخوري. - لا طبعة. - بيروت: دار الجيل، لا تاريخ. - [٤] + ٥٢٥ صفحة.

١٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب؛ حققه مازن مبارك ومحمد علي حمد الله. - ط ٥. - قم: مكتبة بني هاشمي، لا تاريخ. - الجزء الأول، [٦] + ٤٨٩ صفحة (متابعة).

١٥- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (٢١٨ / ٨٣٣). - السيرة النبوية؛ حققه سعيد محمد اللحام. - لا. ط. - بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١. - الجزء الأول، [٢] + ٢٨٨ صفحة.

١٦- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، (٢٨٢ / ٣٧٠). - معجم تهذيب اللغة؛ حققه رياض زكي قاسم. - ط ١. - بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠١. - جزآن، [٤] + ١١٢٥، [٢] + ٣٠٧٥ - ٣٩٩٢ صفحة.

١٧- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٣٥٦ / ٩٦٦). - الأغاني؛ حققه يوسف البقاعي، غريد الشيخ. - ط ١. - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٠ / ٢٠٠٠. - جزآن، [٤] + ٢٦٤، [٤] + ٢٩٧ صفحة.

١٨- الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل). - شرح ديوان الأعشى الكبير؛ قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتي. - لا طبعة. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤ / ٢٠٠٤. - [٤] + ٤٠٥ صفحة.

١٩- البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (٦٧٩ / ١٢٨٠). - شرح نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: دار الثقلين، ١٩٩٩. - [٤] + ١٠٤٥ صفحة (متابعة).

٢٠- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ / ٨٦٩). - صحيح البخاري؛ حققه مصطفى ديب البغا. - ط ٥. - دمشق: دار ابن كثير، دمشق: دار الإمامة، ١٤١٤ / ١٩٩٣. - الجزء الثاني [٥] + ٥٠٦ - ١٠٠٠ صفحة.

٢١- البيهقي، علي بن زيد (٥٦٥ / ١١٦٩). - معارج نهج البلاغة؛ حققه أسعد الطيّب. - ط ١. - قم: بوستان كتاب قم، ١٤٢٢. - الجزء الأول، [٥] + ٦٧٨ صفحة.

٢٢- الثعالبي، أبو منصور إسماعيل، (٤٢٩ / ١٠٣٨). - التمثيل والمحاضرة؛ حققه قصي الحسين. - ط ١. - بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣. - [٤] + ٣٣٦ صفحة.

٢٣- فقه اللغة وسرّ العربية. - لا. ط. - قم: مؤسسة إسماعيليان، لا. ت. - [٥] + ٤٣٢ صفحة.

٢٤- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١ / ١٠٧٨). - أسرار البلاغة في علم البيان. - لا. ط. - بيروت: دار المعرفة، لا. ت. - [٥] + ج - ك + ٣٦٨ صفحة.

٢٥- الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ / ٧٩١)، ترتيب كتاب العين؛ حققه مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. - ط ٢. - طهران: انتشارات أسوة، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤. - الجزء الثاني، [٨] + ٧٣٧ - ١٣٦٥ صفحة.

٢٦- دريد بن الصمة، دريد بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة (٦٣٢ / ٨). -

ديوان دريد بن الصمّة؛ حقّقه عمر عبد الرسول. - لا طبعة. - القاهرة: دار المعارف، لا تاريخ.  
- [٤] + ٢٣٧ صفحة.

٢٧- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ / ١٣٤٧). - سير أعلام النبلاء. - ط ١. -  
القاهرة: مكتبة الصفا، ٢٠٠٣. - خمسة أجزاء، الجزء الثاني، [٢] + ٥١٢، الثالث، [٢] +  
٦٥٦، الرابع، [٢] + ٦٤٠، الثامن، [٢] + ٦٨٨، الحادي عشر، [٢] + ٦٨٨ صفحة.

٢٨- الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (٥٧٣ / ١١٧٧). - منهاج البراعة في شرح نهج  
البلاغة؛ حقّقه عبد اللطيف الكوهكمري. - لا. ط. - قم: مكتبة المرعشي، ١٤٠٦. - الجزء  
الثاني، [٤] + ٤٥٦ صفحة.

٢٩- الزبيدي، أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي (٨٩٣ / ١٤٨٧). - مختصر صحيح البخاري. - ط ٣.  
- الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٨. - [٢] + ١٢٧٧ صفحة.

٣٠- السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦ / ١٢٢٨). - مفتاح العلوم؛ شرحه نعيم  
زرزور. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٣. - [٢] + أ - ز + ٦٢١ صفحة.

٣١- الشّريف الرّضي، محمّد بن أبي أحمد الحسين (٣٥٩ / ١٠١٥)، نهج البلاغة للإمام عليّ  
ابن أبي طالب؛ شرحه محمّد عبده. - لا. ط. - بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٦. - [٤] +  
٤٨٧ صفحة.

٣٢- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (٩٢٢ / ٣١٠). - تاريخ الأمم والملوك. - لا. ط. -  
القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٣٩. - أربعة أجزاء، الأوّل [٤] + ٤٧٨، الرابع، [٤] + ٦٨٠،  
الخامس، [٤] + ٦٥٦، السادس، [٤] + ٥٨٤ صفحة.

٣٣- جامع البيان في تفسير القرآن. - ط ٤. - بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٠. - أربعة  
أجزاء، السابع، [٤] + ٣٧٣، التاسع، [٤] + ٣٠١، الثالث عشر، [٤] + ٣١٠، [٤] + ٢٠٠  
صفحة.

٣٤- طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (٢٨٠ / ٨٩٣). - بلاغات النساء؛ ضبط متنه وعلّق  
حواشيه بركات يوسف هبّود. - لا. ط. - بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٥. - [٤] + ٣٠٩  
صفحة.



٣٥- العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (ت النصف الأول من القرن السادس). - الأنساب. - حققه محمد إحسان النص. - ط٤. - مسقط: وزارة التراث والثقافة، ١٤٢٧/٢٠٠٦. - الجزء الأول، [٢] + ٤٦٢ صفحة + أ - ط.

٣٦- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (١٢٧٢/٦٧١). - الجامع لأحكام القرآن. - ط٢. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥. - الجزء الثالث عشر، [٣] + ٣٦٨ صفحة.

٣٧- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٦١/٨٧٤). - الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. - لا. ط. - بيروت: دار المعرفة، لا. ت. - الجزء السادس، [٣] + ١٨٢ صفحة + ١ - ٥ صفحة (متابعة).

٣٨- المعتزلي، ابن أبي الحديد (١٢٥٨/٦٥٦)، شرح نهج البلاغة. - لا. ط. - بيروت: دار الأندلس، لا. ت. - تسعة أجزاء، الأول، [٤] + ٢٥٥ صفحة، الثاني، [٢] + ٢٥٩ - ٤٨٨، الثالث، [٤] + ٢٤٠، السادس، [٢] + ١٧٣ - ٤٨٧، السابع، [٤] + ٢٠٦، التاسع، [٤] + ٢١٨، العاشر، [٢] + ٢٢١ - ٤١٥، الحادي عشر، [٤] + ١٩٢، الثالث عشر، [٤] + ٢١٧ صفحة.

٣٩- الميداني، أبو الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم (٥١٨/١١٢٤). - مجمع الأمثال؛ حققه وشرحه قصي الحسين. - ط١. - بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣. - جزآن، [٤] + ٥٢٨، [٤] + ٥٢٨ صفحة.

٤٠- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٩٢/٩٠٤). - تاريخ اليعقوبي. - ط٢. - قم: دار الاعتصام، لا. ت. - الجزء الثاني، [٢] + ٣٦٤ صفحة.

٤١- ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي (٦٣٠/١٢٣٢). - معجم البلدان. - ط٢. - بيروت: دار صادر، ١٩٩٥. - ثلاثة أجزاء، الأول، [٥] + ٥٤٠، الرابع، [٢] + ٥٠١، الخامس، [٢] + ٤٦١ صفحة.

## ثانيًا : المراجع

١- أبو ماضي (إيليا). - ديوان إيليا أبو ماضي. - لا. ط. - بيروت: دار كاتب وكتاب، ١٩٨٨. - [٤] + ٦٦٤ صفحة.

٢- البادي (حصّة). - التناص في الشعر العربي الحديث: البرغوثي نموذجًا. - ط١. - عمان:

دار كنوز المعرفة العلميّة، ٢٠٠٩. - [٤] + ٢٣٠ صفحة.

٣- بارت (رولان). - التحليل النصّي: تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصّة القصيرة؛ ترجمه عبدالكبير الشّرقاوي. - ط٢. - الدّار البيضاء: منشورات الزّمن، ٢٠٠٠. - [٤] + ١٣٧ صفحة.

٤- لذّة النصّ؛ ترجمه منذر عيّاشي. - ط٢. - لا. ب: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢. - [٦] + ١٠٩ صفحة.

٥- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص؛ ترجمه منذر عيّاشي. - ط٢. - لا. ب: دار الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢. - [٦] + ٩٤ صفحة.

٦- باقر (محسن). - علوم نهج البلاغة. - ط١. - بيروت: دار العلوم، ٢٠٠٣. - [٩] + ٤٤٠ صفحة.

٧- البقاعي (محمد خير). - آفاق التّناص: المفهوم والمنظور. - لا. ط. - القاهرة: الهيئة المصريّة العامة، لا تاريخ. - [٦] + ٢١٦ صفحة.

٨- بلبداوي (أحمد). - الكلام الشعري: من الضرورة إلى البلاغة العامّة. - ط١. - الرباط: دار الأمان، ١٩٩٧. - [٣] + ٢٢٤ صفحة.

٩- بلعابد (عبد الحق). - عتبات: جبرار جينينت من النصّ إلى المناص. - ط١. - بيروت: الدار العربيّة للعلوم، ٢٠٠٨. - [٦] + ١٥١ صفحة.

١٠- بلقاسم (خالد). - أدونيس والخطاب الصّوفي. - ط١. - المغرب: دار توبقال، ٢٠٠٠. - [٥] + ١٩٥ صفحة.

١١- بلمليح (إدريس). - القراءة التفاعليّة: دراسات لنصوص شعريّة حديثة. - ط١. - الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠٠. - [٥] + ١٣٦ صفحة.

١٢- بنكراد (سعيد). - سيميولوجية الشّخصيّات السّردية: رواية الشّراع والعصفه لحنّا مينة نموذجًا. - ط١. - عمّان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٣. - [٤] + ٢٠٦ صفحة.

١٣- بوخاتم (مولاي علي). - مصطلحات النقد العربي السيميائي. - لا. ط. - دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٣. - [٤] + ٣١٨ صفحة.

- ١٤- الجارم (علي)، أمين (مصطفى). - البلاغة الواضحة. - ط ٣. - قم: دار الثقافة، ١٤١٣/ ١٩٩٢. - [٥] + ٣٠٤ صفحة.
- ١٥- الجعافرة (ماجد ياسين). - التناصّ والتلقّي: دراسات في الشعر العباسي. - ط ١. - الأردن: دار الكندي، ٢٠٠٣. - [٦] + ١١٩ صفحة.
- ١٦- جينيت (جيرار). - مدخل إلى جامع النصّ؛ ترجمة عبد العزيز شبيل. - لا. ط. - لا. بلد: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩. - [٢] + ١١٠ صفحة.
- ١٧- حسنين (نبيل علي). - التناصّ دراسة تطبيقية في شعر شعراء النفاضة. - ط ١. الأردن: دار كنوز المعرفة العلمية، ٢٠١٠. - [٤] + ٣٩٢ صفحة.
- ١٨- الحسيني (راشد بن حمد بن هاشل). - البنى الأسلوبية في النصّ الشعري. - ط ١. - لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٤. - [٤] + ٤٠٨ صفحة.
- ١٩- حلي (أحمد طعمة). - التناصّ بين النظرية والتطبيق: شعر البياتي نموذجاً. - لا. ط. - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٧. - [٤] + ٣١٨ صفحة.
- ٢٠- الحمداني (حميد). - بنية النصّ السردى. - ط ٣. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠. - [٤] + ١٥٩ صفحة.
- ٢١- حمّاد (حسن محمّد). - تداخل النصوص في الرواية العربية. - لا. ط. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة، لا. ت. - [٦] + ٢٢٠ صفحة.
- ٢٢- الحنصالي (سعيد). - الاستعارات والشعر العربي الحديث. - ط ١. - الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠٥. - [٧] + ٣٠٥ صفحة.
- ٢٣- الخضور (صادق عيسى). - التواصل بالتراث في شعر عزّ الدين المناصرة. - ط ١. - الأردن: دار مجدلاوي، ٢٠٠٧. - [٢] + ١٤٩ صفحة.
- ٢٤- الخوئي (حبيب الله). - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣. - ثلاثة أجزاء، [٤] + ٣٦٠، [٤] + ٣٤٩، [٤] + ٣٥٨ صفحة.
- ٢٥- الدرابسة (عاطف أحمد). - قراءة النصّ الشعريّ الجاهليّ في ضوء نظرية التأويل. - ط ١. - الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦. - [٤] + أ - د + ٣٩٠ صفحة.

- ٢٦- زايد (علي عشري). - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. - لا ط. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧. - [٢] + ٣٢٣ صفحة.
- ٢٧- سعد الله (محمد سالم). - مملكة النص: التحليل السيميائي للنقد البلاغي. - ط ١. - الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧. - [٢] + أ - د + ١٩٩ صفحة.
- ٢٨- السعدني (مصطفى). - في التناص الشعري. - لا ط. - الاسكندرية: منشأة المعارف، لا ت. - [٦] + ٢٨٦ صفحة.
- ٢٩- سلطان (منير). - التضمين والتناص وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجًا. - لا ط. - الاسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠٤. - [٤] + ٢٣٥ صفحة.
- ٣٠- سلام (سعيد). - التناص التراثي: الرواية الجزائرية أنموذجًا. - ط ١. - الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠. [٢] + ج - ز + ٤٩٦ صفحة.
- ٣١- ساميول (تيفن). - التناص ذاكرة الأدب؛ ترجمه نجيب غزاوي. - لا ط. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧. - [٤] + ١١٠ صفحة.
- ٣٢- السيّاب (بدر شاكر). - ديوان بدر شاكر السيّاب. - لا طبعة. - بيروت: دار العودة، ١٩٧١. المجلد الأول، [٢] + هـ - ك ك ك + [٤] + ٧٢٧ صفحة.
- ٣٣- شبّر (عبد الله). - نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة. - ط ١. - قم: انتشارات محبّين، ٢٠٠٤. - [٥] + ٥٠٠ صفحة.
- ٣٤- الشناوي (علي الغريب). - من المنهج الطقوسي إلى التناص: دراسة نقدية تحليلية في الأدب الأندلسي. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤. - [٦] + ١٤٩ صفحة.
- ٣٥- الصّعيدي (عبد المتعال). - بُغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. - لا طبعة. - القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٠ / ١٩٩٩. - الجزء الثاني، [٢] + ١٤٠ صفحة.
- ٣٦- الصّالح (صباحي). - نهج البلاغة. - لا ط. - إيران: مركز البحوث الإسلامية، ١٣٩٥. - [٧] + ٨٥٣ صفحة.
- ٣٧- الصّايغ (وجدان). - الصّورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث: رؤية بلاغية لشعرية

الأخطل الصغير. - ط ١. - بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٣. - [٤] + ٢٨٢ صفحة.

٣٨- ضيف (شوقي). - العصر الإسلامي. - ط ١٠. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦. - [٤] + ٤٩١ صفحة.

٣٩- عباس (لؤي حمزة). - سرد الأمثال: دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية. - لا. ط. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣. - [٣] + ٢١٥ صفحة.

٤٠- عبد الباقي (محمد فؤاد). - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. - لا. ط. - طهران : انتشارات إسلامي، ١٣٧٤. - [١٧] + ٨٩١ صفحة.

٤١- عبد الواحد (عمر). - دوائر التناص. - ط ١. - مصر: دار الهدى، ٢٠٠٣. - [٧] + ٢٠٤ صفحة.

٤٢- عزّام (محمد). - النصّ الغائب: تجليات التناصّ في الشعر العربي. - لا. ط. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١. - [٤] + ١٩٩ صفحة.

٤٣- العمري (حسين منصور). - إشكالية التناصّ: مسرحيات سعد الله ونوس أنموذجاً. - ط ١. الأردن: دار الكندي، ٢٠٠٧. - [٤] + ٢٦٣ صفحة.

٤٤- الغروي (محمد). - الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة. - ط ٤. - قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧. - [٥] + ٦٧٨ صفحة.

٤٥- فرشوخ (أحمد). - جمالية النصّ الروائي: مقارنة تحليلية لرواية لعبة النسيان. - ط ١. - الرباط: دار الأمان، ١٩٩٦. - [٤] + ١٤٢ صفحة.

٤٦- قدّور (أحمد محمد). - اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي. - ط ١. - بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠١. - [٥] + ٢٧٢ صفحة.

٤٧- الكردي (عبد الرحيم). - الراوي والنصّ القصصي. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٦. - [٤] + ١٧٥ صفحة.

٤٨- كريستيفا (جوليا). - علم النصّ؛ ترجمه فريد الزّاهي. - ط ١. - الدّار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩١. - [٥] + ٩٥ صفحة.

- ٤٩- كندي (محمد علي). - الرّمز والفتّاح في الشّعَر العربي الحديث: السيّاب ونازك و البّيّاتي. - ط ١. - بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٣. - [٧] + ٣٩٩ صفحة.
- ٥٠- كيليطو (عبد الفتّاح). - المقامات: السرد والنساق الثقافيّة؛ ترجمه عبد الكبير الشرقاوي. - ط ٢. - الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠٠١. - [٦] + ٢٣٧ صفحة.
- ٥١- كيوان (عبد العاطي). - التّناسّ الأسطوري في شعر محمّد إبراهيم أبو سنة. - ط ١. - القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ٢٠٠٣. - [٨] + ١٦١ صفحة.
- ٥٢- التّناسّ القرآني في شعر أمل دنقل. - ط ١. - القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ١٩٩٨. - [٨] + ١٦١ صفحة.
- ٥٣- تناسّات القهر والأحزان. - ط ١. - القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ٢٠٠٤. - [٨] + ٢١٣ صفحة.
- ٥٤- محمّد (عزّة شبل). - علم لغة النّصّ: النّظريّة والتّطبيق. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧. - [٢] + ج - ك + ٣٢٠ صفحة.
- ٥٥- مداس (أحمد). - لسانيّات النّصّ. - الأردن : عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧. - [٢] + أ - ج + ٣٢٢ صفحة.
- ٥٦- المصفار (محمود). - التّناسّ بين الرّؤية والإجراء في النّقد الأدبي: مقارنة محايدة للسّراقات الأدبيّة عند العرب. - لا طبعة. - تونس: مطبعة التّشفيّر الفنّي، ٢٠٠٠. - [٤] + ٥٧١ صفحة.
- ٥٧- ماضي (شكري عزيز). - في نظريّة الأدب. - ط ١. - بيروت : المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ٢٠٠٥. - [٤] + ٢٥١ صفحة.
- ٥٨- مفتاح (محمّد). - تحليل الخطّاب الشعري: استراتيجيّة التّناسّ. - ط ٤. - المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥. - [٤] + ٣٥٩ صفحة.
- ٥٩- المغربي (حافظ). - أشكال التّناسّ وتحوّلات الخطّاب الشعري المعاصر دراسات في تأويل النصوص. - ط ١. - بيروت: مؤسّسة الانتشار العربي، ٢٠١٠. - [٤] + ٣٢٨ صفحة.

- ٦٠- مكارم (ناصر). - شرح نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: دار جواد الأئمة، ٢٠٠٦. - ثلاثة أجزاء، [٥ + ٤٣٢، [٥ + ٤٣٩، [٥ + ٤٠٧ صفحة.
- ٦١- المناصرة (عزّ الدين). - علم التناصّ المقارن: نحو منهج عنكبوتيّ تفاعليّ. - ط ١. - عمّان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٦. - [٢ + ٤٨٠ صفحة.
- ٦٢- المانعي (علي سالم). - التناصّ في الخطاب الشعري العماني المعاصر. - ج ١. - ٢٠٥ ص مستنسخة.
- رسالة ماجستير: في اللغة العربيّة وآدابها: جامعة عين شمس، كليّة الآداب: ١٩٩٠.
- ٦٣- الموسوي (صادق). - تمام نهج البلاغة. - ط ١. - بيروت: الدار الإسلاميّة، ١٤١٤. - [٥ + ٨٢٨ صفحة.
- ٦٤- الموسوي (عبّاس). - شرح نهج البلاغة. - ط ٢. - بيروت: دار الرسول الأكرم، ٢٠٠٧. - ثلاثة أجزاء، [٤ + ٥٢٤، [٤ + ٥٠٨، [٤ + ٥٢٠ صفحة.
- ٦٥- ناهم (أحمد). - التناصّ في شعر الرّوّاد. - ط ١. - القاهرة: دار الآفاق العربيّة، ٢٠٠٧. - [٤ + ١٥٠ صفحة.
- ٦٦- الهاشمي (أحمد). - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. - ط ٦. - بيروت: دار الكتب العلميّة، لا ت. - [٢ + ٣٤٣ صفحة + ١ - ٦.
- ٦٧- وتار (محمّد رياض). - توظيف التراث في الرواية العربيّة. - لا. ط. - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢. - [٤ + ٢٥٧ صفحة.
- ٦٨- وعد الله (ليديا). - التناصّ المعرفيّ في شعر عزّ الدين المناصرة. - ط ١. - عمّان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٥. - [٢ + ٢٧٠ صفحة.
- ٦٩- وهبه (مجدّي)، المهندس (كامل). - معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب. - ط ٢. - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤. - [٨ + ٤٨٤ صفحة.
- ٧٠- ويس (أحمد محمّد). - الانزياح في التراث النقدي والبلاغي. - لا طبعة. - دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢. - [٤ + ٢٠٦ صفحة.
- ٧١- اليزدي (محمّد تقّي). - تجلّي القرآن في نهج البلاغة؛ ترجمه ماجد الخاقاني. - ط ١. -



قم: مركز إصدارات الإمام الخميني، ١٤٢٦ هـ - [٥] + ١٢٧ صفحة.

٧٢- يقطين (سعيد). - انفتاح النصّ الروائي. - ط٢. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١ هـ - [٥] + ١٥٩ صفحة.

## فهرست الأعلام والجماعات

| العلم                      | الصفحات                                                                                       | العلم                              | الصفحات  |
|----------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------|----------|
| - آدم                      | ٣٧، ٤٨، ٧٢-٧٣، ٩٣-٩٥، ١٠٠-١٠٣، ١٢٢، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٨-١٤٩، ١٧٢، ٢٠٧                               | - ابن النابغة = عمرو<br>ابن العاص. | ١١٧، ٢٠٠ |
| - إبراهيم (النبي)          | ٣٧، ٦٨، ٩٥، ١٠٦، ١٢٩، ٢٠٣                                                                     | - أبو بصير = الأعشى                |          |
| - الأبرش                   | ٥٤-٥٥                                                                                         | - أبو بكر<br>(ال خليفة الأول)      | ١١٧، ٢٠٠ |
| - إبليس                    | ٢٤، ٣٧، ٣٩، ٧٢-٧٤، ٩٤، ١٠١، ١٠٦، ١٤٩، ١٧١، ٢٠٧، ٢٣١                                           | - أبو جندب الهذلي                  | ٦١، ٦٢   |
| - ابن أبي الحديد= المعتزلي |                                                                                               | - أبو خراش                         | ٦٢       |
| - ابن كثير                 | ١٠٢، ١٢٦                                                                                      | - أبو ذؤيب                         | ٢٠٤      |
| - ابن ميثم                 | ٤٠، ٤٢، ٦٠-٦١، ٨٦، ١٠٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٨-١٦٠، ١٩٠-١٩١، ١٩٧، ١٩٩-٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٧-٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨ | - أبو ذفافة                        | ١٦٦      |

|                    |                   |                 |                        |
|--------------------|-------------------|-----------------|------------------------|
| ١٨٥ ، ١٢٠ ، ١٠٢    | - الإنس           | ٢٠٤             | - أبو زبيد             |
| ٤٢                 | - أنس بن مالك     | ٥٠              | - أبو سعيد الخدري      |
| ٢٠٥ ، ٤١           | - أهل البيت       | ٤٥              | - أبو طلحة الأنصاري    |
| ٥١                 | - البحرين         |                 | - أبو فرعان = عبدالله  |
|                    |                   |                 | ابن الصمة              |
| ٤٨                 | - البخاري         | ٤٨              | - أبو هريرة            |
| ١٠٨ ، ٦٥ ، ٤١ ، ٣٩ | - بدر (معركة)     |                 | - أبو الهيثم = مالك بن |
|                    |                   |                 | التيهان                |
| ١٦٢ - ١٦١ ، ٦٠     | - بسر بن أرطاة    | ١١٣             | - أبو ونحة             |
| ١٧٤                | - البسوس          | ١٦٢             | - أخو غامد             |
| ١٢٦                | - بشر بن مروان    | ١٦٠             | - الأزهرى              |
| ١٠٦ ، ٩٩ ، ٨٠      | - بنو إسرائيل     | ١٠٦ - ١٠٧ ، ٦٨  | - إسحاق ( النبي )      |
| ١٨٤ ، ١٢٠          |                   | ١٢٩             |                        |
| ٨٨ - ٨٩ ، ١٢٤      | - بنو أمية        | ١٠٦ - ١٠٧ ، ١٢٩ | - إسماعيل ( النبي )    |
| ١٣٩ ، ١٣٧ ، ١٢٧    |                   |                 |                        |
| ١٥٧ ، ١٩١ ، ٢٠٢ -  |                   |                 |                        |
| ٢١٥ ، ٢١٣ ، ٢٠٣    |                   |                 |                        |
| ٦٢                 | - بنو تميم        | ٢٠٥ ، ١٢٦       | - الأشعث بن قيس        |
| ١٦٧                | - بنو عبس         | ٦١              | - الأصفهاني            |
|                    |                   |                 | (أبو الفرج)            |
| ١٦١ ، ٦٢ - ٦١      | - بنو فراس بن غنم | ٦٣ - ٦٤ ، ١٦٠   | - الأعشى               |
| ١٦٧                | - بنو قارب        | ١٠٦ - ١٠٧       | - الأكاسرة             |
| ١٢٦                | - بنو المهلب      | ١٦٢ - ١٦٣ ، ٥٤  | - الأنبار              |
|                    |                   | ٢٠١             |                        |

|                  |                   |                 |                    |
|------------------|-------------------|-----------------|--------------------|
| ١١٩، ١١٣         | - الحمذاني (حميد) | ١٦٩، ١٦٦        | - البيهقي          |
| ٢٠٦              | - الحنصالي (سعيد) | ٢٠٥ - ٢٠٤، ٥٠   | - الثعالبي         |
| ٩٩، ٦٤، ٤٨       | - حنين (معركة)    | ٨٥ - ٨٤، ٢٤     | - ثمود             |
| ١٦٠، ٦٤ - ٦٣، ٦٠ | - حيّان           | ٥٠              | - الجاحظ           |
| ٢٠٠              |                   |                 |                    |
| ١١١ - ١١٠        | - خديجة بنت خويلد | ١٦٧، ٥٥ - ٥٤    | - جذيمة            |
|                  | - خزيمة بن ثابت = | ١٦٧، ١٢٦، ٥٤    | - الجزيرة          |
|                  | نو الشهادتين      |                 |                    |
| ١٢٦              | - خالد القسري     | ١٨٥             | - جعدة بن هبيرة    |
| ١٧٦، ١٧٤، ١٤٩    | - الخوئي          | ١٣٥، ٣٤         | - جعفر بن أبي طالب |
| ١٦٧، ١٢٤ - ١٢٣   | - الخوارج         | ٢١٠، ١٤١، ٦٨    | - الجمل (معركة)    |
|                  |                   | ٢١٣             |                    |
| ١٧٤              | - داحس            | ١٢٠، ١٠٢، ٧٣    | - الجنّ            |
|                  |                   | ١٨٥             |                    |
| ١٦٧، ٦٤، ٣٤      | - دريد بن الصمة   | ٧٦، ٧٤ - ٧١، ٣٤ | - جيني             |
| ١٠٦، ٩٩          | - داود (النبي)    | ٧٤، ٣٢، ٢٩ - ٢٧ | - جينيت (جيرار)    |
| ١٠٨، ٩٩          | - ذو الشهادتين    | ١٢٦ - ١٢٤       | - الحجاج بن يوسف   |
|                  | (خزيمة)           |                 |                    |
| ١١١              | - ربيعة (قبيلة)   | ١٦٢             | - حسان البكري      |
| ١٤٩، ٨٨، ٢٦      | - رولان بارت      | ١٠٩، ٧٠، ٥٣، ٥١ | - الحسن بن عليّ    |
|                  |                   | ١٣٤، ١١٢        |                    |
| ١٦٢، ١٢٦         | - الروم           |                 | - الحسنان = الحسن  |
|                  |                   |                 | والحسين            |
| ٨٨               | - ريفانير         | ١٢٦، ١١٢        | - الحسين بن عليّ   |

|                  |                                |                |                        |
|------------------|--------------------------------|----------------|------------------------|
| ١٦٧، ٥٤          | - صفين (معركة)                 | ١٠٧، ٩٩، ٦٥    | - الزبّاء              |
|                  |                                | ١٠٨، ١٥٨، ٢٠١  |                        |
|                  |                                | ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩  |                        |
|                  |                                | ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٧  |                        |
| ١٢٤، ٩٩، ٦٨، ٥٢  | - الطبري                       | ١٢٨، ١٥٧       | - الزبير               |
| ٢٢٦، ٢٠٢، ١٤١    |                                |                |                        |
| ١٢٦              | - طلحة                         | ٩٩، ٢٠٢، ٢٣٠   | - زيد بن عليّ          |
| ١٢٨، ١٦٥ - ١٦٦   | - عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث | ١٢٦            | - سبأ                  |
| ٦٣               | - عبد القاهر الجرجاني          | ١٨٩            | - سعد بن ضُبَيْة       |
| ٩٧، ١٠٠          | - عبد الله بن الصمّة           | ٣٤، ٦٤، ١٦٧    | - سعيد بنكراد          |
| ٢٦، ٢٩، ٦٩       | - عبد الملك بن مروان           | ١٢٦، ٢٢١       | - سعيد يقطين           |
| ٩٩، ١٠٢ - ١٠٣    | - عبيد الله بن زياد            | ٦٨، ١٢٧        | - سليمان بن داود       |
| ١٢٠، ١٨٤ - ١٨٥   |                                |                |                        |
| ٩٧               | - عثمان بن عفّان               | ١١٩، ٢٠٢       | - السندباد             |
| ٢٢٦              | - عاد                          | ١٢٧            | - شبه الجزيرة العربيّة |
| ٣٧               | - العراق                       | ٣٨، ١٢٤، ١٢٦ - | - شعيب (النبي)         |
|                  |                                | ١٢٧، ١٨٠ - ١٨١ |                        |
|                  |                                | ١٩٠، ٢١٢، ٢٢٢  |                        |
| ٥٨، ٦٢ - ٦٣، ١١٧ | - عقيل بن أبي طالب             | ٩٩، ٢١٠        | - الشام                |
| ١٢٥، ١٢٧، ٢٠١    |                                |                |                        |
| ٢١٢، ٢٢٠ - ٢٢١   |                                |                |                        |
| ١٢٢، ١٣٥، ١٤٠ -  | - عكاظ                         | ١٩٧            | - الشيطان              |
| ١٤٢، ١٥٣، ٢٠٧    |                                |                |                        |
| ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٢    |                                |                |                        |
| ٨٤               | - علاء الدين                   | ٩٧             | - صالح                 |

|                 |                 |                 |                    |
|-----------------|-----------------|-----------------|--------------------|
| ١٦٧             | - غطفان         | ٦٣              | - علقمة بن علاثة   |
| ١٦٢، ٥٤         | - الفرات        | ١٦١             | - علقمة بن فراس    |
| ٦٨              | - الفرس         | ٦٣              | - عامر بن الطفيل   |
| ١٠٢-١٠٣، ١٠٨،   | - الفراعنة      |                 | - علي بن أبي طالب: |
| ١٢٠، ١٢٢، ١٨٥،  |                 |                 | راجع الرسالة       |
| ١٩٥             |                 |                 |                    |
| ٨٠-٨١، ١٢٠،     | - فرعون         | ١٠٢-١٠٣، ١٠٨،   | - العمالقة         |
| ١٩٥، ١٨٤، ١٢٢   |                 | ١٨٥، ١٢٠        |                    |
| ١٣٤، ٣٤         | - فاطمة الزهراء | ١٨، ٣٨، ٤٨، ٥٢، | - عمر بن الخطاب    |
|                 |                 | ٦٨              |                    |
| ١١٩             | - فليب هامون    | ١٢٤             | - عمر بن هبيرة     |
| ١٧٢             | - قابيل         | ١١٧-١١٨، ١٦٥،   | - عمرو بن العاص    |
|                 |                 | ٢٢٢، ١٨٦        |                    |
| ٨٠              | - قارون         | ٣١، ٨٦          | - العمري (منصور)   |
| ١١١، ٩٩، ٦٥، ٣٩ | - قريش          | ٩٩، ١٠٨         | - عمّار            |
| ١٣٦، ١٤٠، ١٦٣،  |                 |                 |                    |
| ٢٠٩، ١٧٨        |                 |                 |                    |
| ٥٤-٥٥، ٥٨،      | - قصير          | ٩٧              | - عنتره            |
| ١٦٧-١٦٦         |                 |                 |                    |
| ١٠٦-١٠٧         | - القياصرة      | ٩٧              | - عيسى بن هشام     |
| ٨٣، ٨٠، ٣٩      | - الكافرون      | ٣٩، ٢٠١         | - عين التمر        |
| ١، ٢٣، ٢٦-٢٩،   | - كريستيفا      | ١٧٤             | - الغبراء          |
| ٣٢، ١٤٦، ١٦٨،   |                 |                 |                    |
| ٢٢٩             |                 |                 |                    |
| ٣٨، ١٢٣، ١٢٦،   | - الكوفة        | ٥٥، ١٦٣، ١٦٦،   | - الغروي (محمد)    |
| ٢٠٥، ١٨٥        |                 | ١٧١             |                    |

|                  |                    |               |                  |
|------------------|--------------------|---------------|------------------|
| ١٢٠، ١١٧، ١٠٣    | - مصر              | ١٦٧، ٦٤       | - اللّوى (معركة) |
| ١٢٦              |                    |               |                  |
| ١١١              | - مضر              | ١٩٥، ٤٢، ٣٩   | - المؤمنون       |
| ٤٩، ٤٤، ٤١، ٤، ٢ | - المعتزلي         | ٢٢٤، ٢١٠، ٢٠٨ | - محسن باقر      |
| ٦٣، ٦٠، ٥٦، ٥٣   |                    | ٢٢٦           |                  |
| ٩٢، ٩١، ٧١، ٦٥   |                    |               |                  |
| ١٣١، ١٠٨، ٩٣     |                    |               |                  |
| ١٥١، ١٤٢، ١٣٥    |                    |               |                  |
| ١٧٩-١٧٨، ١٦٤     |                    |               |                  |
| ٢٠٣-٢٠٢، ١٩٧     |                    |               |                  |
| ٢١٤، ٢١٠، ٢٠٥    |                    |               |                  |
| ٥٢-٥١، ٣٩، ٨     | - معاوية بن أبي    | ١٦٢، ٢        | - المدائن        |
| ١١٢، ٩٨، ٦٥، ٦٠  | سفيان              |               |                  |
| ١٢٧، ١١٨-١١٧     |                    |               |                  |
| ٢٠١، ١٦٢-١٦١     |                    |               |                  |
| ٢٢٧، ٢٠٩، ٢٠٥    |                    |               |                  |
| ١٥٦-١٥٥، ١١٩     | - مكارم (ناصر)     | ١٢٠، ١٠٢      | - مدائن الرّس    |
| ١٠٦، ٩٩، ٦٠، ٣٩  | - مكة المكرمة      | ٨٠، ٣٧        | - مدين           |
| ١٧٢، ١٢٩، ١١٧    |                    |               |                  |
| ١٠٨-١٠٧          | - مالك بن النّيهان | ٤٣، ١١٨-١١٩   | - المسلمون       |
|                  |                    | ٢٠٥، ١٣٦، ١٢٧ |                  |
|                  |                    | ٢٢٦، ٢١٢      |                  |
| ٤٥، ٤١، ٣٧، ٢٤   | - الملائكة         | ٦٤، ٣٩        | - المشركون       |
| ٩٣، ٧٩، ٧٦، ٧٢   |                    |               |                  |
| ١١٦، ١١٣، ١٠١    |                    |               |                  |
| ٢٠٧، ١٤٨         |                    |               |                  |



|                   |                  |                    |                             |
|-------------------|------------------|--------------------|-----------------------------|
| ١٨٤ ، ١٧٢         | - هارون          | ١٤١ ، ٥٢           | - المهاجرون                 |
| ٢٠٦ ، ١٨٩         | - الهاشمي (أحمد) | ١٠٣ ، ٩٥ ، ٨٠ -    | - موسى ( النبي )            |
|                   |                  | ١٤٤ ، ١٣٣ ، ١٠٥    |                             |
|                   |                  | ٢٣١ ، ١٨٤ - ١٨٣    |                             |
| ٨٠                | - هأمان          | ١٢٠ ، ١١٨ ، ١٠٩    | - الموسوي (عبّاس)           |
|                   |                  | ١٨١ ، ١٦١ ، ١٥٤    |                             |
| ٥١                | - هجر            | ١٦٧ ، ١٢٨          | - الميداني                  |
| ٦٢                | - هذيل           |                    | - ميمون بن قيس =<br>الأعشى. |
| ٨٠ ، ٦٤           | - هوازن          | ١٢٣ - ١٢٤ ، ٢١٣ ،  | - النهروان (معركة)          |
|                   |                  | ٢٢٧                |                             |
| ٩٩ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٣٨ | - اليمن          | ١٠٣ ، ٩٥ ، ٨٤ ، ٥٤ | - نوح ( النبي )             |
| - ١٦١ ، ١٢٦ ، ١١١ |                  |                    |                             |
| ١٦٢               |                  |                    |                             |
| ١٢٦               | - يوسف بن عمر    | ١٧٢                | - هابيل                     |

## فهرست الآيات القرآنية الكريمة

| رقم الآية | متن الآية                                                                                                                                                                                                           | السورة (رقمها) | الصفحة      |
|-----------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|-------------|
|           |                                                                                                                                                                                                                     | (١) الفاتحة    |             |
| ١         | الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.                                                                                                                                                                              |                | ١٣١         |
|           |                                                                                                                                                                                                                     | (٢) البقرة     |             |
| ٣٣        | قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. |                | ٧٢          |
| ٣٤        | وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.                                                                                        |                | ٧٢          |
| ٣٥        | وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.                                                 |                | ٧٢، ٩٤، ١٢٣ |
| ٣٦        | فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ.                                   |                | ١٢٣         |
| ٣٧        | فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.                                                                                                                       |                | ٩٤، ١٢٣     |
| ٣٨        | قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ...                                                                                                                                                                              |                | ٩٤، ١٢٣     |
| ٣٨        | قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.                                                                      |                | ٩٤، ١٢٣     |
| ٤٩        | وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ .                                                                                  |                | ١٩٥         |
| ٧٤        | ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً.                                                                                                                            |                | ١٧٥         |
| ١١٧       | بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ                                                                                                                                |                | ١٥٤         |

فَيَكُونُ.

- ١٢٧ وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمَاعِيْلُ. ١٢٩
- ٢٥٥ اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ لَا تَاْخُذُهٗ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ... ١٣٠-١٣١
- ٢٨٢ وَاسْتَشْهِدُوْا شٰهِيْدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَاِنْ لَمْ يَكُوْنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَاَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ اَنْ تَضِلَّ اِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ اِحْدَاهُمَا الْاُخْرٰى...

## آل عمران (٣)

- ٧ ... اَمَّا الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَاْوِيْلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيْلَهُ اِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُو الْاَلْبَابِ ... ١٥٤
- ١٤ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْاَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاْبِ . ٤٧
- ١٥ قُلْ اُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَاَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِصٰعِرٍ بِالْعِبَادِ . ٤٧
- ٣٣ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى اٰدَمَ وَنُوْحًا وَاٰلَ اِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرٰنَ عَلٰى الْعٰلَمِيْنَ . ٩٥
- ٩٧ فِيْهِ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ اِبْرٰهِيْمَ وَمَنْ دَخَلَهٗ كَانَ اٰمِنًا وَلِلّٰهِ عَلٰى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ . ٢٠٣، ٧٤
- ٩٨ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلٰى مَا تَعْمَلُوْنَ . ٧٤
- ١٤٤ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٖ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلٰى اَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا ١٢٢

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

١٨٠

كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.

١٨٥

١٦٩

... وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا ...

١٩٨

#### النساء (٤)

٨٤

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.

٤٨

#### المائدة (٥)

١٨١

... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ  
الْإِسْلَامَ دِينًا...

٣

٩٥

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...

٦٧

#### الأنعام (٦)

١٥٧، ٧٥

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ  
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.

٩٥

#### الأعراف (٧)

٧٢

وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا  
تَشْكُرُونَ.

١٠

٧٢

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا  
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ.

١١

٧٢

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ  
نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.

١٢

٣٨

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ.

١٤

١٤٨، ٣٨

قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ.

١٥

٢٠٧، ١٦٣

وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ.

٢٦

٩٦

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.

٣٤

- ٥٧ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ. ١٥٦  
 ٨٩ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ. ٣٧

### الأنفال (٨)

- ١ يسألونك عن الأنفال. ٣٩  
 ٥ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. ٣٩  
 ٦ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. ٢٠١، ٢٠٠، ١٥٨، ٣٨  
 ٧ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. ٣٩

### التوبة (٩)

- ١٠٩ أَفَمَنَ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. ٨٩

### يونس (١٠)

- ٢٤ ... حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا... ٢١٨  
 ٣٤ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. ٧٥

### هود (١١)

- ٤٩ ... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ. ١٩١

- ٦٣ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَنَزَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ. ٨٥
- ٦٤ فَعَرَّوْهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ. ٨٥
- ٦٥ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. ٨٥
- ٦٦ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. ٨٥

### الرعد ( ١٣ )

- ١٧ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا... ٢٢٤، ١٩٦، ٩٣

### إبراهيم ( ١٤ )

- ١ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ١٩٠
- ٣٤ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ. ١٣١
- ٣٧ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ. ١٢٩
- ٤٢ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. ١٥٣

### الحجر ( ١٥ )

- ١٦ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. ٩٠
- ٢٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. ٩٣
- ٢٨ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. ٩٣

|    |                                                                                        |     |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| ٢٩ | فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.             | ٩٣  |
| ٣٣ | قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. | ٩٣  |
| ٣٤ | قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ.                                            | ٩٤  |
| ٣٦ | قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ.                                    | ٣٨  |
| ٣٧ | قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ.                                                   | ٣٨  |
| ٣٨ | إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.                                                   | ٣٨  |
| ٣٩ | رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي ...                                                          | ١٧٢ |

### النحل ( ١٦ )

|    |                                                 |          |
|----|-------------------------------------------------|----------|
| ٣٦ | وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا . | ١٤٧ ، ٩٥ |
|----|-------------------------------------------------|----------|

### الإسراء ( ١٧ )

|    |                                                                                                                                                                                                                                         |           |
|----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
| ٥١ | الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.                                                                                                                                                                                                     | ١٥٤ - ١٥٦ |
| ٦٠ | وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا. | ٧٢        |
| ٦١ | وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا.                                                                                                                   | ٧٢        |
| ٦٢ | قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤْخِرَنَّكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا .                                                                                             | ٧٢        |
| ٦٤ | وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكِ وَرِجْلِكَ وُسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا.                                 | ١٧٢       |

### الكهف ( ١٨ )

|   |                                                                                                |    |
|---|------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٧ | إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . | ٤٧ |
|---|------------------------------------------------------------------------------------------------|----|



- ٤٣ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا. ٧٨
- ٤٤ هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. ٧٨
- ٤٥ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا. ٧٨
- ٤٦ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا. ١٦٩، ٧٨
- ٤٩ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا. ٧٣
- ٥٠ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا. ٧٣
- ٥١ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا. ٨٣

### طه (٢٠)

- ٦٧ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. ١٣٣
- ١١٠ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عَلَمًا ... ٩١
- ١١٥ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا. ٧٣
- ١١٦ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. ٧٣
- ١١٧ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. ٧٣

### الأنبياء ( ٢١ )

- ٢٥ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ. ٧٦

|    |                                                                                                                                                                      |    |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٢٦ | بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ.                                                                                                                                           | ٢٦ |
| ٢٦ | لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.                                                                                                         | ٢٧ |
| ٢٦ | يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ.                                       | ٢٨ |
| ٩٢ | أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. | ٣٠ |

### المؤمنون ( ٢٣ )

|                 |                                                                                      |     |
|-----------------|--------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| ٢٢٠ ، ١٨١ ، ١٥٣ | أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. | ١١٥ |
|-----------------|--------------------------------------------------------------------------------------|-----|

### الشعراء ( ٢٦ )

|     |                                                            |     |
|-----|------------------------------------------------------------|-----|
| ٧١  | قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ.                       | ٩٦  |
| ٧١  | تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ.               | ٩٧  |
| ٧١  | إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ.                    | ٩٨  |
| ٧١  | وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ.                    | ٩٩  |
| ٨٥  | فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدَمِينَ.                        | ١٥٧ |
| ١٧٢ | وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. | ٢١٥ |

### النمل ( ٢٧ )

|     |                                                                                          |    |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ١٠٢ | وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. | ١٧ |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------|----|

### القصص ( ٢٨ )

|                |                                                                                                                                                           |    |
|----------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٢٠٠ ، ١١٢ ، ٧٠ | تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.                     | ٨٣ |
| ٧٠             | مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. | ٨٤ |

## الروم ( ٣٠ )

- ٤٠ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ  
مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.
- ٤١ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ  
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.
- ٤٢ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ  
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ.

## لقمان ( ٣١ )

- ٢١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ.

## السجدة ( ٣٢ )

- ٥ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.
- ٧ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ.
- ٨ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ.
- ٩ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ.

## الأحزاب ( ٣٣ )

- ٧ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى  
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا.
- ٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ  
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.

## سبا ( ٣٤ )

- ١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ.
- ٢٢٢ ، ١٨٢

- ١٥ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ.
- ١٦ ... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ...
- ١٩ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ.
- ٣٥ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ.

### فاطر ( ٣٥ )

- ١ أُولِي أُنْجِيحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ.
- ٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.
- ٨ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ.
- ١٢ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِنَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.
- ١٣ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ.
- ١٤ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.
- ١٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.
- ٢٤ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.
- ٣٢ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ...
- ١٤٨ - ١٤٧، ٩٥
- ٩٥

### الصافات ( ٣٧ )

- ١١ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ.

## ص ( ٣٨ )

|           |                                                                                                             |    |
|-----------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٨٣        | بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ.                                                              | ٢  |
| ٨٣        | كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ.                              | ٣  |
| ٨٣        | وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.                   | ٤  |
| ٨٣        | أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ.                                         | ٥  |
| ١٠٣       | قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. | ٣٥ |
| ١٠٣       | فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ .                                       | ٣٦ |
| ٢٠٧ ، ١٠١ | إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ.                                                                          | ٧١ |
| ٢٠٧ ، ١٠١ | فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.                                 | ٧٢ |
| ٢٠٧ ، ١٠١ | فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ.                                                              | ٧٣ |
| ٣٨        | قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ .                                                        | ٧٩ |
| ٣٨        | قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ .                                                                       | ٨٠ |
| ٣٨        | إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ .                                                                       | ٨١ |
| ٨٤        | لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ.                                  | ٨٥ |
| ٨٤        | قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ.                              | ٨٦ |
| ١٨٠ ، ٨٤  | إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.                                                                    | ٨٧ |
| ١٨٠ ، ٨٤  | وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ.                                                                      | ٨٨ |

## الزمر ( ٣٩ )

|    |                                                                                                                                                                                                                                                                                        |    |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٨٢ | وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ.                                                                                                                                               | ٦٠ |
| ٨٢ | وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ | ٧١ |

الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

- ٧٢ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ. ٨٣
- ٧٣ ... وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.

### غافر (٤٠)

- ٢٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. ٨١
- ٢٤ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. ٨١
- ٢٥ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. ٨١
- ٢٦ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ. ٨١
- ٢٧ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. ٨١
- ٦٢ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. ٧٦
- ٧٨ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ. ٧٢

### فصلت (٤١)

- ١٥ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. ١٢٧-١٢٨
- ١٦ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ. ١٢٧

## الدخان ( ٤٤ )

٢٩ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ. ١٧٣

## الفرقان ( ٤٥ )

٦١ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. ٩٠

## محمد ( ٤٧ )

٣٥ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ. ٢٠٧

## الطور ( ٥٢ )

٢٩ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ. ٧٩  
 ٣٠ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ . ٧٩  
 ٣١ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ . ٧٩  
 ٣٢ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ . ٧٩  
 ٣٣ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . ٧٩

## النجم ( ٥٣ )

٥٧ أَرَفَتِ الْآزِفَةَ. ٩٥

## القمر ( ٥٤ )

١ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. ١٨٠، ١٩٢  
 ٢ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. ١٨٠

## الرحمن ( ٥٥ )

١٤ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. ٩٤



- ٩٤      وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ.      ١٥
- ١٣١      يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.      ٤١

### الواقعة ( ٥٦ )

- ١٥٩      أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ.      ٤٨
- ١٥٩      قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.      ٤٩
- ١٥٩      لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ.      ٥٠

### الحديد ( ٥٧ )

- ١٥٠      وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.      ٣

### الحشر ( ٥٩ )

- ١٨١      وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ.      ١٨

### الصف ( ٦١ )

- ٩٥      ...وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...      ٦

### الجمعة ( ٦٢ )

- ٦٩      هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ .      ٢

### التغابن ( ٦٤ )

- ١٥٩      يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ.      ٩

### المعارج ( ٧٠ )

- ٢١٨      يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا...      ٤٣

## نوح (٧١)

|    |    |                                                                                               |
|----|----|-----------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٧٧ | ٩  | ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا.                                |
| ٧٧ | ١٠ | اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.                                              |
| ٧٧ | ١٠ | فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.                                     |
| ٧٧ | ١١ | يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا.                                                    |
| ٧٧ | ١٢ | وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا. |
| ٧٧ | ١٣ | مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا.                                                    |

## المزمل (٧٣)

|     |    |                                                                          |
|-----|----|--------------------------------------------------------------------------|
| ١٥٩ | ١٤ | يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ...                                |
| ١٣١ | ١٧ | فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. |

## المرسلات (٧٧)

|    |    |                                          |
|----|----|------------------------------------------|
| ٧٩ | ١٩ | وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.      |
| ٧٩ | ٢٠ | أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ. |
| ٧٩ | ٢١ | فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ .      |

## النبأ (٧٨)

|              |    |                                                      |
|--------------|----|------------------------------------------------------|
| ٩٢           | ٦  | أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا.                  |
| ١٥٦، ٩٢، ١٥٥ | ٧  | وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا.                             |
| ٢١٧          | ١٠ | وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا.                      |
| ٢١٧          | ١١ | وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا.                     |
| ١٥٣          | ١٨ | يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا. |

## النازعات (٧٩)

|     |    |                                     |
|-----|----|-------------------------------------|
| ٢١٩ | ٣٠ | وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. |
|-----|----|-------------------------------------|

## التكوير ( ٨١ )

|          |                                         |    |
|----------|-----------------------------------------|----|
| ١٥٧ ، ٧٥ | وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ.  | ٢٥ |
| ١٥٧ ، ٧٥ | فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ.                   | ٢٦ |
| ١٥٧ ، ٧٥ | إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. | ٢٧ |

## البروج ( ٨٥ )

|     |                               |   |
|-----|-------------------------------|---|
| ١٨٢ | وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ | ١ |
|-----|-------------------------------|---|

## الفجر ( ٨٩ )

|    |                                            |    |
|----|--------------------------------------------|----|
| ٨١ | وَقِرْعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ.              | ١٠ |
| ٨١ | الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ.          | ١١ |
| ٨١ | فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ.            | ١٢ |
| ٨١ | فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. | ١٣ |
| ٨١ | إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ.            | ١٤ |

## فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

الحديث

م

- ١- أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ. وَإِنَّ أَحَدًا لَن يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عَرِضْتُ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ، قَالَ قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ . فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ.
- ٢- إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، فَمَنْ أَطْلَعَ الْحِجَابَ وَقَعَ مَا وَرَاءَهُ.
- ٣- إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ.
- ٤- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ .
- ٥- سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ. قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَغْلَاهَا تَمَنَاءً، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ.
- ٦- حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ.
- ٧- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تَمَثَالُ طَائِرٍ وَكَانَ الدَّخَلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : حَوْلِي هَذَا فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا قَالَتْ : وَكَانَتْ لَنَا قُطِيفَةٌ كُنَّا نَقُولُ عَلَمُهَا حَرِيرٌ فَكُنَّا نَلْبَسُهَا.

- ٨- سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قال: رَجُلٌ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ  
اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثُمَّ امْرُؤٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ، يَعْبُدُ اللهَ عَزَّ  
وَجَلَّ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ.
- ٩- لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَمَائِيلٌ. ٤٥
- ١٠- لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ  
رَجُلٌ الْجَنَّةَ، لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ. ٤٩
- ١١- الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ. ٤٣

## فهرست الأشعار

| السطر الأول                                      | السطر الثاني                                        | البحر  | القائل  | الصفحة     |
|--------------------------------------------------|-----------------------------------------------------|--------|---------|------------|
| أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى       | فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ | الطويل | دريد بن | ٦٤،<br>١٦٤ |
| أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَابِحاً   | وَأَكَلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْجُرَا      | الطويل | مجهول   | ٦٥         |
| نَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ      | عَلِيّاً وَحَطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا  |        |         |            |
| عَلَقْمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ                | الناقض الأوتار والواتر                              | السريع | الأعشى  | ٦٣-        |
|                                                  |                                                     |        | الكبير  | ٦٤،        |
|                                                  |                                                     |        |         | ١٦٠،       |
|                                                  |                                                     |        |         | ١٩٩        |
| وَقَدْ أَسْلَى الْهَمَّ إِذْ يَعْتَرِي           | بجسرة دوسرة عاقر                                    |        |         |            |
| زيافة بالرحل خطارة                               | تلوي بشرخي ميسة قاتر                                |        |         |            |
| شئان ما يومي على كورها                           | ويوم حيان أخي جابر                                  |        |         |            |
| أرمني بها البيداء إذ هجرت                        | وأنت بين القرو والعاصير                             |        |         |            |
| في مجدل شيد بنياناه                              | يزل عنه ظفر الطائر                                  |        |         |            |
| لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي | عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ            | الطويل | أبوجندب | ٦٠         |
|                                                  |                                                     |        | الهذلي  |            |
| أَلَا يَا أُمَّ زَنْبَاعٍ أَقِيمِي               | صدور العيس نحو بني تميم                             | الوافر | أبوجندب | ٦١، ٦٢،    |
|                                                  |                                                     |        | الهذلي  | ١٦١        |
| هَذَا لَكَ، لَوْ دَعَوْتَ، أَتَاكَ مِنْهُمْ      | فوارس مثل أرمية الحميم                              |        |         |            |

## فهرست المصطلحات

عربي - إنجليزي

إنجليزي - عربي

| A                      |                 | أ               |                       |
|------------------------|-----------------|-----------------|-----------------------|
| Absent text            | النصّ الغائب    | Creative        | (٤٩) إبداع            |
| Accession Intertexture | التناصّ الموافق | Literature      | (١٢١) أدب             |
| Accession Paratext     | المناصّ الموافق | Communication   | (١٧٩) اتّصال          |
| Allusion               | تلميح           | Reference       | (٣٢) إحالة            |
| Assortment             | تناسق           | Recall          | (٤١) استدعاء          |
| Antipodes              | نقائض           | Social Recall   | (١٣٥) استدعاء اجتماعي |
|                        |                 | Moral Recall    | (١٧٧) استدعاء أخلاقي  |
| Building Text          | بناء النصّ      | Times Recall    | (١٢٠) استدعاء الأزمنة |
|                        |                 | Places Recall   | (٨٢) استدعاء الأماكن  |
| Citation               | اقتباس          | Historic Recall | (٢٥) استدعاء تاريخي   |
| Coalition              | اندماج          | Famous Recall   | (٢٥) استدعاء الشخصيات |
| Coherent               | تماسك           | Metaphor        | (٤١) استعارة          |
| Communication          | اتّصال          | Preface         | (٤٠) استهلال          |
| Composition            | تركيب           | Editorial Text  | (٤٩) افتتاحيّة النصّ  |



|                          |                     |                      |       |                 |
|--------------------------|---------------------|----------------------|-------|-----------------|
| Creative                 | إبداع               | Citation             | (٣٠)  | اقتباس          |
| Correlation text         | التعالق النصّي      | Mechanism            | (٢٦)  | آليّة           |
|                          | D                   | Production text      | (١٠٠) | إنتاج النصّ     |
| Denotation               | مدلول               | Incorporation        | (٢٩)  | اندماج          |
| Dialog Texts             | حوار                | Suggestion           | (٢٦)  | إيحاء           |
|                          | النصوص              |                      |       |                 |
| Discourse                | خطاب                |                      |       | ب               |
| Discourse Text           | النصّ الخطابّي      | Building Text        | (٣٦)  | بناء النصّ      |
|                          | E                   | Structure            | (٢٤)  | بنية            |
| Editorial Text           | افتتاحيّة النصّ     |                      |       | ت               |
|                          | F                   |                      |       |                 |
| Famous Recall            | استدعاء             | Frames               | (١٠٩) | تأطير           |
|                          | الشخصيّات           |                      |       |                 |
| Frames                   | تأطير               | OverLapping<br>Texts | (٢٧)  | تداخل<br>النصوص |
| Function                 | وظيفة               | Heritage             | (٢)   | تراث            |
|                          | H                   | Composition          | (١٤٩) | تركيب           |
| Heritage                 | تراث                | Simultaneous         | (٢٣)  | تزامن           |
| Historic Recall          | استدعاء             | Simile               | (١٨٩) | تشبيه           |
|                          | تاريخي              |                      |       |                 |
|                          | I                   | Personification      | (٥٨)  | تشخيص           |
| Imitation                | محاكاة              | Text Formation       | (١٠٠) | تشكيل النصّ     |
| Implicit                 | ضمني (غير<br>مباشر) | Inclusion            | (٣٠)  | تضمين           |
| Implicit Intertextuality | التناصّ<br>الضمني   | Correlation text     | (٢٩)  | التعالق النصّي  |

|                                  |                            |                           |       |                    |
|----------------------------------|----------------------------|---------------------------|-------|--------------------|
| Inclusion                        | تضمين                      | Transcendence text        | (٢٧)  | التعالى النصي      |
| Incorporation                    | اندماج                     | Interpretation            | (١٢٨) | تفسير              |
| Interaction                      | تفاعل                      | Interaction               | (٢٩)  | تفاعل              |
| Interaction Text                 | التفاعل النصي              | Interaction Text          | (٢٩)  | التفاعل النصي      |
| Intertextuality                  | التناص                     | Repetition                | (٢٦)  | تكرار              |
| Intertextuality Explicit         | التناص<br>الصريح           | Allusion                  | (٣١)  | تلميح              |
| Intertextuality Explicit Overall | التناص<br>الصريح الكلي     | Similarity                | (١٦٨) | تماثل              |
| Intertextuality Explicit Partial | التناص<br>الصريح<br>الجزئي | Mixing Text               | (١٦٨) | تمازج النص         |
| Intertextuality legendary        | التناص<br>الأسطوري         | Coherent                  | (١٦٠) | تماسك              |
| Intertextuality Outer            | التناص<br>الخارجي          | Assortment                | (٤٥)  | تناسق              |
| Intertextuality Procedure        | التناص الداخلي             | Intertextuality           | (٢٧)  | تناص               |
| Intertextuality Religion         | التناص الديني              | Intertextuality legendary | (٢٥)  | التناص<br>الأسطوري |
| Interpretation                   | تفسير                      | Intertextuality Outer     | (٢٦)  | التناص<br>الخارجي  |
| Inversion Text                   | تناص القلب                 | Intertextuality Procedure | (٢٦)  | التناص<br>الداخلي  |
| Literature                       | أدب                        | Intertextuality Religion  | (٢٥)  | التناص الديني      |

|                             |                     |                                     |      |                             |
|-----------------------------|---------------------|-------------------------------------|------|-----------------------------|
|                             | M                   | Intertextuality<br>Explicit Partia  | (٢٥) | التناصّ<br>الصريح<br>الجزئي |
| Mechanism                   | آليّة               | Intertextuality<br>Explicit Overall | (٢٥) | التناصّ<br>الصريح الكلّي    |
| Metaphor                    | استعارة             | Implicit<br>Intertextuality         | (٢٤) | التناصّ<br>الضمني           |
| Metatext                    | الميتاتنصّ          | Inversion Text                      | (٢٦) | تناصّ القلب                 |
| Metonymy                    | كناية               | Opposite<br>Intertextuality         | (٢٣) | التناصّ<br>المضاد           |
| Mixing Text                 | تمازج النصّ         | Accession<br>Intertexture           | (٢٣) | التناصّ<br>الموافق          |
| Moral Recall                | استدعاء<br>أخلاقي   |                                     |      | ح                           |
|                             |                     | Dialog Texts                        | (٢٧) | حوار<br>النصوص              |
| Narration                   | سرد                 |                                     |      | ر                           |
| Novel                       | رواية               | Symbol                              | (٢٦) | رمز                         |
|                             |                     | Novel                               | (١٨) | رواية                       |
| Opposite                    | متضادّ              |                                     |      | س                           |
| Opposite<br>Intertextuality | التناصّ المضاد      | Narration                           | (١٠) | سرد                         |
| Opposition Poetry           | المعارضة<br>الشعرية | Plagiarism                          | (٣١) | سرقة أدبيّة                 |
| Orator                      | مُلقي               |                                     |      | ش                           |
| Outspoken                   | صريح (مباشر)        | Poetry                              | (٣٦) | شعر                         |

|                   |                    |                      |                       |
|-------------------|--------------------|----------------------|-----------------------|
| OverLapping Texts | تداخل<br>النصوص    | ص                    |                       |
|                   |                    | Outspoken            | (٢٤) صريح<br>(مباشر)  |
|                   | P                  |                      |                       |
| Paragraph         | مقطع               | ض                    |                       |
| Parallel text     | النصّ الموازي      | Implicit             | (٢٤) ضمني (غير مباشر) |
| Partext           | المناصّ            | ف                    |                       |
| Personification   | تشخيص              | Physically           | (٧٩) فسيولوجيّة       |
| Physically        | فسيولوجيّة         | ك                    |                       |
| Places Recall     | استدعاء<br>الأمكنة | Metonymy             | (٤١) كناية            |
| Plagiarism        | سرقة أدبيّة        | م                    |                       |
| Preface           | استهلال            | Opposite             | (٢٣) متضادّ           |
| Present Text      | النصّ الحاضر       | Receiver             | (٢٤) متلقّ            |
| Previous text     | النصّ السابق       | Proverb              | (٣٦) مثل              |
| Production text   | إنتاج النصّ        | Trope                | (٢٥) مجاز             |
| Proverb           | مثل                | Imitation            | (٣١) محاكاة           |
| Poetry            | شعر                | Denotation           | (٣٦) مدلول            |
|                   | R                  | Text Meaning         | (١٣٣) مضمون النصّ     |
| Recall            | استدعاء            | Opposition<br>Poetry | (٣٠) معارضة<br>شعريّة |
| Receiver          | متلقّ              | Paragraph            | (٦٥) مقطع             |
| Reference         | إحالة              | Stanza               | (٦٥) مقطع شعريّ       |
| Repetition        | تكرار              | Orator               | (٥٣) ملقّ             |

|                    |                     |                       |      |                     |
|--------------------|---------------------|-----------------------|------|---------------------|
|                    | S                   | Paratext              | (٢٨) | المُنَاصِّ          |
| Similarity         | تماثل               | Accession<br>Paratext | (٢٤) | المُنَاصِّ          |
|                    |                     |                       |      | الموافق             |
| Simile             | تشبيه               | Metatext              |      | الميتانصِّ          |
| Simultaneous       | تزامن               |                       |      | ن                   |
| Social Recall      | استدعاء<br>اجتماعي  | Text                  | (١)  | النصِّ              |
| Stanza             | مقطع شعري           | Present Text          | (٢٤) | النصِّ الحاضر       |
| Structure          | بنية                | Discourse Text        | (٢)  | النصِّ الخطابي      |
| Structural         | بنويّة              | Previous text         | (٢٩) | النصِّ السابق       |
| Subsequent text    | النصِّ اللاحق       | Absent text           | (٢٩) | النصِّ الغائب       |
| Suggestion         | إيحاء               | Subsequent<br>text    | (٢٨) | النصِّ اللاحق       |
| Symbol             | رمز                 | Parallel text         | (٢٧) | النصِّ الموازي      |
|                    |                     | Texts Opposite        | (٣٢) | النصوص<br>المتقابلة |
|                    | T                   |                       |      |                     |
| Text               | نصِّ                | Antipodes             | (٣٠) | نقائض               |
| Text Formation     | تشكيل النصِّ        | Type                  | (٢)  | نمط                 |
| Text Meaning       | مضمون النصِّ        |                       |      | و                   |
| Texts Opposite     | النصوص<br>المتقابلة | Function              | (٩٨) | وظيفة               |
| Time Recall        | استدعاء<br>الأزمنة  |                       |      |                     |
| Transcendence text | التعالّي النصّي     |                       |      |                     |
| Trope              | مجاز                |                       |      |                     |
| Type               | نمط                 |                       |      |                     |

## فهرست المحتويات

| الصفحة   | العنوان                                                   |
|----------|-----------------------------------------------------------|
| ٢٢ - ١   | المقدمة                                                   |
| ٣٢ - ٢٣  | التمهيد                                                   |
| ١٤٢ - ٣٣ | الباب الأول: مصادر التناصّ وأنواعه في خطب " نهج البلاغة " |
| ٦٥ - ٣٥  | الفصل الأول: مصادر التناصّ في خطب " نهج البلاغة "         |
| ٣٦       | أولاً: القرآن الكريم                                      |
| ٣٩       | ثانياً: الحديث النبويّ                                    |
| ٥٠       | ثالثاً: المثل العربيّ                                     |
| ٦٠       | رابعاً: الشعر العربيّ                                     |
| ١٤٢ - ٦٦ | الفصل الثاني: أنواع التناصّ في خطب " نهج البلاغة "        |
| ٦٨       | أولاً: التناصّ الصريح في خطب " نهج البلاغة "              |
| ٦٩       | - التناصّ القرآنيّ الكلّيّ                                |
| ٧٨       | - التناصّ القرآنيّ الجزئيّ                                |
| ٨٦       | ثانياً: التناصّ الضمنيّ في خطب " نهج البلاغة "            |
| ٨٧       | أ- أشكال التناصّ الضمنيّ في خطب " نهج البلاغة "           |
| ٨٧       | ١- التناصّ الدينيّ                                        |
| ٨٨       | - التناصّ القرآنيّ الضمنيّ البنائيّ                       |
| ٩٠       | - التناصّ القرآنيّ المعنويّ                               |

|           |                                                                             |
|-----------|-----------------------------------------------------------------------------|
| ٩٧        | ٢- تناسّ الشخصيّات                                                          |
| ١٠٠       | - استدعاء الشخصيّات الدينيّة                                                |
| ١١٧       | - استدعاء الشخصيّات المعارضة                                                |
| ١٢٠       | ٣- التناصّ التاريخيّ                                                        |
| ١٣٠       | ب- آليات التفاعل النصّيّ في التناصّ الضمنيّ                                 |
| ١٣٠       | ١- التكرار                                                                  |
| ١٣٢       | ٢- التمثيل بالقلب                                                           |
| ١٣٤       | ٣- التناصّ الداخليّ المعاصر للنصّ الحاضر                                    |
| ١٣٥       | ٤- الرمز                                                                    |
| ٢٢٨ - ١٤٣ | <b>الباب الثاني: دلالات التناصّ في خطب " نهج البلاغة "</b>                  |
| ١٨٧ - ١٤٥ | <b>الفصل الأوّل: دواعي التناصّ في خطب " نهج البلاغة "</b>                   |
| ١٤٧       | أوّلاً: الداعي الفكريّ                                                      |
| ١٥٦       | ثانيّاً: الداعي السياسيّ                                                    |
| ١٦٨       | ثالثاً: الداعي الاجتماعيّ                                                   |
| ١٧٦       | رابعاً: الداعي الأخلاقيّ                                                    |
| ٢٢٨ - ١٨٨ | <b>الفصل الثاني: تفاعل الصورة البيانيّة بالتناصّ في خطب " نهج البلاغة "</b> |
| ١٩٢       | أوّلاً: التشبيه                                                             |
| ٢٠٦       | ثانيّاً: الاستعارة                                                          |
| ٢٠٧       | - تحويل المعنويّ إلى حسّيّ                                                  |
| ٢١٦       | - استعارة لوازم الإنسان                                                     |
| ٢١٧       | - استعارة لوازم الحيوان                                                     |
| ٢٢٤       | ثالثاً: الكناية                                                             |
| ٢٣٣ - ٢٢٩ | <b>الخاتمة</b>                                                              |



|           |                                                   |
|-----------|---------------------------------------------------|
| ٢٤٥ - ٢٣٤ | قائمة المصادر والمراجع                            |
| ٢٥٢ - ٢٤٦ | فهرست الأعلام والجماعات                           |
| ٢٦٨ - ٢٥٣ | فهرست الآيات القرآنيّة الكريمة                    |
| ٢٧٠ - ٢٦٩ | فهرست الأحاديث النبويّة الشريفة                   |
| ٢٧١       | فهرست الأشعار                                     |
| ٢٧٧ - ٢٧٢ | فهرست المصطلحات (عربي - إنجليزي) (إنجليزي - عربي) |